

الذي أُراه يُنطقني

باسل الجلاد

دار الفارابي
للمعارف

الذي أراه يُنطقني

العنوان: الذي أراه يُنطقني
المؤلف: باسل الجلاد
المدقق اللغوي: الأستاذ يزيد بدلة
المشرفة: المهندسة كاتيا صيبعة
عدد الصفحات: 332
القياس: 14.5×21سم

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بكل طرق الطباعة والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوب وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الناشر

دار الفارابي
طباعة – نشر- توزيع
أسست عام 1976م
سورية – دمشق – حلبوني شارع مسلّم البارودي
ص.ب: 2382 هاتف 2226786
فاكس 2454978
www.daralfarabi.com

الطبعة الأولى
1446هـ/2025م

الوكيل المعتمد في
الإمارات العربية المتحدة
مكتبة دار الفارابي
الشارقة – دوار الساعة
هاتف 00971-6-563130

الذي أراه يُنطقني

باسل الجلاد



مُستَبسِلًا فِـي كُــلِّ نَــازِلَــةٍ تَــهُـمُّ بِنَا
وفِـعـلِـي سَــابِــقٌ فِــي الأَزمــة
وكَتَبتُ بـالإسـلامِ والـمـروءةِ صَحائِفًا
والـسَّـطـرُ مَـخـطُـوطًـا بِـحـبـرِ الـعـزةِ

باسل محمد هشام الجلاد

المحتويات

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم بك نحول ونصول ونقاتل، اللهــم لــولا أنت مــا أهتدينا ولا تصدقنــا ولا صلينــا، يتبادر على مسامعنا معتقدات وسلوكيات وأفكار غريبة عدا أنها سلبية لا تنفع بل تضر، هدّامة لا بناءّة، دخلت وتغلغلت على مجتمعنا الإسلامي وزعزعت الآراء فيه وشوشــت الأفكار وأثرت ســلباً في أســلوب الحيــاة الاجتماعــي والاقتصادي وحتى على ســمعتنا بين العرب والعجم وبين أهل الشرق والغرب.

لأجــل ذلــك ســارعنا لمداركة بعــض النبــلاء من شــبابنا وبناتنــا قبــل أن ترســخ هــذه الأفــكار فــي ســلوكهم وتوجههم، عرّجنــا على مراحــل الحياة المهمة التي يمر وســيمر بها الجميع، ومررنــا نكتب تفاصيل مهمة لم يمر بها الآخرون إلا مرور الكرام، وجعلنــا الرؤيــة و التركيــز لكل موضوع يكون من ســت وســبع وثمــان زوايا، ولكن من دون إطالة أو تعقيدات أو شــواهد كثيرة،

وسـعينا لذكر المصـادر دون وجـود هوامش، ورتبنـا المواضيع وفقـاً للأهم فالأهم، وكل المصادر الـواردة ذات مراجع صحيحة وموثوقـة بعـون الله وفضلـه، لـم نتوسـع فـي الشـرح و تفصيل أقـوال أهل العلم وغيرهم من الباحثين لأن الكتب المبسـوطة في هذه المسـائل لا حصـر لها، فخيـر الكلام قليل الحـروف كثير القطوف جميل الأثر، الهدف الأساسـي من وراء هذا الكتاب نفع الجميع دون اسـتثناء، نريد شـعباً سـامي الفكرِ والأدبِ، واسـعَ البصيرةِ نبيل المعشـر ثمين المعدن، يحبه أهل السماء ويحبه أهل الأرض، لي، ولك، ولكِ، ولكم.

والله جل جلاله وراء القصد.

نبذة عن المؤلف

﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم:32].

الأصل: من عائلة شامية دمشقية عربية تعيش في دمشق منذ ألف عام – عائلة الجلاد الدمشقية يعود أصلها للحجاز وقبل الحجاز اليمن – مدينة البيضاء: داخلها توجد قرية صغيرة اسمها: آل الجلاد.

الوالد: كان يمتلك شركة طبية – تصنيع أجهزة طبية مخبرية - **الوالدة:** ربة منزل متدينة كريمة.

الجد والد الوالد: لديه شهادة قضاء شرعي + الشهادة العالية لكلية الشريعة، وساهم في تأسيس المعهد العربي الإسلامي في دمشق + مدارس تعليم الأميين، وكان يقوم بجولات دعوية للوعظ والإرشاد في القرى والجبال بين اللاذقية ولبنان.

الهدف من الاسم والفكرة: لفت الإنتباه للتعبير عن الذي يسؤونا ويحز في أنفسنا، والنصح لكل مسلم، وبالله التوفيق.

لسنا هنا لعرض الكفاءات والمهارات ولا لمدح النفس وتبجيلها، ولكن لعرض أنني مررت بالجوع، والفقر، والوحدة

والخوف، والتشرد بسبب انفصال الوالدين، والرسوب في المنهاج الدراسي بسـبب زملاء السوء، وبسـبب غياب الوالدين والرقابة، والضرب والمشـاكل (في الشـوارع بسـبب سـوء الحي وشراسة بعض أهل الجوار لأن الحكومة الأسـدية كانت تتبنى لغة الغاب)، والخدمة العسـكرية، والهروب، والسـجن العسـكري، والبطالة، والملاحقة الأمنية في الشـام بسبب الثورة، والتشرد بسبب الغربة، والعطالة في الغربة بسـبب الظلم والعنصرية، والوحدة، والخداع، والخسـارة المادية، والخسارة العملية، والخسارة العائلية، ثم شاء الله عـز وجل أن يجمعنـا مع ثلة كريمة من أهـل العلم والأخلاق والأدب، ومجالـس العلـم، ومجالس القـرآن والحديث والأدب والنحـو واللغـة والتفسـير والفقه ما يقـارب إحدى عشـر عاماً، بالتـوازي مع مجالس علم قرآنية عند ثلة أخرى كريمة، ثم دراسـة دبلوم تسـويق عالمي فـي (كامبريدج)، ثم إصابـة طفلتي بمرض نـادر لا علاج له، ولكن رب الأرباب الشـافي شـفاها، ثم دخول عالم السـيارات، ودخـول دورات في المالية والإدارة والتسـويق والتواصل لسـنوات عبر مركز شـركة GM الأمريكيـة، بالإضافة صاحب إجازة سـماع ورواية موطأ الإمام مالك من المجيز محمد ظهيـر الدين المباركفوري رحمه الله أسـتاذ الحديـث بجامعة دار السلام في الهند.. وما بكم من نعمة فمن الله سبحانه.

العزوبية / الوحدة

قيل أحياناً تكون الوحدة هي الملاذ الوحيد الذي يمكن الهروب إليه من جميع العالم، وقيل: (خذوا بحظكم من الخلوة).

لا ريب أن الخلوة مطلوبة، وأحياناً (واجبة الفعل) فهي دواء للنفس من قيل وقال وضجيج وأتعاب، وقد قال أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ﵁ : «خذوا بحظكم من العزلة» - رواه ابن أبي الدنيا في العزلة والانفراد. وقد قال أيضاً عمر بن الخطاب ﵁ : «في العزلة راحة من خلاط السوء» - رواه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري.

هبوب الوحدة علينا لن يدوم، ومهما دام فلن يطول، فلا نحزن أو ننكسر لأنها حالة مؤقتة ستنجلي قريباً بعون الله، وهي حالة تصيب البشر كافة كما قال العالم (الشامي السوري) عبد الفتاح أبو غدة:

ثمانيةٌ تجري على الناس كلهم
ولا بد للإنسان يلقى الثمانية

سـرورٌ وحـزنٌ واجـتـمـاعٌ وفـرقـةٌ
ويـسـر وعـسـر ثـم سـقـمٌ وعـافـيـة

تعتبر الوحدة لمن يستثمرها (مكسباً) ومغنما وتطوراً فكرياً وثقافياً ودينياً، كما أنها قوة وتمكين للنفس في الصبر وقلة الكلام إن صحبها قراءة وتدريب (ودروس) (وصنعة) وتعبد، لتجد ذاتها فيما بعد وقد امتلأت طاقة وأهدافاً وإيجابيةً ما أن تضع قدمها على الطريق حتى تشق المستقبل. ونحن لا نحبذ الانعزال عن الجماعة والأهل والصحبة الصالحة لأن ما نفعله عند مخالطة الناس يختصر علينا سنوات من الدراسة والتعلم. مخالطة الناس والصبر على أذاهم خيرٌ من الوحدة والعزلة وقد قال نبيّنا خير البشر سيدنا محمد ﷺ: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم» - صحيح الترمذي.

قال أبو ذر رضي الله عنه: الوحدة خيرٌ من جليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة. - ذكره الحافظ ابن حجر في كتاب الفتح.

فإن وجدنا الجليس الصالح الذي يدلنا على الخير حتى وإن كان (بارد الطبع) قليل الكلام بعيداً عن (هوانا) من نشاطات

وأفكار ورغبات... يبقى الجليس الصالح خيرٌ من مصيبة أو غلطة أو كبيـرة مـن الكبائر قد يجرنـا إليها الصديق السـيئ، فالنظر إلى العواقـب هو الأوجب دائمـاً، ومن أراد مـكان الصحبة الصالحة فالمسـجد منبـع أبطال الحاضر والمسـتقبل الذين يسـقون العباد والبلاد بالخير والعطاء والمعروف والإرشاد، قال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ ﴾ [الكهف: 28].

الوحدة المطولة تفتح عمل الشـيطان وتشتت الفكر وتحفز النفس الأمارة بالسوء في الضياع الفكري والديني لتجعل الإنسان يغـرق في دوامـة فكرية وجنسـية ومالية وبدنية لا نهايـة لها، فقد سقط الكثير في شراك الشرك بالله واللواط والسحاق والربا والغش والجهل بسـبب العزلة الاجتماعية والبعد عـن الناس، فقد يكون للعزلة آثار مدمرة أيضاً على الصحة: منها إضعاف مناعة الجسـم، وارتفـاع ضغط الدم، وتدني القـدرات العقلية وقد تزيد من فرص الإصابة بالزهايمر، السمنة، الاكتئاب، مشاكل في النوم..) – موقع طبيب.

إن اختيار العزلة لأسـباب نفسية أو فكرية أو لتجارب فاشلة صعبة عشـناها عوضاً عـن الانخـراط في المجتمـع والاختلاط

بالناس سيذهب منا الفرص والنجاح لأن المحن تولّد منح والمنح تحتاج إلى وقت وتكرار وقوة وشـجاعة فلنثبت أنفسنا بين الناس بأنفسنا فإن الوحدة تبدأ من الداخل.

قـال تعالـى: ﴿ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الجمعة:10].

الزواج أم لا

انتبه مـن أن تنصت لأصحاب التجارب الفاشـلة، لأنهم لا شك فشلوا في الاختيار والاختبار، أو كانت معاملتهم سيئة عشوائية وذات تجربة ناقصة نتج عنها الفشـل، البعد عن الدين وسـنة النبي الكريم ﷺ وأخلاقه كانت سـبباً رئيسـياً في عـدم النجاح، كما أن الناس مسـتويات منها من يحسـن التعامل والإمساك بزمام الأمور بحكمة ومنهم لا يحسـن ذلك، ولا ننسـى بأن 99 ٪ من العظماء كان لهم عدة زوجات وليس واحدة فقط.

التشـاؤم والمخـاوف مـن المصاريـف والمسـؤوليات لن تجدها وإن وجدتها سـتجد معها لذة طيبة كريمة لأنك رب أسـرة ونعمـة العطاء لا توصف وسـرور الأهل بعطائك لهـا لذة أطيب ورزق الزوجة والأبناء سـيأتي عاجلاً أم آجـلاً بعون الله، حتى إن المنفق ماجور وعدها الشرع صدقة.

قـال رسـول الله ﷺ : «إذا أنفق الرجلُ علـى أهله نفقةً وهو يحتسبها كانت له صدقة» - صحيح البخاري.

أغلــب مــن يخوفوننا من الزواج ســنجدهم يســعون ســراً وراءه لا جهراً، فالنفس تشــتهي وتتمنى، ولا تأبى النفس الارتباط بالجنس الثاني إلا لقلة ذات اليد أو مرضٍ أو علة نفسية عافانا الله، ومنهم الغارق في العلاقــات المحرمة التي لا ترضي الله عز وجل من إطلاق للبصــر أو صداقات وزمــالات واختلاطات وخيانات لا يفعلهــا المؤمنون الأتقياء أصحــاب الرجولة والمروءة، فلا نقع في شــباك العصاة أو نتردد عن الــزواج ونتمنع، لأن النفس تكتمل والحياة تزدهر بشريكها، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف:189].

النجاح الأسري والعاطفي مفتاح أبواب الخير على الصعيد الديني والمالي والنفسي والعملي، عدا أنه نصف الدين بما فيه من ســكينة وعفة، فهو يعزز دور الإنسان في جميع مجالاته واتجاهاته لأن الجانب العاطفي والجنسي نال منهما مُناه بما يرضي الله، روى البيهقي في الشُــعب عن الرقاشي بلفظ: «إذا تزوج العبد فقد كمل نصف الدين، فليتق الله في النصف الآخر».

ســيخوفون المرأة من الزواج والحمل والمســؤولية ورعاية الأطفــال وهذا لا شــك فيه ولكنــه يبقى أفضل بكثيــر من الوحدة وأكرم من العمل عند الناس، كما إن لذة تربية الأطفال ومداعبتهم

لا توصفها الكلمات.. واستقبال أطفالك لك عند قدومك والسؤال عنك عند خروجك والسعي على راحتك وطلباتك عند الشيخوخة يهـوّن علينا ما قدمناه وعايشـناه من مصاعـب قديمة زالت والآن نتمتع بلذتها ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الكهف:46].

لا تـرددوا فـي الـزواج، ولا تؤجلوا الزواج إلـى زمان بعيد تضيق فيه الأمور وتصعب الحياة أكثر مما كانت عليه، علينا بانتهاز الفرص واستثمار العمر خير استثمار، قلما أن تعود الفرص أحياناً، عندما نتزوج مبكراً نسـعد ونسـجم ونتعاون ونتسامح مع زوجنا، وفـرص دوام الزواج تكون أكبر بكثير من الزواج المتأخر، عدا أن أطفالنـا يكبرون معنا لنجدهم شـباباً نصادقهم ويصادقونا، بعكس من تزوج متأخراً ليجد نفسـه يكابد التربية والانسجام لفارق العمر وذهاب سـن الشـباب، كما لا نعقد الأمور ونعمم السلبيات على الإيجابيات ونخاصم أنفسـنا بأنفسنا، فالخير كل الخير بالزواج لا بالعزوبية والوحدة، الزواج نعمة من نعم الله الكبرى، وآية من آياته العظمى، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:21].

مواصفات الزوجة

لا شـك أن المال والنسـب والجمال مـن الأولويات ولكن الأولوية وغاية الأهمية الديـن والأخلاق، فالمرأة الصادقة الأمينة المتواضعة البسـيطة سـتجعلك من السـعداء والمحظوظين، وإن كنـت ترجو أجر الله تعالـى فاظفر أيضاً بالفقيـرة، الأرملة، اليتيمة المسكينة المتدينة.

جاء في كتاب صحيح البخاري عن رسـول الله ﷺ : «تُنكَح المَرأَةُ لأَربَعٍ: لِمالِهَا، وَلِحسَـبِهَا، وَلِجَمالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَر بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَت يَدَاكَ».

إن وجـدت ضالتـك وعزمت على أمرك فـلا تنتظر أو تنظر للوراء وتتـردد في انتهاز الفرصة.. فإن غلبـك المهر والمتطلبات حـاول ثم أعد المحاولة ويسـر ولا تعسـر واجعـل نيتك التعفف والسـتر، وذكرهم بالحديث الشـريف عن عائشـة رضي الله عنها عـن النبي ﷺ : «خيرُ الصداقِ أيسـره» – حديث صحيح، النوافع العطرة.

ومهمـا حدث لا تقعـد دون زواج وتتحجـج بالغلاء فالكل يواجههـا دون اسـتثناء، ابحث عن البسـطاء فهم كالـدواء للداء، يعلمون الحال ويتفهمون الأحوال ويثقون بالله جل جلاله حين أنار على عباده في سورة النور، قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:32].

لا نذكر محاسـن ولا مساوئ أو صفات الزوجة لأحد مهما كان كالأصدقاء والزملاء والجيران، فالمرأة شرفٌ وعرضٌ مصانة عنـد ولي أمرهـا والعين حق والنفس أمارة بالسـوء، حتى الأخت والأم والخالة والعمة والجارة وبناتهن عليهن نغار ونحترم ونصون ونحفظ، العرب تغار والمؤمن ذو غيرة أكبر على أهله والله سبحانه أشدنا غيرة.

جاء في كتاب صحيح مسـلم عن رسول الله ﷺ: «المؤمن يغار والله أشد غَيرا».

ونحن جميعنا نرغب بالجميلات والحسناوات، فالجمال له بالنفوس نصيباً ومكاناً لا يختلف فيه اثنان.

وقـد قيل: (الناس تحب الجمال والنـوال والكمال)، ولكن للأسـف ليس كل ما يتمناه المـرء يدركه، فمن أدرك الجمال افتقد

الأخلاق أو الإخلاص أو الدين، فتبقى النفس تبحث ولا تهدأ لأن الحياة ومن فيها لا تكتمل ولن تكتمل والنقص من طبيعتها وهذا أمر الله العليم القدير، فلنحرص على أخلاقها وإلى رحمتها ورفقها بأهلها وبالعباد والبلاد، فكريمة الأصل ثمينة ونادرة.

قال الله تعالى: ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ [النساء:34].

بعد الزواج

لا تدعهــا ترى منك ما تكــره من رائحة ســيئة، رائحة الفم، بذائة، كذب، خداع، جبن، بخل، اســتهتار، غش، عقوق، قلة أمانة وإيمــان. كن رجــلاً بكل ما تعنيــه الكلمة وعلى المــرأة أن تكون مثابــرة مجتهدة في جــذب زوجها ولفت انتباهه والســعي وقضاء كامل حاجاته.

قال الله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ ﴾ [النساء:19]، وقال ربنا تعالى:﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ ﴾ [البقرة:228].

الإســراف مشــكلة فلا نهتم بالناس ومظاهرهم ومقتنياتهم، أخيراً أنت من تجني، أنت من يدفع وأنت المُحاســب والمسؤول. الإنصاف والاقتصاد خير سبيل، وابتغ بين ذلك سبيلاً، ومن هوادم العلاقــات البخل والحرص والشــح، وقيل أن المــرأة تكره بخيل المال والعاطفة.

عــن معاوية القشــيري ﵁ قــال: قلت: يا رســول الله ما حق زوجة أحدنا عليه: قال ﷺ : «أن تُطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا

اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت» - رواه أبو داود وابن ماجه.

الـزواج ليـس علاقة تحدي وشـماتة وضرر واسـتغلال بل تكامل وتقارب ودعم ورحمة. الزواج علاقة تعاون وحب واحترام وتقدير لا غل وانحلال.

كمـا أنـه لا داعيَ لإبراز الحـب والعواطف بيـن الناس من كلمات ولمسـات فهذا لا يفعله أهل الحيـاء والأدب.. ولا يصح إظهار الفجور والنزاع في الخصام عند اضطراب العلاقة أو الشقاق لا قدر الله، فلعل الأمور تعود لنصابها كما كانت ونندم أشـد الندم على ما وقع منا من عثرات وأخطاء.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ ﴾ [البقرة:237].

مخاطر فشل الزواج وهدم الأسرة يتمركز حول؛ الاختلاط، عمل المرأة، إفشـاء أسـرار المنزل ومشـاكله، المال الحرام، ظلم الناس، الأغاني والأعياد غير الإسـلامية، العلاقات المحرمة، ترك الديـن وأخلاقه، الصحبة السـيئة التي لا تأمـر بالمعروف وهمها المظاهر وهدفها التسـلية والظهور، وكل ذلك يسبب تشوهات في العلاقات تدريجياً ثم تشـرخات وشـقاق، لأنها مسالك الشيطان

وطرقه، قال الله العليم الخبير: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [النور:21].

الزواج علاقة مقدسة مباركة من الله عز وجل، تستمر في العسر وحتى اليسر والحزن والفرح ولا تنتهي لأجل المال فكم من فقير أغناه الله بعد عناء وصبر، وكما أن زيجات (المصلحة) ما إن بدأت انتهت، لأنها أُسست على الطمع والمصالح لا على القبول والأخلاق..، كما أننا لا نطلب الطلاق بسبب زواج الرجل من آخرى، فالرجل ليس كالمرأة، ولا يمكننا معارضة شريعة الله وسنة الرسول الكريم في ذلك البتة ولا نقول إلا سمعنا وأطعنا وآمنا بالله ورسوله، وكم من زوج تزوج وغاب ثم عاد إلى مسكنه بعد حين، فلنصبر صبراً جميلاً، ولا نشتت شمل العائلة هنا وهناك ثم نندم وقد دمرنا أنفسنا بأيدينا، فالتأني سلامة والعجلة ندامة.

عمل المرأة وإن حالفها الحظ عملياً ومالياً يبقى يعاكس فكرة الزواج ويعاكس فطرة الحياة والأجداد وقد قال أهل الشام: (الرجل جنَّى والمرأة بنَّى)، كما أن أغلب الغالب منهن لديهن

تقصير أسـري وتضعضع داخلي بسـبب الضغـوط والإلتزامات، ولا وجه مقارنة بين أسـرة طبيعية متماسـكة تعطي الفرد منها حقه ووقته من رعاية واهتمام ورقابة ودعم متواصل، وبين أسـرة عاملة مشغولة تعطي الفرد منها ما تيسر من حقه على عجالة... ولا شك الضـرورة لهـا أحكامها وتبيح ذلـك، علينا أن نميـز بين الأفضل والممكـن وبين الكماليات والأساسـيات، لأن توفيـر الكماليات للأبنـاء لا يقارن مع توفيـر الأمومة، التي سـتخلق أجيال صالحة مصلحة غنيـة الفكر والروح، خاصة الأرملة التي تقوم على أبنائها تحت ظل الرحمن يوم القيامة: «..وامرأة مات زوجها وترك عليها أيتامـا صغاراً، فقالت: لا أتزوج، أقيـم على أيتامي حتى يموتوا أو يغنيهم الله..» - رواه الديلمي والمنذري.

عنـد وجود نزاع وخلافـات وشـقاق... فالتحاكم الداخلي الودي والوقوف والمضي على أحكام كتاب الله وسـنة نبيه ستؤتي ثماره بين كل أفراد الأسـرة أبناءً وأحفاداً. ولا نلتفت لفلان وفلانة أو قراءة برج أو كاهنٍ أو ساحرٍ... فالله أجلّ وأحكم وبشؤون عباده أعلـم وألطف، والحذر من التحاكم عنـد أناس جهال لا علم لهم ولا بـاع، فضررهم أكثر من نفعهم واستشـارة الصالحين لا تماثل استشارة الضالين، وكم من أسرة تماسكت وعادت المياه لمجاريها قبل التفكك والطلاق بسبب إصلاح مصلح تقيٍ عاقل.

قــال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِــقَاقَ بَيْنِهِمَــا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِــهِۦ وَحَكَمًــا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيــدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّــقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ﴾ [النساء:35].

وأذكــر حادثة خصام قوية حدثت لعائلة كريمة وعفيفة جداً، وكان الســبب زواج الــزوج من زوجة ثانيــة، فعارضت وأضربت الزوجة الأولى ودخل الخلاف والنزاع، ثم شاع الأمر بين الأقرباء، لتأتي باقي النســاء يأمرن بالمنكر مع اشــعال الأمر فوق اشــتعاله، وتم بعد ستة أشــهر من الخلاف الطلاق بطلقة واحدة، وتم رفض المصالحة طوال هذه الفترة، إلى أن أصر أحدهم على الجمع بينهما ولــو لبعض الوقت، وبعد عــدة محاولات، تــم الاجتماع معهما، وســرد كل قصتــه ورأيه وعبر عن غضبه، وبعدهــا تم عقد اجتماع اخــر، إلى أن هدئت النفوس وأنطفئت النار بينهما، وأرجعها بعقد جديد فيه شهود ومهر وولي أمر، والفضل كله لله.

الرجل صاحب المروءة يأبى الاعتماد على مال أو سلطان أو أمــلاك أو علاقات زوجته لأنــه ذو كرامة... الرجل لا يكون رجلاً إلا بعطاءه وبذله ونفقته واهتمامه ورعايته لا العكس، ولا يســتغل أو يمنع زوجته مهرها لأجل مشاحنة أو خلاف أو حتى انفصال لا قدر الله، ومن استغنى أغناه الله عزّ وجلّ.

قال الله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء:20-21].

الأبناء

غيـاب القدوة والانفصـام بين القول والفعـل يفقدان الأب والأم احترامهما وهيبتهمـا ومكانتهما أمام الأبناء، فاجعلهم يرون الصـدق والأمانـة والصـلاح، ولا تقل مـالا تفعل، والـزم الوعد والعهـد والوفاء، إن أردت أبناءك فـي عليين من بر وكرم وصلاح وصـدق ونجاح فاجعلهـم يصاحبون كتاب الله الكريم وسـنة نبيه فهمـا الدواء لكل داء ومعضلة واسـتندوا إليهما جميعاً في الصلح والخلاف والحياة في العسـر واليسر فسـيعود هذا عليك وعليهم بالبركات والطيبات وراحة البال حتى بعد الممات لأنهم سينظرون للأمـور بنور الله سـبحانه لا يتبعون الهوى وأهـل الضلال، وبادر معهم لوصل الأرحام ومسـاعدة النـاس والإصلاح بينهم والدفاع عن المظلوم ورد الحقوق، وهذا ما حدث في سـورة الكهف حين أرسـل الله برحمته سبحانه سيدنا موسـى والخضر عليهما السلام إلى القرية من أجـل الغلامين لأن أبوهما كان صالحاً، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِـدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَـةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُـدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [الكهف:82].

هم المال والرأس مال كما يقول (أهل الشام)... هم نتاجك وبضاعتك وأشباهك نسباً ومستقبلاً فجالسهم وحادثهم واجعلهم أصدقاء لك بناتٍ كانوا أو ذكوراً... لا تعنفهم تعنيف اللئيم الشديد ولا تصحبهم مصاحبة الأطفال كدلـع ولين وتراخي فخير الأمور أوسـطها، ولا يصح تفضيل العمل عن الأسرة ولا تفضيل الأسرة عن العمل ولا تفضيلهما معاً عن العبادات.

قال سـلمان لأبي الدرداء رضي الله عنهما: (إن لربك عليك حقاً، وإن لنفسـك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعطِ كلَ ذي حـقٍ حقه)، فأتى النبي ﷺ فذكـر ذلك له فقال النبي ﷺ : «صدق سلمان» – حديث صحيح رواه البخاري.

نعلّم الإناث الأنوثة والنظافة والعفاف وعدم التشبه بالذكور والعكـس أيضاً، والذكور نعلّمهم الرجولة والشـهامة والشـجاعة والصدق، فبعض قبائل مكة خصوصاً الأشراف لا يزالون يتمسكون بعادة قريش وأشراف العرب القدامى عندما كانوا يدفعون بأبنائهم إلـى مراضع الأعرابيات في الباديـة بعد ثمانية أيام فقط من ولادته حيث يربى مع الأبناء البدو في الخيمة وينشأ كبدوي حقيقي ثمانية أو عشـرة أعوام، أو إلى أن يصبح الولد قادراً على ركوب الفرس، فيعود به والده عندئذ إلى المدينة لينشـأ الأطفال شـجعان فصحاء اللسان أصحاء الجسم.

إن ضــرب الأطفــال ضرب الرجال ســيولد لديهــم الرعب والخــوف والضعف وســيجعلهم أمام الناس جبنــاء أو مجرمين. والضرب على اليدين كضرب الأستاذ أخف وأسلم، وخصص في المنزل ناحية للعقاب يجلســون فيها إن خالفــوك. واعلم أن كلما اشتدت القسوة والشدة على الأطفال اشتد البعد بينكما، واعلم أن هناك من ضرب أبنائه فأضرهم جسدياً ونفسياً بقية العمر فندم أشد النــدم، قــال ﷺ : «ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت» - رواه أبو داود وابن ماجه.

لا تفضح مســاوئهم وســلبياتهم بيــن الأقــارب والغرباء أو الأصدقاء...كــن لهم (مداحــاً) إيجابياً واســتثمرهم بمهام مفيدة مثمرة وخيرها القرآن الكريم والســنة الشريفة والأعمال الصالحة: من صلة أرحام، وسقيا الماء، وإطعام الحيوانات كالقطط والطيور، ومســاعدة الفقراء، ومســاعدة الأهل فــي المنــزل، واصطحابهم للعمــل كل حين، وقــراءة الكتب، وحضور حلقــات التحفيظ في المســاجد، فالملهيات عديدة وخطيرة ورفاق الســوء كثر وأجهزة التلفــاز والهواتف شــر صحبــة فاضبط بذكاء وحكمة وعند ســن العاشرة فرق بين الإناث والذكور بالغرف ولا تستهتر ولا تؤجل.

قال رسـول الله ﷺ : «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع» – رواه أحمد.

مـن النقـط الإيجابية فـي التربية تشـجيع الأبنـاء ومدحهم ومكافأتهـم على كل صغيـرة وكبيرة يفعلونها، ابناءك سيشـعرون بالدعـم والاهتمام، وعلمهـم أن الخطأ مرفوض لا مجاملة فيه بل نتعلم منه كمـا الصواب مقبول ومرغوب وسنشـكرك عليه، وكن رفيقاً صديقاً حليما معهم، وما يذكر من رفق النبي ﷺ على أحفاده مـن حديث بريدة رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يخطُبُ إذ جاء الحسـن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويَعثُرانِ فنزل من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه..» – رواه الترمذي.

قد رأينا من مهّد لأبنائه سـبل العلم والدراسة وتكلف الغال والنفيس ليكملوا دراستهم ويصبحوا أصحاب شأن في المجتمع، وللأسـف قد غفل عن ترسـيخ الأخلاق والمبـادئ والدين حتى ضاعوا في غيابات الدنيا فذهب المال والجهد هباء منثوراً، الحذر مـن تفضيل الدراسـة والوظيفة والمال والدنيا عن دين الله وسـنة نبيه، فولد بار صالح خيرٌ من شهادة على الحائط يحملها ولد عاق فاسق.

بل إن الذرية الصالحة يُجمع شملها مع آبائها الصالحين في الجنة: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور:21].

عــدم إظهار العاطفــة نحو الأبنــاء بدعوى الهيبــة والمكانة أو اتباعاً لبعــض التقاليد المجتمعية يخلق جفافــاً عاطفياً يتصاعد بمرور الوقت بين الوالدين والأبناء، وما إن تحدث الفجوة والفراغ حتى يملأها والعياذ بالله شرار الخلق بدعاً لا تمت للواقع بصلة إلا للاســتغلال والصيد في الماء العكر، فرب سهوة واستهتار خلفت ماسي ودمار، لأن الناس تميل للرحيم.

عن أبي هريرة ﵁ قال: قبّل رســول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يَرحم لا يُرحم» - حديث متفق عليه.

داخلَ المنزل أو خارجه الحشــمة في اللباس تظهر الطفل/ الطفلة/ الصبي/ الصبيــة بمظهــر محتــرم وأنيق، وهــذا من الحياء والحيــاء من الإيمان، ويجب أخذ هــذه الأمور على محمل الجد، خاصة ســتر العورات وتجنب الملابس القصيرة والضيقة فالســتر

الصحيح لا يكون إلا بألبسة فضفاضة وطويلة، وإن العورة بحسب الشريعة الإسلامية من السـرة إلى الركبة. وهذه الأمور والضوابط وجدت حفاظاً على أبنائنا من الاعتداءات الجنسـية والاغتصابات من مرضى القلوب والعقول والذئاب البشـرية، عافانا الله وسـترنا أجمعين، فالحرص واجب.

قـال رسـول الله ﷺ : «إنَّ اللَّهَ حيـيٌّ سِـتِّيرٌ يحـبُّ الحيـاءَ والتَّستُّرَ..» – هداية الرواة.

يا شباب

القوة والمـال والنجاح ثمارها لنـا وللوالدين والأقارب ثم الأباعد، لا يوجـد في المجتمع العربي الإســلامي مفهوم الأنانية التي تولد أنانياً يرغب بنفســه عن أهله وأقاربه، وإن وجد فالســوء فهمه وفساد طبعه، فالمســلم مامور بالنفقة والعطاء ومد يد العون بــكل ما أتاه الله من قــوة، لا يجعل أهله عالة بين الناس ولا يرضى لهم بالذل والحاجة والفقر، كما أن الولد كله لوالديه حتى كسبه.

قال ﷺ : «إنَّه مِن أطيَبِ ما أكَلَ الرَّجُلُ مِن كَسْبِهِ، وولَدُه مِن كَسبِهِ» - رواه أبو داود.

فللأبوين الأكل من مال ولدهمـا بالمعروف، بل على الولد أن يســعى في حوائجهما دون أن يطلبا منه ذلك، فالأبناء مامورون بإعانــة والديهما على الــدوام لأنهما من أولــى الأولويات وأحق الناس بكل شيء.

الدراسة لا تجعلها المعول الرئيسي في حياتك ولا تكن من دونهــا صفراً على الشــمال، لأن الخبرة العمليــة مهمة للغاية ومن

وافـق مـع عمله الدراسـة خير ممـن درس ثم عمـل، لأن الخبرة العملية تعطي الإنسان عمقاً وفهما فيما يخالطه ويعمله بعكس من درس ولـم يخالط ويعايش ما درسـه، فالكثير مـن رجال الأعمال وأغنياء العالم لا تسـتهتر بها ولم تكمل دراستها مثل: بيل غيتس، لاري أليسـون، ستيف جوبز... ولا شـك أن المتعلم خير وأحب إلـى الله من الجاهل ولكن للناس ظروفـاً وعقولاً، أما تعلم كتاب الله والسـنة والأخلاق وأصول البيع الإسـلامي والفصاحة واللغة والأدب من الأولويات وقبل كل شيء، لأن الجاهل وإن كان طبيباً أو مهندسـاً أو رجل أعمال ولكن لا يعلم حدود الله وسـنة رسوله أكل حقوق الناس ظناً أنها كياسة، وأكل الربا جاهلاً، وأطعم نفسه وأهله الحرام فحالف الشيطان وخالف الرحمن المنتقم الجبار.

قـال ﷺ : «طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسـلمٍ ، وإنَّ طالبَ العلـمِ يسـتغفِرُ له كلُّ شـيءٍ ، حتى الحيتانِ فـي البحرِ» – حديث صحيح أخرجه ابن ماجه.

إخوتك كأعضاء جسدك فاحفظهم لا تخسرهم وإن خسروك ولا تمنعهم وإن منعوك ولا تتكلم عنهم وإن بهتوك. كن لهم نبراساً بالأخـلاق وبالعون باسـلا ولا تفضل أحداً عليهـم مهما حدث، ومهما حدث لا تشـمت الناس بكم، فكل العداوات تندثر يوما ما

وتصبح نسياً منسياً، وكم من متخاصمين التقوا فتصافحوا وتناسوا الماضي والنزاع.

قال رسول الله ﷺ : «تُفْتَح أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشرِكُ بِاللَّهِ شَيئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّى يَصطَلِحا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّى يَصطَلِحا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّى يَصطَلِحا» - حديث صحيح رواه الإمام مسلم.

وقد شهدت حادثة، أحد الأقارب قاطع الأخر الصغير يوما لأسباب لا تذكر، امتنع عن السلام والكلام ثم ذهب لمنزله وطرق الباب ثم سلم وصافح ومضى، ولاحقاً أصبحت عند الكبير عادة، كلما اختلفا في نقاش أو حوار أو سمع شيئاً، فيقاطع الصغير، فلا سلام ولا كلام، دون معرفة السبب يذهب لمنزله يعيد الكرة مصالحاً.. يذهب ثلاث مرات، وعند الرابعة اتصل اتصالاً ولم يجب ثم أرسل رسالة، ثم أرسل له الهدايا والمعايدات، والكبير بالمقابل لا يرسل ولا يسأل ولا يهتم ولا يشكر.

قال تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ [الإسراء:84].

رجولتك وشجاعتك تكون على الأعداء والظلمة ولا تكن ضد الوالدين والأقارب، فانتصارك عليهما خسارة وليس نصراً،

لأنك شــوهت وهدمت صورتك بهذا أمــام الله والناس، وأنكرت العشــير وظهــرت بمظهــر العــاق، والعقوق مــن كبائــر الذنوب، والعاقبة خسارة، قال رسول الله ﷺ : «ما مِن ذنبٍ أَجدَرُ أن يُعجِّلَ اللهُ لصاحبِهِ العُقُوبةَ في الدُّنيا، مَعَ ما يَدَّخِرُ لهُ في الآخِرَةِ، مِن البَغيِ وقطيعةِ الرَّحمِ» - رواه أبو داود.

ولنعلم بــأن الولد نتــاج أبيه، فالأب ســعى واجتهد وتزوج وأنجب لكي يرى سنداً لا عدواً.

لا تكن كالأطفال تبكي وتشــكو وتجــادل عبثاً وتلوم الحال والفقر والفشــل، لا أحد يحب الفقر أو الفشــل أو الحظ السيء.. فالأمر ليس لك ولا لهم بل بما كسبت أيديكم، وقد واجهت الفقر والحاجة والضيق في صغري وطفولتي وكنت أقل الأصدقاء حظاً ومالاً وتعليما، ولكن كل ذلك جعلني أرى ما لا يرون وأفهم ما لا يفهمون، جعلني الفقر بفضل الله صلباً قوياً لا أتزحزح أو أذلّ لغير الله تعالى مهما عصفت العواصف..

لقد علمني الفقر شــكر النِعــم وتقديرها، علمنــي أن طريق الحلال والمال والنجاح ســيأتي ولو بعــد حين إن كنت رجلاً تقياً عادلاً مصلحاً لله وكنت على سنة نبيه ﷺ ، فلا تحزن إلا على سوء أسلوبك وضعف إيمانك بالله عز شأنه.

الوالـدان مـن أفضل النعـم، فكم مـن أيتام يتحرقـون ألما لفقدهـم والديهـم يتمنّون ولو بعض الذكريـات معهم، فلنعلم أن الله فضلنا على كثير من عبـاده، فلننظر لهما بعين الرحمة والوفاء، سـاندهما كباراً كما سـانداك صغيـراً وادعمها كمـا دعماك طفلاً وجالسـهما ولاطفهما كما كانا معك يافعاً واسمعهما كما سمعوك شاباً وأطعهما كما أمرك الله جل شأنه، لا تكن أنت والناس والدنيا عليهم.. فالوالدن يريدان أعواناً لا أعداءً.

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّـا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَـا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِـضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء:23-24].

وقال ﷺ : «رضا اللهِ في رِضا الوالدِ، وَسـخَطُ اللهِ في سَخَطِ الوالدِ» - رواه الترمذي والحاكم في المستدرك.

إن أخطـأ أحدهمـا (الوالدان) فكل ابـن آدم خطاء فلا تكن كالأطفال تنوح وتسـوح بل تجاوز الأمر، لأنهم ينظرون لمصحلة الجميع وأنت تنظر لمصلحتك الخاصة. فإن ظلمك أو حرمك أو ضربـك أو عنفك أو عـاداك أو أقصاك أو تكلـم عنك أحدهما أو

كلاهما فليس لك من الأمر شـيء إلا التسليم والطاعة والإحسان والنفقة وضبط اللسـان أو ستخسـر الدنيا وجنـة الآخرة، والذكي العاقل الراشد يكسب لا يخسر.

قال رسول الله ﷺ : «ما مِن مُسلمٍ يُصبح ووالداهُ عنهُ راضيانِ إلا كان لـه بابانِ منَ الجنَّةِ، وإن كان واحداً فواحدٌ، وما مِن مُسـلمٍ يُصبح ووالداهُ عليهِ سـاخطانِ إلا كانَ لهُ بابـانِ من النارِ، وإن كان واحداً فواحدٌ، فقالَ رجُلٌ يا رسولَ اللهِ: فإِنْ ظَلَماهُ؟ قالَ ﷺ : وإِنْ ظَلَمـاهُ، وإِنْ ظَلَمـاهُ، وإنْ ظَلَماهُ، ثلاثَ مـرَّاتٍ» - رواه أبو يعلى وحسنه ابن حجر.

إن سـاءك فقرهما وقلة علمها ومسـتواهما الدنيوي.. فأنت ولـدت عندهما وهما ولدا عند والدهما الـخ... فلا أنت ولا هما اختارا النصيب والقدر فانظر رحمك الله إلى من هم دونك منزلة..

انظـر البسـطاء والمرضـى والمشـردين وارض ودع عنك الأفـكار الهدامة.. ومن رضي عاش. قـال الله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾ [إبراهيم:34].

لـم يجلب الوالدان أبنـاءً ليكونوا لهم ضـداً وهماً وغماً بل العكس يريدان من أبنائهما الخير والبر، والدنيا تدور وكما تعاملهما

ستعامل من قبل أبناءك، وكما تزرع تحصد، فإن تنازع أحدهما أي الوالدين مع الآخر فلنكن مع المظلوم ولكن لنحترم الأخر وإن كان ظالما أو حتى كافراً لا قدر الله.

قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ۝١٤ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان:14-15]، لأن احترامهما طاعة ودين وواجب، كما أننا نطيعهما بالمعروف بما يرضي الله عنا، وليكن كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ حكما ومرجعاً، جاء في الموسوعة الفقهية: (إن كان أحدهما يأمر بطاعة والآخر يأمر بمعصية، فإن عليه أن يطيع الآمر بالطاعة منهما دون الآمر بالمعصية، فيما أمر به من معصية، لقوله ﷺ : «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»... أما إن تعارض برهما في غير معصية، وحيث لا يمكن إيصال البر إليهما دفعة واحدة، فقد قال الجمهور: طاعة الأم مقدمة، لأنها تفضل الأب في البر..).

منغصات الحياة الزوجية

المنغصات لا مفر منها ولا مهرب، فهي ملح الحياة ومنشطات الحب وبها تدوم العلاقات عسراً ويسراً، ومن ظن أن باقي البيوت تمـر حياتها بهدوء وسـكينة دون منغصـات وعراقيل وضغوطات فقد أخطأ التقدير وشذ عن الطريق، كل البيوت غرباً وشرقاً تواجه الصعاب فهذه سنة الحياة.. والبقاء للأقوى، لأن القوي لا يستسلم ويحافظ على قوته بعكس ضعيف المسوؤلية قليل الصبر والحلم، ومـن أرهقته المنغصات الزوجية، فليسـع لحوار بناء باحترام لعل الفجوات تدريجياً تنسد بعون الله، فللحوار فوائد وإيجابيات.

الأزمات المالية العاصفة بأرجـاء المعمورة تصيب الجميع دون استثناء، وتجعل أحياناً أعزة القوم أذلة.

قـال ربنا تبارك وتعالى: ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:140].

فلا نقارن ولا نقول فلان يعيش ونحن بالحضيض! فلا ريب هذا الفلان قد مر وسـيمر بأوقات عصيبة أيضاً، وهذه الأقاويل لا

تجوز بتاتاً، لأن الحياة تدور عسـراً ويسراً بقضاء الله وقدره، وخير الأمـور الاقتصاد، الاقتصاد يسـاعدنا في التركيز على أساسـيات الحياة وتجنب الكماليات غير الضرورية.

قال رسول الله ﷺ : «الاقتصاد جزءٌ من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة» – سـنن الترمذي – فلنحفظ ماء وجهنا ولا ندمر أنفسنا ونخسر أموالنا هباءً لأجل مظاهر مؤقتة أمام أناس عابرة، فنحن أو أرحامنا أولى بهذه الأموال خصيصاً إن كانوا دوننا منزلة.

(الحمـاة) أم الزوج أو الزوجـة منها الكريمة ومنها البغيضة ومنها بيـن البينين. والحماة ليسـت أما أو مديرة لـه لتقود الصهر وتنغـص حياته، والكنّة ليسـت بنتاً لتفرض عليهـا ما تفرضه على بناتها، وليسـت الكنّة خادمة أو عدوة، نحن نريد تشـيد بيتاً كريماً مسلماً مسالماً، ولا نريد من هذا الزواج فتح جبهات قتالية بين أفراد الأسرة.. فإن واجهنا حماة عسيرة لنبحث معها عن ألفة وانسجام، أو تجاهلها بالمعروف، (نريد العنب لا مشاجرة الناطور).

العيش مع أهل الزوج/ الزوجة يتطلب فناً وحكمة، وتجنب العيش معهم يبقى الطريق الأسلم، فإن كان ولا بد، يستحسن وضع النقط على الحروف من توزيع المهام بقصد الانسـجام وبالتحاور

والصبر واللطف تـدوم العلاقات، لأن الزواج أثمن من أن يذهب مـع أدراج الرياح لأجل خلافات ومنغصـات قابلة للحل، الكلام اللين مع الرفق والهدايا تهوّن المعضلات وتليّن الأمور بعون الله.

قال رسـول الله ﷺ : «تهادوا تحابّوا» – حديث صحيح رواه البخاري.

إن رغبة الزوج بالتعدد لها إيجابيات وسلبيات، والإيجابيات أكثر بكثير لو كنتم تعلمون، عدا أنها فطرة فطر الله الرجال عليها ولا يأتي من الله إلا الخير، وحاشا لله أن يُشرع شريعة للناس تؤول بهم للهلاك، قـال الله العزيز الحكيم: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت:40].

وإن الظلـم يكون بالاعتـراض وطلب الإنفصـال ومحاربة الحلال، وهذا ليس من فعل أهل التربية والإيمان، بل الرضا بقضاء الله وقدره، الحياة كلها لا تجري إلا بمشـيئته سبحانه، فنقول: قدر الله وما شاء فعل ولعله خير.. نحن نريد أن نكون مع الله في العسر واليسر، فمن صبر صبره وأعانه الله عز وجل، ومن عارض وحارب خسـر الدنيا والآخرة، ولا يجوز شـرعاً للمرأة الاعتراض وطلب الطلاق لأجل ذلك.

قــال رســول الله ﷺ : «أيُّما امرأةٍ ســألَتْ زوجَها طلاقَها في غيرِ ما بَــأْسٍ؛ فحرامٌ عليها رائِحةُ الجنــةِ». -حديث صحيح. كما لا يجوز للرجل اســتغلال ذلك والقســوة والميل عن العدل وترك الأبناء دون اكتراث بالمســؤوليات، كما أن عليــه احتواء الموقف وتقدير مشاعر زوجته وإرضاءها ما استطاع، والفرس من الفارس.

تدخّــل الإخوة والأهل بيــن الزوجين فــي حياتهما وطريقة معاشــهما لا يجوز البتــة إن كان تطفلاً، الحيــاة الزوجية تبقى بين الزوجيــن، وللبيــوت أســرارها وحرمتهــا، نلاحظ بعــض الناس يتدخلون بين الأزواج جهلاً أو حســداً أو بســببهما معاً، وينصّبون من أنفسهم مســؤولين، وهذه الأعمال ستعود شــراً على صاحبها يوما ما، وقد تعود بظلالها على أبنائه وأحبابه، وعند الله يوم التلاقي سيجدها.

عــن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبــي ﷺ : «ليس منا من خبّبَ امرأةَ على زوجها» – رواه النسائي في السنن الكبرى.

الخلاف الزوجي لأجل امتلاك منزل يأوي الأســرة ويجنبها همــوم الإيجار وعدم الاســتقرار لا خلاف بأنه فــي غاية الأهمية! ولكن الأهم معرفة أن نشــوب الخــلاف والنزاع لن يجلب المنزل

أو يعجـل به، التحاور يكون برزانة ورشـاد وفقـاً للمعطيات دون مقارنـات هدامـة ودون تعقيدات، والسـعي لإيجـاد الحلول مع الشـريك، والصبـر لا يأتـي إلا بالخير، لا ريب جميعنـا يحبذ أن يمتلـك منزلاً كريما يسـتره ويغنيـه عن الناس، ولكـن الأماني لا تتحقق دائماً والغلاء المعيشـي يزداد، قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [النساء:32].

إن تقصير الرجل في النفقة على المنزل والزوجة، والشح في الرعايـة، والمنّ بالعطية، وبخس أعمـال الزوجة، وبخس الزوجة لأعمـال الـزوج، جميعها أبـوابٌ تفتـح عمل الشـيطان وتؤجج الخلافات وتزيـد الصراعات... فمن جعل من بيته سـاحة حرب فأين سيجد السـلم وراحة البال، لكل منا واجباته ومسؤولياته ولا تصـح إلا بأكمل وجه وأفضل أداء، لأن الحياة قائمة على المبادئ والأخلاق، قال الله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾ [البقرة:228].

الطلاق

على الزوجين هجر كلمة (طلاق) ونسيانها وعدم التلفظ بها لا مزاحاً ولا تهديداً ولا جداً ولا تذكيراً، فهي كلمة سهلة الخروج عظيمة البلوى، فإنها إن وقعت مزاحاً أو جداً فقد وقعت ولا رجعة فيهــا ولا يقبل الاعتذار، وقد نبه وحذر منها رســول الله ﷺ فقال: «ثــلاثٌ جِدُهنّ جدٌّ وهزلُهُــنّ جِدٌّ: النكاح والطــلاق والرجعة» — صحيح أبي داود. وقد أودع الله ســبحانه هذه الكلمة وجعلها عند الرجال دون النســاء لكي تحفظ عن الخــروج وتحفظ البيوت من الشتات ولا تُرمى في كل وادٍ وحين.

الطــلاق ليس مبــدأه الحــرب والأذى والأحقاد وتشــميت الناس وإلحاق الأذى بالآخر بل تســريح بإحســان. وليس تشهيراً لإثبــات المخطئ وفضحه ولصق العواقــب عليه، بل تجربة بدأت وانتهــت، والتجارب في كل المحاولات لها بدايات ونهايات منها فاشــلة ومنها ناجحــة، ومن دفع بالتي هي أحســن وصفح الصفح الجميل وكان مع الله فلن يضيع.

قال تبارك وتعالــى: ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا ﴾ [الأحزاب:49].

وعن عَليٍّ رضي الله عنه قال: (أحبِب حبيبَك هَونًا ما؛ عســى أن يكونَ بغيضَك يوما ما، وأبغِض بغيضَك هَونًا ما؛ عســى أن يكونَ حبيبَك يوماً ما) – أخرجه الطبري.. وقد كانا معاً ولعلهما يعودان معاً يوماً ما. إذا اشتد الخلاف وضاقت الأنفس وانطفأت القلوب ثم لا قدر الله وقــع النــزاع أو الطلاق، قــال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُــواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَــةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡــكَ حُــدُودُ ٱللَّهِۚ ﴾ [الطلاق:1]، فلا يصح اخــراج الزوجة من المنزل، بل تترك في منزلها والرجل يجد غرفة أخرى أو يغادر لفترة مؤقتــة لعل الله تعالــى يحدث بعد ذلــك أمراً.نحتاج بعض الوقت لإعادة رســم الطريق لعلها تهدأ النفوس وتعــود المياه لمجاريها، وقد اعتزل النبي صلى الله عليه وسلم زوجاته وهجرهن شــهراً، ثم عاد إليهن رضي الله عنهن.

إن كان لا بد من الطلاق فلنستنفذ جميع السبل الكريمة لكيلا نندم بعدها ونتحســر، ومن هذه الســبل دعوة أهل الدين والصلاح لإصلاح ذات البين وهذا أمر الله عز وجل، ولنســتعن بالصلح ولا

نتكبـر على المصالحة، وإن أحسـت الزوجة مـن زوجها الكراهة والجفاء فلتسع لتغير سـلوكها للأحسن، وتبدل القبيح بالحسن ما تستطيع من صفات وعادات ليعود الود بينهما، فإن وجدت الطريق مسدوداً فلا تلتجئ للطلاق والشقاق بل إلى ما يحفظ حبل العلاقة الزوجية لعل الماء يعـود لمجراه يوماً، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُـوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّـحَّۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء:128].

أغراض وممتلكات الزوج/ الزوجة الشخصية أمانة وأخذها سرقة وتعدٍ، وليس من حق أحدهما منع الآخر حقه أبداً فالمسلم لا يسـرق ولا يكذب ولا يخون، نردهم بإحسان وعجلة دون نقصان أو ضرر. لأنها أمانة في أعناقنا، وعند ردهم نُشهد الأهل أو الناس علـى ذلك إن وجدت الفرصة، قـال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء:58].

كذلك الصداق/ المهر/ الذهب من حق وملك المرأة فالمهر كان مستحقاً عند أول الزواج، والتراخي برد الحق والمهر مماطلة آثمة وظلم وسـرقة لحقوق الناس. والقضاء الشـرعي هو الفاصل للنزاعات فـلا نتبع المزاج وبعض الأقاويل مـن الذين لا يفقهون حديثـاً، والتعدي على مهر المطلقة/ الأرملة وأموالها والمسـاومة

والتعجيز على ذلك من أشـنع الصفات وليست من أفعال الرجال بشيء، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا ﴾ [البقرة:229].

لا يحق للوالدين عرقلـة رجوع الزوج لزوجه أو منعهما من ذلك، فالزوجان أعلم بحالهما من غيرهما وقد أذن الله تعالى لهما بالرجـوع والبـدء من جديد فالصلح خير. كمـا أن الذي لا ترضاه لنفسـك فلا ترضاه لابنتك أو ابنك، قال تعالى: ﴿لَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:232].

فكم من أسرة حبست ابنتها عن زوجها حقداً فتشتت الأسرة ظلما وضاع الأبناء بينهما، وكم من أسـرة طيبة راشدة لمت شمل ابنتها مع زوجها فعاشا معاً وأنجبا براعما كريمة بفضل الله.

لا يجوز الانتقام من الأطفال بسبب الطلاق فنضرهم أو نقسو عليهم، وهم على ما هم فيه من الخيبة والفراق والنقص والشتات، ولنحـذر من إهمالهم لأنهم بأشـد الحاجة لنا بكل ما تعنيه الكلمة أو سـيجدون ما يعوضون به النقـص من خلال طرق لا يعلمها إلا الله، ولا يحل مطلقاً حرمان الأطفال من والديهما فهذا عين الظلم، والأبناء ليسوا ورقة ضغط نضغط بها على أحد الأطراف قبل أو بعد الطلاق وقد قـال تعالى: ﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا ﴾ [البقرة:233]. فأطفالنا فلذة أكبادنا وأمانة في أعناقنا.

النفقة علـى المطلقة والأبناء واجبة وهـي دين بذمة الزوج، وأمانة بذمة الزوجة، ولا يحل لها هدر المال والسرف ووضعه في غير موضعه، والقانون هو الفاصل، فالنفقة بالمعروف كما تعارف عليـه الناس، ولا يجوز للمرأة اسـتغلال النفقـة فيما لا يرضي الله تعالى والبخل أو حرمانها عن الأطفال... لا ضرر ولا ضرار.

قال رسـول الله ﷺ : «ما من يوم يصبح العبادُ فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعطِ منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعطِ ممسكاً تلفاً» — حديث صحيح رواه الإمام مسلم.

إفسـاد الأزواج على بعضهما البعض من أقبح الأعمال التي تشـابه مسـالك الشـيطان الذي يفرق بين المرء وزوجه، ومن كان يظن أن التفريق ضرورياً فالتفريق بينهما لا يكون إلا بشروط معتبرة عن طريق أهل العلم القضاة بميزان الشرع مثل: شرب الخمر، ترك الصـلاة، اقتراف الكبائر..، لا بميزان الهوى والعصبية أو الحسـد والحقـد، لا يجوز بتاتـاً هدم البيوت وتشـتيتها وقطـع العلاقات والأرحـام لأجل خلافات شـخصية أو أسـرية انقلبـت انتقامات وعداوات بربرية، قال ﷺ : «..ومن أفسدَ امرأةً على زوجِها فليسَ منَّا» - أخرجه أبو داود والنسائي.

الخيانة

الخيانة تعني الهدم... هدم آخرتك، سمعتك، مستقبلك، تاريخك، حاضرك، حتى أنها تهدم الحبل الذي بينك وبين الله تعالى. غالبية الخونة حليفهم عاجلاً أو آجلاً الفشل والمرض وسوء السمعة وميتة السوء... لا دنيا ولا آخرة.. متاع قليل ثم الجحيم، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [يوسف:52]، فالخائن تائه الفكر لا يهتدي السبيل يتخبطه الشيطان يمنة ويسرة فيقود نفسه بنفسه للهلاك ظناً أنها الخلاص، والأسوء من يكرر الخيانات ظناً أن بعد كل هذه الطرق والمحاولات سينجو.

مهما كانت الأسباب الداعية للخيانة لا يصح مطلقاً استساغتها، ومن خاننا لا نصاحبه ولا نسانده أبداً، ولا نعينه على الخيانة بتاتاً، بل نقاطعه ونهجره، فلا خير في مصاحبة الخونة مهما كان قربهم منا أو سلطانهم علينا أو حاجتنا إليهم.

قال الله جل وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة:2]،

فلا يخون الخائن إلا لسوء الطبع وصحبة السوء ودناءة النفس، حتى الذي خانك إياك أن تخنه، فلا تجري مع الخائن مجراه.

قال ﷺ : «أدِّ الأمانةَ إلى مـنِ ائتمنكَ، ولا تخن من خانكَ» - صححه الألباني في صحيح أبي داود.

خيانتنا للشريك طمعاً أو كرهاً أو انتقاما مردها المتاعب والمصاعب والمصائب لا محال، ومنهم يتذرع بأن الثاني كان سيفعل المثل! وهذا لا يبرر المبادرة بالشر والعدوان بغير الحق، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى:42]، لأن الشر سيولد شراً، وكثيراً من وقع في شر أعماله، ولن ينفع الندم، الخيانة والغدر يمحقان البركة والتوفيق وضررهما كبير يجعلان النفس تائهة في الظلمات لا راحة لها ولا أمان لا تقر لها عين، ومن عاتب نفسه ولامها وأيقن أن النجاة وراحة البال لا تكون إلا برد الحقوق مهما صغرت أو كبرت فقد هدي السبيل وتغلب على النفس الأمارة بالسوء إلى النفس اللوامة، ولا يغرنا مرور الزمان وحلم الله علينا فالعاقبة أشد وأردى، إن الله يمهل ولا يهمل، وإن فقدنا صاحب الحق سارعنا برد الحق لأهله أو أحفاده أو أقربائه.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء:58].

الحجج والأسباب التي دعتنا وسولت بها أنفسنا الغدر والخيانة لن تخرجنا من دائرة الظلم والمحاسبة والذنب مهما كان، كما نحن لا نقبلها على أنفسنا من غيرنا ولا نرضاها، فكذلك الناس، والإنتباه من مسالك الشيطان التي أخرجت سيدنا آدم عليه السلام من الجنة، كما قال تعالى: ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ ﴾ [الأعراف:22]، عدا أن الفاصل بين النزاعات هو الشرع وليس النفس وأهواءها، لذلك ستبقى القضية معلقة إلى يوم الحساب إلا من سارع ورد الحق وتاب، أو سيحاسب حساباً عسيراً، ومن ظن أن لا عدل في الشرع الإسلامي أو ليس منصفاً فقد كفر بالله ورسوله وبئس المصير، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [النور:50].

ازدياد الغدر والخيانات وشيوع الكبائر في المجتمع لا يبيحها أو يجعلها مقبولة، ومن ظن أن بعض الناس يستحقون ذلك لسوء طبعهم وأفعالهم وأن أفعاله بهم مبررة جائزة.. لم يعلم

بـأن الغاية مهما كانت لا تبرر الوسـيلة، وأن يـوم القيامة جعله الله للمحاسبة والجزاء، فالله وحده هو الذي يحاسب ويجازي، فالدنيا دار ابتلاء وفناء والآخرة دار حساب وجزاء.

قـال الله تعالـى: ﴿ وَمَـن يَعْمَـلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَـرَهُۥ ﴾ [الزلزلة:8]، فالشـرير لا يعادي الناس فحسـب، بل أصبح يعادي الله الجبـار المنتقم، كما أن الشـرع القويم لا يجيز التقليد والسـير علـى طريق الظلمـة كائناً من كان، فالعقـلاء يتبعون خير الناس لا أسافلها.

الطمع

مراقبة الناس بشــغفٍ ومتابعة المغريات من مقتنيات، سفر، موضة، سيارات، ومطاعم، ومشاهير، وجميلات، وأماكن سياحية، وأجهزة حديثة، وحفلات... تجعلنا كالشارب من ماء البحر المالح لا يرتوي.

وكـنـت مـتـى أرسـلـت طـرفـك رائـــداً
لـقـلـبـك يـومـا أتـعـبـتـك الـمـنـاظـرُ
رأيـــت الـــذي لا كـلـه أنـــت قـــادر
عـلـيـه ولا عــن بـعـضـه أنـــت صـابـرُ

لا ريب أن أساسـيات والتزامات الحياة تزداد، لذا نحتاج أن نتفادى الطمع والتنافس والانغرار بالمنتجات سعياً لمواكبة الحياة والعيــش بكرامــة دون ديون وهموم (أَوَ كلما اشــتهينا اشــترينا)، والمستحســن: الاقتصاد في المعيشة، معرفة فضل ونتائج القناعة، عــدم النظــر إلى ما عنــد النــاس، التقليل مــن زيارات الأســواق والمــولات، النظر إلى من هو دوننا في الدنيــا، قال ﷺ : «انظروا

إلى من هو أسـفلَ منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقَكم، فإنه أجدَرُ أن لا تزدَروا نعمة اللهِ عليكم» - سنن الترمذي.

أصحـاب المطامـع لا يهدأ لهم بـال، ولا تهنأ لهم عيشـة، تراهـم أغنياء المظهـر فقراء الجوهـر، لا يرضـون لغيرهم الغنى ولا النجـاح، أبصارهم تلاحق الجميع، يترصـدون معاش الناس وأحوالهم يرجون الدنيا وما عليها ويحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله، والحسـد يولد البغي والفسـاد والطلاق والخيانات والعداوات بين الزملاء والشركاء والإخوة والأقارب والأزواج.

قال الله سـبحانه وتعالـى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّـنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُـمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُـواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْۗ ﴾ [سورة ص:24].

ورواج هذه العادات التي سببها فساد الطباع يسببان الويلات للمجتمعات من حروب وبلاء وغلاء وعذاب.

الطمع التحسـر على المفقود بدلا من شكر الله الكريم على الموجـود، كما أن الحكيـم من يعدّ النعم بدلاً مـن عدّ النواقص، ويشـكر الله الرزاق في جميع الأحـوال، لأن عطاءه نعمة وحرمانه لنـا نعمة، كمـا جاء في الطبرانـي عن عبد الله بن عبـاس مرفوعاً:

«ربما ســألني ولَيِّي المؤمن الغِنَى فأصرفه إلــى الفقر، ولو صرفْتُه إلى الغنى لكان شــرا له، وربما سألني وليي المؤمنُ الفقر فأصرفه إلــى الغنى، ولو صرفتُه إلى الفقر لكان شــرا له»، فبعد تقدير النعم والشــكر عليها يأتي الرضى وبالرضى تزداد النعم وتبارك، كأقوياء الشــخصية أصحاب البصيرة والأهداف لا طمعَ لديهم بل عندهم شــغفٌ وعزيمة ورضى، لا ينظرون الى الثرى بل الثريا، أغنياء عما في أيدي الناس إلى ما عند الله الكريم الوهاب، يغبطون الناس ولا يحسدونهم.

ومعنــى **الغِبطَةُ:** (تَمَنِّي المرء أَن يَكُونَ لَــهُ مِن النِعمة مِثْل ما لِغَيرِهِ، مِن غَيرِ أَن تَزُول عَنِ غيره) – الجمهرة.

لماذا نجـد الخيانات والغــدر والجرائـم والفواحش؟ لأن هناك أناســاً لم تســتطع كبح جمـاح الطمع والشــهوات حتى ران على قلوبهم وعقولهم ذنوبهم فأوقعوا أنفسهم في وادي المهالك، ومهمــا حاولنا إيقاظهم وإرواء عطشــهم لن نســتطيع لأن النفوس والقلــوب أصبحت كالحجـارة قال تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ [البقرة:36]. كما أن بعضهم يباع ويشترى لأجل مطامعه وشهواته، ومنهــم من يتجبر ويتكبــر أيضاً ولا حد لــه إلا بهلاكه كما حدث لفرعون وحاشيته.

مــن راقــب الناس مــات همــا، علينــا تجنب النظــر للناس ومعاشــهم بل ننظر من هم دوننا ونساعدهم ونقف معهم ولنجعل مرادنا الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل، ولننشغل عن المغريات ونترك عنا الحســد والحقد والتنافس بشــكر نِعم الله العظيمة، قال صالح الدّمشــقيّ لابنه: (يا بنيّ، إذا مرَّ بك يوم وليلة قد سلم فيهما دينك، وجسمك، ومالك، وعيالك فأكثِر الشّكر للهَّ تعالى، فكم من مســلوب دينه، ومنزوع مُلكه، ومهتوك ســتره، ومقصوم ظهره في ذلك اليوم، وأنت في عافية).

قــال الله تعالــى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَــةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُــورٞ رَّحِيــمٞ ﴾ [النحل:18]، كما أن ســورة النحل من الســور العظيمة التي تعدد وتوضح نعم الله علينا الظاهرة والباطنة.

الاختلاف والنزاع

الجهل، العناد، الكراهية، حب الانتصار، والإلحاح والصراخ جميعها عوامل جالبة للخلاف تعيق التقدم وتزيد من الشـقاق، لن ينتصر صاحبها مهما ظن أنها الحل والخلاص ولا تعني الشـجاعة ولا قوة الشخصية لأنها تعاكس الحكمة والصواب والصبر .

قال نبينا الكريم ﷺ : «إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكونُ في شـيءٍ إِلَّا زانَهُ، ولا يُنْزَعُ مِن شيءٍ إِلَّا شانَهُ» – حديث صحيح رواه الإمام مسلم.

مهمـا كنا أصحاب فكر ووسـامة وحذاقة وأسـلوب وثقافة وخبرة وعلم سـنقع لا محالة في وحل الخلاف لأنها سنة الحياة.. فـلا نجزع بل لنأخـذ الأمور ببسـاطة وسـلامة، ونهجرهم هجراً جميلاً، ونقول لهم قولاً كريما، ولنصفح صفحاً جميلاً، لأن ذلك ديـدن العقلاء، وبعد أن حاولوا قتله، ثم نفوه عن أهله وموطنه، ثم باعـوه بدراهم معدودة، ليصبح عبداً مملوكاً، ثم يسـجن، وتضيق عليه الحياة، وبعد سـنوات وسـنوات من القهر والذل والسـجن، يأذن الله له لتأتيه الفرصة ويصبح سـيداً عزيزاً، ثم يتمكن من الذين ظلموه، وهذا ما قاله وفعله معهم حين سنحت له فرصة الثأر.

قـال الله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٩٠ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ [يوسف:90-92].

وهذا تماماً ما فعله نبينا وسيدنا وقدوتنا محمد ﷺ حين جاء بجيشه الجرار إلى مكة المكرمة، قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما : «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة، صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أهل مكة، ماذا تظنون، ماذا تقولون؟ قالوا: نظن خيراً ونقول خيراً: ابن عم كريم قد قدرت، قال: فإني أقول كما قال أخي يوسف: ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾» [يوسف:92]، أخرجه ابن مردويه.

ليس كل من يخالفنا يكرهنا! هذه الأفكار من أكثر الأفكار شيوعاً ولكنها للأسف لا تمت للحقيقة بصلة، هناك مثلٌ عربيٌ يقول: (صديقُك من صدَقَك لا من صدَّقك). المعنى: ليس كل من وافقك هو صديقك، بل صديقك الذي يصدق القول معك وإن كان مُراً، ينصحك بأمانة دون محاباة، النصيحة تكون بود واحترام ورشاد... لا بعنف وقتال وصدام، فالأصل يا أحبة أن نسمع إلى

المخالـف بـكل نضوج وتروٍ وسـعة صدر، لا تأخذنـا الحمية ثم نحكم على الطرف الآخر بالمعارض والحاقد... الأمور أبسط من ذلـك ولا تحتاج إلى كل هذه الألقاب والاتهامات، وإن قال قائلٌ: إنه يقيناً يفعل ذلك بدافع الكراهية... نقول: اسعى إلى الحوار معه بعد السـماع منه حتى يفرغ كل ما بجعبته ثم نرد عليه بعقلانية وفن وحكمة. وبهذا تستقيم الأشياء وينجلي الغمام بعون الله.

حدث خلاف بين المشـتري والبائع يومـاً، والبائع يريد منه مالاً، فقال له: أعطني حقي، فأجابه: لا حق لك عندي، فأعاد البائع السـؤال ببسـاطة: (تدفع هنا أم في الأعلى، قـال الآخر: أين هذه! فقـال البائع: عنـد الله، قال الآخر: بل في الأعلـى.. ثم غادر، وما أن حـل الليل، إلا الأخ الفاضل جاء للبائع قائلاً له: خذ حقك هنا والأن أفضل من الأعلى).

الأرحـام أولى النـاس بنـا، لا نقطع الأرحـام لأجل بعض الخلافـات والمهاتـرات، ولا نسـعى بتدميرهـم، ولا نقـف عند الخـلاف ونكرر ونذكر ونتذكر الخلاف، ثم نجعلها قضية عالمية، خاصة مع الأسـرة والأهـل والأقارب، بل نطـوي الصفحة ونبدأ صفحـة جديـدة بيضاء بعـد رد الحقـوق والذمة فهي مـن وظيفة المصلحين ثم القضاء.

قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:237]، وخيركم خيركم لأهله لأقاربه لجيرانه.

إن منكم منفرين، خاصةً أولئك الذين يدعون للإسلام بهمجية وشراسة وحدة، يدعون للتكفير والنفاق أكثر من الهداية والبيان. الرفق معدوم بحجة الناس لا يفهمون يخرجون البعض من الملة ويجعلون في الباقي العلة وهم لا شك بعين أنفسهم صفوة الصفوة وهنا تكمن المشكلة بأننا نرى العيب بالآخرين لا بأنفسنا، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:104]، كما أن حمية الجاهلية مرفوضة بين المسلمين أو حتى مع غيرهم من الملل لأننا خير أمة أخرجت للناس. الدعوة لها أصول ورجال لا أطفال ومرضى.

الإنسان ذو الأخلاق والمبادئ الواعي الماهر يسمع ويعي من غير زعيق وفجور واتهام ونزاع، بتروٍ يحاور ثم يقف أو ينسحب ببراعة وسلامة، ولنعلم بأن الخلاف هدفه البناء والثمار لا الهدم والخراب، فلا نتشدد ونتعصب ولنعلم بأن المفاهيم والمدارك تتباين من إنسان لآخر، قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الزخرف:32]؛ درجات فكرية، مادية، اجتماعية، إيمانية..

نختلـف ولا نفتـرق، نتجـادل بإحسـان وسـماحة، نتكلم ونسـمع، ولا نعكـر صفـو الوداد، كمـا أن قولي صـواب يحتمل الخطأ وقول الطرف الثاني خطأ يحتمل الصواب. الشـقاق وفجوة البعد والتحزب والخصام جميعها دلائل سـوء إدارة الخلاف، لأن الخلافات تحتاج لحكمة وسياسة كما قال خير الناس ﷺ : «ليسَ الشَّـديدُ بالصرعَةِ ، إنَّما الشَّديدُ الَّذي يملِكُ نفسَه عندَ الغَضبِ» – حديث صحيح رواه الإمام مسلم.

فلننتـق كلماتنا ولنراجع طريقتنا في الحـوار والرد ولا نترك طابعاً سيئاً عند غيرنا، فقد نجد عواقبها في المستقبل.

أنت علـى حق ولكن الأسـلوب والكلمات تجعلنـا أحياناً علـى خطأ فالصبـر والحلم والعقلانية مؤشـرات وعوامل إيجابية لنصـرة جانب الحـق وتصحيح الخلاف أو تجنبه قـال الله تعالى: ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَـنُ ﴾ [فصلـت:34]، فالرجولة والرفق في الحديـث والتعامل والطلب من حسـن الإيمان والمخطئ من ظن أن اسـتعمال الرفق في سـائر الأحوال نقيصة وضعف، قال رسول الله ﷺ : «إن الله رفيقٌ يحب الرفق، ويعطي على الرِفقِ ما لا يعطي على العنفِ» – حديث صحيح.

الخلاف لأجل أفكار ومبادئ خارجة عن إطار الإســلام لن تأتي أكلها أو ينتصر صاحبها مهما ظن أو فرح، مثل الذي يشــجع الاختلاط والانفتاح والتعارف قبل الزواج أو يتمنى تطبيق الأفكار الغربية الصليبية في مواطننا، أو يسعى لتعليم اللغة الغربية للأطفال قبــل تثبيــت العربية، كل هــذا وغيره مــن أفكار هدامــة للثقافات والعادات والديانات باطلة وما بني على باطلٍ فهو باطلٌ.

الخلاصة: من وافق الإسلام أولاً ثم (الفكر العربي الأصيل النبيــل) فهو على حــق، ومن خالفهما فهو علــى باطل. والخلاف شر.

لــكل مقام مقال، إن كان هدفنا من الحوار مع الطرف الآخر تأجيجــا للصراع وبخــس النظريات وإثبات الــرأي لا الحق فهذه بــوادر عقيمــة خاصة إن كانــت ضمن الاجتماعات والمناســبات واللقاءات العامة، لأننا قد نجادل البعض انتصاراً للنفس، أو بغضاً لشــخص ما، فالنفس أمارة بالسوء، وهذا يعكس **المماراة**، جاء في المعاني: مارى الشَّــخصُ الشَّخصَ ناظره وجادله، نازعَه وخالفه: مارى أستاذَه في رأيه.

قال تعالى: ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا ﴾ [الكهف:22].

لذلك علينا بحكمة كسب القلوب لا المواقف، كم أننا قد نخسر النقاش والناس لأجل أساليب لا نراها بأنفسنا من قسوة أو صراخ أو عنف أو عناد، فالبعض يحتاج لليونة ورفق، وبعض العقول تحتاج لأمثلة وبراهين، ومنهم من لا يرضيه إلا الأفعال الصادقة لا الأقوال الخادعة، وآخرون لا يرون الحق إلا معهم مهما كنت فصيحاً بليغاً رفيقاً فلا تقعد معهم، لأنه ﷺ كان أفصح العرب وأفضل الخلق شكلاً ومضموناً وصهراً ونسباً وعلما وأسلوباً ومع ذلك حاربوه وقاتلوه.

قبل الترويج لنفسك أو حزبك أو علمائك أو أفكارك أرجوك ابدأ في تعلم أخلاق الإسلام وسلوكياته أولاً...راجعها ثم أتقنها ثم طبقها ثم انطلق، ولا تنطلق بين الناس متحدثاً ومروجا وأخلاقك غير مشرفة، وإن اردت تقيم نفسك راجعها عند الخلاف ومع المعارض لأفكارك! ولنعلم أن العلم والأخلاق بحران لا ساحل لهما، قال ﷺ : «إنما بُعِثتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ» – رواه البزار.

كما أن الأخلاق النبيلة بوابة الفلاح والنجاح في كل مكان وزمان، كما أن المتعلم الخلوق قليل الجدال والخصام وقد قيل: (من كثر علمه قل خلافه، ومن قل علمه كثر خلافه).

الفجـور والبـذاءة والأذى مع المخالف ليسـت من أخلاق النبـلاء حتى مع العدو لأننا قد نضطر إلى السـلام معه والهدنة في وقتٍ لم نحسب له حساباً، والمسلم يعكس صورة الإسلام في كل وقـت وحين، كما قال ﷺ : «لَيسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحشِ وَلَا البَذِيءِ» - حديث صحيح رواه الإمام أحمد.

كمـا أن اللعـن خاصة من المظاهر السـيئة التـي تعود على قائلها بالسوء وهو لا يدري، كما قال ﷺ : «لعنُ المسلم كقتله» - حديث صحيح.

لا يعلـم مافي القلـوب إلا الله علام الغيـوب، فلا يصح أن نسمع اتهامات عشوائية كيدية على فلان وفلان لمخالفته بعضاً من أقوالنـا أو أفكارنا، لأن الخلاف وارد، والناس مشـارب ومواطن تختلف مفاهيمها وتختلف مدارسـها وعلماؤها بإختلاف موطنها ومنشأها، فلننظر بإيجابية ورحمة إلى الناس رحمكم الله، ولا نقول عياذاً بالله أن فلاناً منافقٌ، فاسقٌ، كافرٌ، مبتدعٌ.

قـال أبـو ذر الغفاري رضي الله عنه : عـن النبـي ﷺ : «لا يَرمِي رَجُلٌ رَجُـلًا بالفُسُـوقِ، ولا يَرمِيهِ بالكُفـرِ؛ إلَّا ارتَدَّت عليـه إن لَم يَكُن صاحبُهُ كَذلك» — حديث صحيح رواه الإمام البخاري.

ونتعجب لهذا الحقد والإستعجال في أسقاط الناس وهدمهم بالكلية، والسلامة تكاد لا توجد، لأن كل العلماء والناس تخطئ وتصيب لا محالة.

عن الحكم بن عتيبة قال: (ليس أحد من خلق الله إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي صلى الله عليه وسلم) - أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله.

لا تغلوا في نبيٍ كالنصارى مع سيدنا عيسى عليه السلام ، ولا تغلوا في صحابيٍ كالشيعة مع الحسين رضي الله عنه ، ولا تغلوا في شيخ أو طريقة كالصوفية، لا تغلوا في قائد كالعلوية والأكراد، لا تغلوا في فكر كالعلمانية والشيوعية، لا تذهبوا أعمالكم سدى وتجاوزوا الحد في وطنٍ، في رأيٍ، في حاكمٍ، في عالمٍ، في جنسيةٍ، في قوميةٍ.. قال تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77].

الكذب

قال الشاعر:

لا يـكـذب الـمـرء إلا مـن مهانته

أو عـادة الـسـوءِ أو مـن قـلـة الأدبِ

لـبـعـضُ جـيـفـةِ كـلـبٍ خـيـرُ رائـحـة

مـن كـذبـةِ الـمـرء فـي جـدٍ وفـي لعبِ

الكذب ليس من صفات الشجاع ولا الصالح ولا الحكيم ولا الناجح، كذلك الرسل لا تكـذب ولا حتى أصحابهم أو أتباعهم، لذلك هم من خيرة الناس، والصدق يجر إلى الخير.

قال ﷺ : «عليكم بالصِّدقِ فـإنَّ الصِّدقَ يَهدي إلى البرِّ وإنَّ البـرَّ يَهدي إلى الجنَّـةِ وما يزالُ الرَّجلُ يصـدقُ، ويتحرَّى الصِّدقَ حتَّى يُكتبَ عنـدَ اللهِ صدِّيقًا، وإيَّاكم والكـذبَ فإنَّ الكذبَ يَهدي إلـى الفجورِ، وإنَّ الفجورَ يَهدي إلى النَّـارِ ،وما يزالُ العبد يَكذبُ ويتحرَّى الكذبَ حتَّى يُكتبَ عندَ اللهِ كذَّابًا» - صحيح الترمذي.

قـال أبو الدرداء ﵁ : «يا رسـول الله، هـل يكذب المؤمن؟ قـال: لا يؤمن بـالله ولا باليوم الآخر من حـدث فكذب» - كتاب الصمت لابن أبي الدنيا.

المؤمن ثقتـه العمياء بالله عز وجل تجعلـه يجد في الصدق النجاة والقوة، لأنه ذاق وعاش واعتاد على ذلك، بعكس من اعتمد على شيطانه فأنقذه مرة أو أكثر ثم استمر فوقع في شر أعماله وشوه سمعته، وليس من السهل إعادة بناء صورة وسمعة لامعة ناصعة.

سـمعنا ورأينا عن تجار ورجال أعمال ناجحين تميزوا بعدم الكـذب فبنـوا مع الناس والعمـلاء ثقة كبيرة صعـدوا من خلالها سـلم النجـاح، والله ولي التوفيـق، لأن الناس ترغب وتستحسـن أهل الصـدق وترغب عن أهل الخداع والكـذب، كلنا نذكر قصة سيدنا موسى ﵇ ، حين كان في أشد الحاجة إلى المأوى والعمل والمطعـم، لا يملك شـيئاً، بل كان هارباً مـن بطش فرعون، وجد امرأتان تحتاجان لمسـاعدة فسـعى لهما بصدق وأمانة ولم يسأل عن الأجرة والثواب، وبذلك طلبوه واستأجروه وزوجوه، ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [القصص: 26].

(الصراحة) راحة، فالصدق راحة وثواب من الله، ولا تأخذنا الصراحة إلى الوقاحة عند مصارحة الناس في أشياء لا يصح قولها أو مشـاركتها مثل الدمامة، الفقر، قلة العلم، الكراهية، علة جسدية أو عائلية أو عزيمة أو مناسبة، فالناس تحب المتغافل الذي لا يذكر إلا محاسـنها، وقـد قال الحكمـاء: (ما زال التغافل مـن الكرام). وقـال الله تعالى عن فعل رسـول الله ﷺ: ﴿وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ﴾ [التحريم:3]، فلا نصارحهـا إلا بجميل الكلام، «لا يحلُّ الكذبُ إلَّا فـي ثلاثٍ: كذِبُ الرَّجلِ امرأتَـه ليرضيها والكذبُ في الحربِ والكذبُ ليصلِح بينَ النَّاسِ» – رواه ابن حجر العسقلاني.

إذا واجهنـا أمراً في تجارة أو علاقة أو قضيـة ما، ثم التجانا ببعض الكذبات الصغيرات أو الكبيرات للخروج من الأزمة بسلام نكون بذلك قد ظلمنا أنفسنا عدا أن قدراتنا لن تنمو ومكانتنا لن تعلو لنصبح ذوي قوة وقيادة، لأننا ضعفنا عند المواجهة وجمّدنا مدارك العقـل والقلب في الرد والحوار والتوضيح، والعكس صحيح، إذا تجنبنـا الكذب وتواجهنا مـع الآخرين بالحقيقـة واعترفنا بالخطأ وصارحناهم بلأعذار والأسـباب، لوجدنا لذة الصدق والطمانينة عندهـم والثقة بالنفس عندنا، كمـا كنا لا نتصورها أو نصدقها كما روى النبـي ﷺ في قصة أصحاب الغار: «لا ينجيكم إلا الصدق»،

هناك مواضع لا يصح فيها إلا الصدق، ومواضع قد يفقد الإنسان حياته بالكلية أو أهله فلا ينفع حينها إلا الكذب، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل:106].

وحدث أن النصيرية وأعوانهم زمن الحكومة الأسدية كانوا يقتلون المسلم إن لم يؤله أو يسجد لصورة بشار الأسد، كذلك في العراق إن لم يطعن بعائشة رضي الله عنها أو يسجد لصورة سيدنا الحسين، وليس للحسين ﷺ صورة فوتوغرافية!

إن أردت النجاح في كافة الأصعدة الدينية والاجتماعية والعلمية والأخلاقية والأسرية فلا تكذب ولا توعد وتخلف ولا تخن. وقد تنحرج أو تخاف فتكذب فتجعلهم يقعون على حقيقة الأمر لاحقاً لأن من علامات النفاق الكذب.

قال رسول الله ﷺ : «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ». - حديث صحيح.

لنحذر من فقدان ثقة الآخرين لأجل كذبة صغيرة أو كبيرة كانت، هناك أناس لا تنسى وتبقى تتذكر الكذبة وصاحبها وإن تاب صاحبها وندم، حتى أن العلاقة قد تنهدم كلياً لأجل ذلك ولن ينفع الندم.

كمــا أن من أخطأ واعتذر نقبل اعتذاره ونتجاوز الأمر برمته، كما أن الكاذب قد يجرح سمعته بين الناس.

فلنمسك ألســنتنا ونرقب أقوالنا ونحفظ أحبتنا وسمعتنا من الضياع، هناك مقولة أجنبية تقول:

Never lie to someone who trusts you & never trust someone who lies to you.

الخوف – القلق

خوفنا مـن الحيـاة والمـوت والفقـر والمرض والفشـل والأشـرار والجن والإنس جميعها مرتبط بحبنا للحياة، وخشـيتنا من الله عز وجل، ومدى علمنا بسـنة نبيه ﷺ .. غلبة الخوف علينا عن الرضى بكل ما أصابنا أو سيصيبنا دليل سلبي على نقص العلم وضعف الإيمان وسوء الظن بالله تعالى، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت:30].

كلنـا نخاف حتى الجـن والدواب يخافـون الأذى والموت ويحاربـون لأجل الأمـان والطعام والـزواج.. ولكـن هل نواجه الخوف ليزول أم نتركه ليسـيطر علينا ويتحكم بنا! خياران لا ثالث لهمـا، وهل نتغلـب على الخـوف بإخافة النـاس وإلحاق الضرر والبغـي عليهم كما يفعل بعض الأشـرار الفجار من ترهيب العباد

والتسـلط على الأموال والأملاك حرصاً علـى النجاة وحباً للحياة ويتجاهلون عقاب الله المنتقم الجبار؟ فهذا الخوف سـاق المضرة والندامـة، ولن نميز الخطأ من الصواب ونتزن ونعلم حرمة الدماء والأموال والأعراض إلا بالقصاص من الظلمة والأشرار عن طريق ولاة الأمر الأخيار، وبالعلم الشـرعي عن طريق علماء الأمة الذين سـيحذرون هؤلاء الفجار، وينبهون الناس منهم، وسيخبرون ولاة الأمر عنهم، ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ [طه:114].

مخاوفنـا حقيقة أم توهم؟ لدي خوف دائمٌ من السـباع! هل أنت تعيش بين السـباع في الغابة لتخاف؟ هل هناك سباع يصولون ويجولون في الطرقات؟

ابحـث بواقعية عـن المخاوف وسـتجد أنها أوهامـا بعيدة عن الواقع في غالبيتها قد تسـلطت عليك، من المحتمل أن يكون مصدرها صديق أو رفقة أو كتاب أو إشاعات أو برامج تلفاز. مثال آخر، أنا سأفشـل! هـل تكذب وتحتال وتغش في شـؤون حياتك وتظلم النـاس وتعصي الله تعالـى وتعق والديك وتخـون.. طبعاً ستفشـل، لأن أفعالك هي السـبب لا غير ذلك، لذلك البحث عن المشـكلة وإيجاد الحـل هو نصف العـلاج والنصـف الباقي هو التطبيق والتنفيذ والانضباط.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت:30].

نعم نخاف من ارتكاب المعاصي والظلم والموبقات ونحسب حساب يوم الحساب وعذاب القبر والموت والسؤال.. لأننا نخاف الله رب العالمين.. نحبه ونخافه ونخاف أن نموت على الضلال فنندم حين لا ينفع الندم.. لأن الجزاء حينها الخلود في النعيم أو الجحيم، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [طه:124].

قال سبحانه أيضاً: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة:38]،فالخوف والقلق المستمران خاصة من الأوضاع الاقتصادية، الكونية، السياسية، الصحية، المعاشية، تصيبنا بأمراض نفسية ثم جسدية ونتاجهما الفشل والكسل والضياع والخوف... فالأولى محاربة الخوف والقلق بتغيير الصحبة الفاشلة واجتناب الأحاديث السلبية وإذاعات الأخبار والقصص البائسة والعادات الضارة... كما أن الأخبار أكثرها مبالغات وترهيب

تبث المخاوف لا الاطمئنان والأمان، عدا أنها تقلب الحقائق وتلفق التهم وتنشر المنكرات وتجعل الحق باطلاً والباطل حقاً، فلا نهمل متابعة المفيد من قصص الأقوياء والشجعان والخلفاء والقادة وقصص الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام، أيضاً قصص الصحابة الكرام عليهم رضوان الله، ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام:90].

لولا شجاعة الأنبياء وتغلبهم على المخاوف لما وصلت إلينا الرسالات السماوية ولا وصلنا الإسلام ولولا شجاعة الصحابة وصبرهم وصدقهم ومن بعدهم لما انتشر الإسلام في أرجاء المعمورة.. ولو خافوا الأمم وخافوا الفشل والفقر أو الموت لبقي الإسلام داخل مكة المكرمة، فهؤلاء سادة المسلمين وآباؤهم وأحبابهم وقدوتهم، وأصحاب نبيه ووزرائه، ونحن على آثارهم بعون الله وبهم نفتخر، كما قال الشاعر:

أولـئِـكَ آبـائـي فـجِـئـنِـي بِـمِـثـلِـهِـم

إذا جَـمـعـتـنَـا يـا جَـريـرُ الـمَـجـامِـعُ

فالنجاحات لا تكون إلا بالأمل والعمل والشجاعة والعزيمة. قال الله عز وجل: ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ [المائدة44].

نخاف أحياناً من الأشـرار والظلمة، فهم أهل الفساد والسوء ونوع من أنواع الابتلاء الذي لا يستهان به لتنقلب حياة الإنسان من النعيـم الى الجحيم، كالاحتلال مثلاً أو الحروب، وكبغي الأغنياء وموظفي الدولة أصحاب النفوذ على أبناء الشـعب والتسلط على أموالهـم والاعتداء علـى أعراضهـم، وكبغي الأشـرار أصحاب السوابق من مجرمين وسارقين على أبناء جلدتهم من اعتداء وسرقة وتعـدٍ، كفانا الله العزيز القوي شـرهم جميعـاً، فمن خاف قوما أو عدواً فإنه يشرع له أن يدعو كما دعا النبي ﷺ : «اللهم اكفنيهم بما شـئت»، «اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم»، فمن أقوى الأسلحة وأهمها عند الشجعان من أهل الإيمان مخافة الله وحـده، فـإن وجدت في القلب واسـتقرت، أزال الله سـبحانه ماعداها من مخـاوف مهما كانت، قال ربنا تبـارك وتعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:175].

مخاوفنـا من الأمـراض، الفقـر، الطلاق، البطالة، الفشـل، المـوت، الخيانـة.. قد تصبح واقعية إن اسـتمرت ولاقـت بيئتها المناسـبة في الفكر والقلب، لأن المخاوف مثل باقي الأحاسـيس تنمـو وتصغـر من كسـبنا لا يزرعهـا إلا مـن أرادها ومـال إليها، فالخوف الشـديد يعطل الحياة كلها، ويصدنا عن العمل والتوسع

والتطـور والتجارة وحتى عن الزواج، وقد تكون المخاوف واقعية لأسـباب عديدة ولكن يبقى الأمل موجوداً وكمـا أننا نذكر وننظر إلى الجانب السلبي، علينا النظر أيضاً إلى الجانب الإيجابي لنعيش بتـوازن فالإنصـاف مطلـوب، ولا ينصح بمصاحبـة الجبناء مهما كانـت منزلتهم الدنيوية أو قرابتهـم، فالجبان حيثما اتجه لا يفلح، لا إسلامياً، ولا اقتصادياً لا اجتماعياً، لا عائلياً، ولا عسكرياً، فهم يضعـون الأثقـال والأعباء علينـا حتى نغرق في بحـر المخاوف، وحتى النطق بالألفاظ السلبية لا يصح، أنشد القاضي ابن بهلول:

لا تـنـطـقـن بـمـا كـرهــت فـربـمـا

نـطـق الـلـسـان بـحـادث؛ فـيـكـون

عن عائشــة رضــي الله عنها أنهــا قالــت: «إِنَّ الْبَـلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْكَلَامِ» - رواه القاضي أبو يوسف في الآثار.

وكذلك يخشى على من عير أحداً بذنب أو بلاء أن يبتلى بما عيره به، عن ابن سـيرِينَ قال: (عَيَّرتُ رجُلًا بِالإِفلاسِ فَأَفلَستُ) - الآداب الشرعية.

الفساد

قال الجاحظ: لا تجالس الحمقى، فإنه يُعلق بك من مجالستهم يوما من الفساد ما يعلق بك من مجالسة العقلاء دهراً من الصلاح، فإن الفساد أشد التحاماً بالطبائع. الحقيقة أن الفاسد يحارب الله ورسوله، فالله سبحانه بعث الأنبياء بالحق ليقوم الناس بالقسط والعدل، وأما الفاسد يسعى لهدم ما يشيده الرسل بالبغي والطغيان وإرهاب الناس وأكل الحقوق بالباطل، قال الله سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾[البقرة:12].

الحاجة والفقر والمسؤوليات والأبناء والحياة والغلاء والزواج والمرض والديون والضرورة والشيخوخة جميعهم ليست أعذاراً شرعية أو قانونية لأن نكون مفسدين في الأرض ونأكل حقوق الناس ونتعدى على الآخرين، كمن يقول عندي مسؤوليات وحياة أعيشها ولا كسب لي إلا أن أشارك الفسدة في فسادهم وأتسلط على العباد لكي أغني نفسي وأهلي عن الحاجة والمذلة، وكثيراً ما نرى ونسمع عن هذه العينات الفاسدة التي

ستذوق الخذلان والعار والندامة عندما يقعون في شر أعمالهم، وسيقعون في شر أعمالهم لا محالة فهذه سنة الحياة، قال الله تعالى: ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء:227].

الفساد لا يقتصر على أشياء دون أشياء، فالموظف الذي يرتشي ويعرقل سير العمل على العباد والبلاد يعتبر من أهل الفساد، المسؤول، الشرطي، الضابط، الحاكم، الذي يستغل سلطته ونفوذه لمنافعه الشخصية والعائلية ويستعلي على الناس بسلطته ويهمل وظائفه ولا يحقق الهدف المرجو منه يعتبر أيضاً مفسداً في الأرض، والوالدان اللذان يتركان أبنائهما يصولون ويجولون في أذية أهل الحي يعتبران من أهل الفساد في الأرض، وكذلك المدير الذي يضيق على موظفيه ويظلمهم ويأكل حقوقهم حسداً وظلما يعتبر مفسداً، وهكذا كل من طغى وبغى وارتشى وتجبر وتكبر وأضر وأذى العباد والدواب يعتبر من المفسدين في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [البقرة:205-206].

شعارات أهل الفساد لا تعدّ ولا تحصى، وكلها عند السفهاء تلامس القلوب وتأخذ منها مكاناً في الفكر والمنطق أحياناً،

ينخدعــون بهــم وما يلبثــون أن ينفحوا عنهــم ظنا أنــه الحق، إلا المؤمنون فهم على نور من ربهم.

ومن هذه الشعارات ما قاله فرعون: ﴿ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر:29].

وقــال عن نبي الله موســى ﷺ: ﴿ يُرِيــدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴾ [الشعراء:35].

وقال عنه أيضاً: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴾ [غافر:26]. يقولها وهو ملك على قومه وأشرهم منزلة وفي ضلال مبين، ولكنهم للأسف في جهل وسفاهة وضياع وفســوق، كما قال تعالى: ﴿ فَٱسۡــتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًــا فَٰسِــقِينَ ﴾ [الزخرف:54]. عدا أن أفعاله ســتثبت العكس، وهكذا الفسدة دائماً: ﴿ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴾ [الشعراء:226].

إن فُرض علينا لا قدر الله طريق الفســاد بسبب تسلط متسلط أو تهديد مهددٍ وكنا في أزمة وورطة لا يعلمها إلا الله فعلينا مراجعة أهل العلم، مراجعة الصالحين، وأخذ المشورة منهم وتنفيذها دون تلــكك لكي نحرر أنفســنا من قبضة الأشــرار ونتخلص من أذاهم وننقذ العباد والبلاد منهم، لأنهم ومن سار معهم عاقبتهما الخسارة

والنار، فالمبررات مرفوضة مهما كانت فلكل ضائقة مخرج، ولكل نائبــة رجال، كمــا أننا لا نقبل اعتــداء الآخرين علينــا بحجة أنهم مجبورون، فهذا لا يقبله منطق ولا عقل، فعلينا توجيه السلاح على الأشرار لا الأبرياء ولو بزهوق أنفسنا، وهذا ما أقره أهل العلم.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَــادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص:77].

البيئة الفاســدة مــن أكبر عوامل ومصانع الفســاد، فهي تنتج وتســوق الغش، والاحتيال، والتســلط، والتعــدي، والربا، والزنا، والرشــوة، والمحســوبيات، والنفــوذ، وهضم الحقــوق، والتكبر والتجبــر.. فــلا ريــب أن الضعيف والجاهــل والمنافق ســيختار الأســهل ويختار الســائد في بلده ويقبل صف المجرمين الفسدة، فالفساد يجلب الفرص السريعة المربحة أحياناً..

وللأســف هذا ما يحدث ويكثر في الدول الفقيرة أو الظالمة بسبب تسلط ثلة من الفسدة عليهم مما يجعل سكانها يعيشون على نهش بعضهم البعض فيغيب العدل والقصاص وتكثر الضباع، وقد قيل: (مَن أَمِنَ العُقُوبَةَ أَسَاءَ الأَدَبَ)، ونحن نبشر أهل الفساد، فكل ما كســبت أيديكم في المحصلة سيكون حسرة وندامة دون مباركة

ربانية وتوفيق وستحظون بسوء الخاتمة بإذن الله قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف:23].

كُل ساقٍ سيسقى بما سَقى، هذه سنة الحياة، من يزرع يحصد إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فلننظر أين نتجه ونضع أقدامنا وماذا نزرع، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:64].

والفاسد أينما وجد طغى وبغى وأضر العباد والحياة والبلاد وأفعاله سيجنيها، فالفاسد يشابه الثعالب في مكرها وخداعها لا عهد له ولا ميثاق كأهل النفاق، ولا أمان له كالأعداء، فمن المحال أن يكون على خير مهما فعل أو قال، قال سبحانه وتعالى: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [الفتح:6].

ومن كانت له أعمال قليلة صالحة هنا أو هناك فلن تشفع له حتى يهجر فساده بالكلية ويقطع علاقته مع المفسدين ويعمل عمل الصالحين المصلحين ويرد الحقوق والمظالم لأهلها الصغيرة والكبيرة.

ساحة الفساد مهما كانت مليئة بالمفسدين صغاراً كانوا أم كباراً، أغنياء أم فقراء، أقوياء أم ضعفاء فلا نغتر بكثرة السالكين ولا

يبيـح ذلك أفعالهم وأعمالهم، قال تعالـى: ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَـبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ [الأنعام:116].

الكلب إن أطعمته يلهث وإن تركته يلهث.. كذلك الفاسـد، فمن شـب على شيء شاب عليه ومن شاب على شيء مات عليه، إلا من رحم الله وتدارك نفسه قبل فوات الأوان وتاب وآمن وعمل صالحاً وردّ الحقـوق لأصحابها أو ذويهم، في حال لم يجد أحداً منهم بعد عدة محاولات جادة فجميل أن يتصدق بها عنهم، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:215].

الرجولة

ليس الرجولة بالذكورة تُعرف

إن الرجولة مبدأ أو موقفُ

هي أن تكون مع الشجاعة رأفةً

لا غِلظةٌ وتظلّمٌ وتعجرفُ

هي رِقةُ البسماتِ في وجه الورى

هي صِدقُنا لا زيفُنا المتكلفُ

هي عطفُنا وسماحنا وعطاؤنا

هي حكمة وتراحمٌ وتعففُ

هي أن تكونَ لنا بأحمدَ أسوةٌ

وعقولنا لخلاله تتشوفُ

- فاضل أصفر.

القوة البدنية، الشكل، الجسم، الصوت الجهور، الطول، السلاح، المركبة، اللون، النسب، الأجداد، الأملاك، الجنسية، لا يربطهم مع (الرجولة والمروءة) رابط.. فانتبه يا رعاك الله، فهذه

مفاهيم خاطئة يجب أن تصحح، كما أن هذه الأشـياء وإن وجدت يجـب أن تفرض على صاحبها التواضع، لا أن تسـتغل هذه النعم فـي معصية الله أو على عباد الله، فكل ذلك سـيكون حجة وعقاب على من فرط في شـكر النعم لأنه أسـاء استخدامها فيما لا يرضي الله، عوضاً عن شـكر الله ببذل ما آتاه الله في مرضاته لنيل رضوانه، قال رسـول الله ﷺ : «إن اللهَ أوحى إليَّ أن تواضعُوا حتى لا يَبغيَ أحدٌ على أحدٍ ولا يفخرَ أحدٌ على أحدٍ» – حديث صحيح.

الرجولة قد نجدها ونشاهدها في الطفل أو الطفلة أو الشاب أو الشـابة أو الفقير أو الضعيـف أو المريض أو العجوز أو العاجز لأن الرجولـة مبـادئ وأخلاق وقيم وأصالة وشـهامة. الرجولة لا تتغير كالدم والعروق في جسـم الإنسان، فكن رجلاً فاضلاً لامعاً لا تتغير ولا تتبدل لأجل ملذات أو شـهوات أو ضغوطات، ولولا وجـود الرجال الحـق لما اسـتطعنا إزالة الطغاة، ولا نشـر العدل والإسلام ولا رفع راية الحق (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله).

ذو الرجولة لا يتعالى برجولته على الناس ولا يجرح بلسـانه وجوارحـه الضعفاء أو الغرباء ولا الجيران ولا الزملاء ولا يتعدى ويتجبـر على النسـاء والأطفـال والعجائز والأقارب لأنه أسـدٌ لا ثعلـبٌ، كذلك كانت العرب في الجاهلية، لا تعتدي على الضعفاء

ولا تقتحم بيوت الناس، ولا تعذب إنساناً ولا حيواناً، لا تسرق لا تغش لا تكذب لا تحتــال لا تعق الوالدين لا تظلم الأقرباء وحتى الغربــاء فكيــف ونحن الآن تحت مظلة الإســلام بحمــد الله، قال رســول الله ﷺ : «ليــس المؤمن بالطعــان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء» – رواه الترمذي.

الحيــاة تحتــاج لمرونة وصبــر وحكمة جنباً إلــى جنب مع الرجولــة ومكارم الأخلاق فبهذا تتمايز الرجال، الرجولة تخلق لا تولــد متأصلة مدبوغة في القلب ثم العقــل. يمضي ويرى ويتكلم بقلبه، تجــده مع المظلوم على الظالم، ومع الضعيف على القوي، ومع الخير على الشر.

قال ربنا العزيز الجبار عــن المؤمنين الرجال: ﴿ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ﴾ [المائدة:54].

الغضوب يُصعّب بغضبه ومشــاكله وقلة صبــره الحياة على نفســه وغيره في كل المجالات، يدفع نفســه وغيره إلى المشفى أو السجن أو القبر، إما معطوباً أو قاتلاً أو مقتولاً، دائما تكون نهايات الغضب محزنة ومؤســفة تودي صاحبهــا المهالك وتورثه الندامة، وقد قال أشجع الناس نبينا ﷺ : (لا تغضب). رواه الإمام البخاري.

وخير عــلاج التغافل والتشــاغل عن التفكيــر المتكرر فيما يغضبنا مع غض الطرف عن السفهة، قال المتنبي:

وتكبر فـي عين الصغير صغارها

وتـصـغـر فـي عـيـن الـعـظـيـم العظائم

هل رفع الســلاح على النــاس يعد من الشــجاعة والرجولة بقصد الأذية والتهديد والترهيب؟

لا شــك تهديــد وترهيب النــاس بالســلاح يرفضه الشــرع والقانون لأننا لســنا في غابة ولسنا من أهل الإجرام والفساد، مهما كانت المشــكلة لا يصح الاعتداء على الناس بالســلاح مهما كان حجمــه ونوعه، كم مــن جرائم قتل وقعت دون قصــدٍ وكان أولها التهديــد والترهيــب ثم وقع مالا يحمــد عقباه، عافانــا الله تعالى، هناك اســتثناءات طبعاً عند الدفاع عن النفس ولغاية إبعاد المعتدي أو الســارق أو الفاجر. قال خير الناس ﷺ : « مَن أشــارَ إلى أخِيهِ بحدِيــدَةٍ، فإنَّ المَلائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حتَّى يَدَعَهُ، وإنْ كانَ أخاهُ لأَبِيهِ وأُمِّهِ » – حديث صحيح رواه الإمام مسلم.

كما لا نستغني أو نفرط في هذا الدعاء المهم:

«اللهمَّ فاطرَ السماواتِ والأرضِ عالمَ الغيبِ والشهادةِ لا إلهَ إلا أنتَ ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكَهُ أعوذُ بكَ من شر نفسي ومنْ شر الشيطانِ وشركهِ وأن أقترفَ على نفسي سوءًا أو أجرَّهُ إلى مسلمٍ» - رواه الترمذي.

الرجولة في الطرقات تكون بسلامة الناس من نظراتنا الحادة وملافظنا النابية والمضايقات، فالطريق والسوق للجميع، لا يسعنا إلا المرور بهما مرور الكرام الأتقياء الشرفاء الفضلاء، لا مرور الأشقياء، لا نزاحم الناس ونضيق عليهم أو ننال منهم نيل الأعداء.

قال رسول الله ﷺ : «أعطوا الطريق حقه». قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «غضُ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام، والأمر بالمعروف، والنهيُ عنِ المنكر». –صحيح الجامع.

ذو الرجولة ليس قاسياً جامداً متوحشاً جافاً من العواطف والرحمة، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد كان خير الرجال وسيرته أعطر السير. قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح:29].

الرجولـة لا تجد فيهـا عاقاً غداراً غشاشـاً، كذابـاً، خداعاً، لصاً، منافقاً، شـاذاً، طماعاً، نكاراً، فاجراً، فاسداً، نماما، بل أنه في المعاملات يحفظ الحقوق ويـرد الديون ويراعي العهود والوعود لا يخلف الميعاد صادق أمين. قال الشاعر:

تـأبـى الـمـروءةُ أن تـفـارقَ أهلها

إن الـمـروءةَ فـي الـرجـالِ خـصـالُ

(كلمة رجال)، أو، (أبشر)، (تم)، (اتفقنا) عندما تتوارد على أسـماعنا هذه الكلمات فهي دليل على رجولة ووفاء قائلها، لأنها وعـود يتناقلها الرجال بجدية ومحـال بإذن الله أن يخلف صاحبها الوعد والميعـاد إلا قهراً، وقد قال بذلك الشـاعر أبو تمام الطائي (الحوراني الشامي):

إِذا قُـلـتَ فـي شـيءٍ (نَـعَـم) فَـأَتِـمَّـهُ

فَـإِنَّ نَـعَـمْ دَيـنٌ عَـلـى الـحـرِّ واجِـبُ

وَإِلّا فَـقُـل (لا) تَـسـتَـرِح وَتُـرِح بِها

لِـئَـلّا يَـقـولَ الـنـاسُ إِنَّـكَ كـاذِبُ

اللواط ليس من الرجولة ولا من صفات الشجعان في شيء، بل جريمة نكراء سوداء على كافة الأصعدة والمفاهيم، وفاعلها يحتاج إلى علاج نفسي وعقلي أو الموت.. ولبعد فاعلها عن الرجولة بكل مقاييسها وقع في أخبث الأفعال وأحقرها عافانا الله منها، ومن فعلها فوالله قد أصبح منبوذاً محقوراً، ولن يفلح في حياته ومعاشه ومماته أينما اتجه أو بلغ، يمقته الله لدناءة وعظمة جرمه، ويمقته الناس لفساده وشهوته المريضة الخبيثة، فلا أمان له مع أبنائنا وشبابنا ومجتمعنا، كما يستحيل ويحرم علينا مجالسة ومصاحبة فاعلها قبحه الله، كما أنه يستحق العقاب كما شرع خالق الخلق، ولا نقول لأنه مريض فعلينا تحمله وتفهمه.. كلا، ثم كلا ثم كلا، حتى الطب يحذر الأصحاء من مجالسة المرضى خوفاً من العدوى، قال نبينا ﷺ : «لا تُصاحب إِلَّا مُؤْمِنًا، ولا يَأْكُل طَعَامَكَ إِلَا تَقِيٌّ» - صحيح أبو داود.

وربنا جل جلاله وصفهم بالفسق والسوء والخبث، فقال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ﴾ [الأنبياء:74].

الأنوثة

الأنوثة تحمل معها النعومة والعفاف والحب والحنان والعطف والإخلاص والوفاء والحشمة والأدب والكرامة كالسماء تحمل النجوم والغيوم تحمل الغيث الذي يروي الزرع والضرع، أينما وقع نفع، ومن أنواع الشكر التواضع وبذل النعمة في مكانها الصحيح السليم وهي (الأسرة) وكم من أمهات أنجبوا وربوا عظماء ففازوا بالدارين.

إن الفتاةَ حياؤها ميزانٌ
فبهِ الأنوثةُ تزدهي وتُزانُ

- وائل جحا الدمشقي.

الأنوثة بوابة الأمومة والأمومة بوابة التربية وبناء الأجيال فالأجيال تصعد على سلم النجاح وتحمل الأمة جمعاء إلى المراتب العلياء، كما فعلتا والدتا الإمام الشافعي وأحمد بن حنبل من رعاية وتربية وإخلاص فسطع الحق في أرجاء المعمورة بهذين الشيخين وحوربت البدع والفلاسفة والكفار، فالمجتمع السليم

يبدأ ويزدهر ويتميز بالأمهات الرؤومات الصالحات، وأيضاً امرأة عمـران الصالحة والـدة مريم عليهـا وعلى ولدها السـلام، حين أنجبتها ونذرتها لله عز وجل فأنبتها الله نباتاً حسـناً وولدت عيسـى ابن مريم عليه السلام .

قال الله تعالـى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْـنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّـمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَـمَّيْتُهَا مَرْيَـمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:35-36].

الأنوثـة حكر للإناث فقـط، وليس للذكور كبـاراً أو صغاراً منها نصيب ولا يصح التشبه بالجنس اللطيف لهواً كان أو لعباً، ولا يصح بتاتاً تقليد الجنس الآخر بأي شكل كان أو الظن بأن التحول الجنسـي أو التشـبه محمود العاقبة وذو إيجابية نفسـية ومعاشية، الحقيقة أن ذلك سـيفتح باب الأمراض البدنية بسـبب تغير طبيعة الجسد وتركيبته الأصلية، كما أن النفس خلقت وولدت على الدنيا متأقلمة مع ذاتها، فالتغير غير الطبيعي على الجسد الطبيعي سيفتح باب النـدم والأوجاع والأزمات النفسـية والصحية والمسـتقبلية

والدينية، كما أن الأســد يبقى أسداً شــكلاً ومضموناً واللبوة تبقى عكســه شــكلاً وأمومة وإنجاباً، وهكذا كل المخلوقات خلقها الله زوجين اثنين لكل منهما وظيفته وبيئته وصفاته وبنيته.

قال تعالى: في ســورة آل عمران: ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ [آل عمران: 36].

الإنــاث العامــلات أصبحــن يتشــبهن بالرجال مــن حيث الأســلوب والمنطــق لتحقيــق نجاحــات عملية ومادية، فبخســن أنفســهن بأنفســهن وظهرن بمظهر المتصنعات الداخلات مسلك وطريق الرجال، فالمــرأة تكمن في أنوثتها ورقتها ولطفها وحيائها وعفتها، وهذا ما يجذب الرجال لها والمحظوظ منهم من تزوجها، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «لعَنَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وســلَّمَ المُتَشَــبِّهِينَ مِنَ الرِّجالِ بالنِّســاءِ، والمُتَشَبِّهاتِ مِنَ النِّسَاءِ بالرِّجالِ» – حديث صحيح رواه الإمام البخاري.

والأنوثــة ليســت لإظهار ما حــرم الله تعالى مــن الفتن أمام الرجــال ولبس الضيق مــن اللباس وإظهار مالا يحــل لفتن الناس وجذبهــم ولا الأنوثة للمفاخرة وبخس من هــن دون ذلك جمالاً ونعومــة، بل هي نعمــة أكرمها الله لأناس دون آخرين، ولا ننســى

الدعاء إن رأينا من هم في مرض وإعاقة صحية وبلاء أو خشــونة: (الحمــد لله الذي عافانا ممــا ابتلى به الآخريــن وفضلنا على كثيرٍ ممن خلق تفضيلاً).

داخل الــدار أو خارجهــا، تبقى الأنوثة في داخــل الدار مع الزوج والأبنــاء والإخوة والأقــارب، وتبقى الأنوثة خــارج الدار كاملة الحشــمة والأدب والوقار، الأنوثة قلباً لا قالباً نظهره للغرباء والناس، الأنوثة قلب ســليم عفيــف أبيض يطفو على البيت وأهله بالحنــان والرحمة والود، الأنوثة تذهب بمهب الريح إن كانت تقع فيمــا لا يرضي الله رب العالميــن. فالنعمة أصبحت على صاحبتها نقمة وعاراً، فالتبرج والاختلاط والعري يجلب النقم والفقر والبلاء والشتات والضياع. وغالب الأغلب منهن غير موفقات في حياتهن إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً، وظهور المرأة سافرة عن شعرها كاشفة لمفاتنها دليل على (غياب رجولة وغيرة أهلها، ودليل على ضعف إيمانهم وإيمانها)، كما أنها بذلك تكســب الآثام والسيئات فــي كل لحظة وهي علــى هذه الحالة، لأنهــا عاصية لله عز وجل: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْـــنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِيــنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ وَلْيَضْرِبْــنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور:31].

الأنوثـة حدودها الوالدان والزوج والأبناء، أما أمام الأقارب فالاعتدال في الكلام واللباس، وأما أمام الغرباء فالاعتدال وزيادة، وعندمـا يجد الغرباء ليونة وتراخياً وقلة حياء يطمع ويشـتهي ولن يتوانى عن التحرش والاعتداء إن وجد مسـلكاً، وقد يحدث ما لا يحمد عقباه.

وقد قال العزيز الحكيم رب الناس في كتابه: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡـتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَـآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ ﴾ [الأحزاب:32-33].

والأمراض عنـد بعض الذكور لا ترحم وقـد دمرت عوائلاً ونساءً كثيرات لأجل استهتارات وعثرات متكررة شكلت ورسمت عند المفترس صيداً رخيصاً، ظناً أنها تلاطفه وترغب به..

الميول عن خلقة الله التي خلقنا وفطرنا عليها ستؤدي لا شك إلى عراقيل فكرية وصعوبات مسـتقبلية لا نهاية لها لأننا عاكسـنا الواقع وخالفنا الأعراف وسنة الحياة، الناس تعامل بعضها البعض وفقاً لمعايير وثوابـت لن تتغير بتغيرنا أو تتبدل لرغبتنا، فمن تمنى

أن يكون أنثى أو يتصف بالأنوثة لما رأى من مزايا وعناية أو تمنت أن تكون رجلاً لما شاهدته من حرية وقيادة فقد أقحما نفسيهما في دوامـة فكرية عبثية لن تنتهي ولا طائل منها إلا المعارضة والتأفف والحسرة لأننا سنرجع في النهاية إلى إرادة الله الحكيمة فهو يخلق ما يشاء ويختار.

قـال ربنا تبـارك وتعالـى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [النساء:32].

الشيب والشيخوخة (كبار السن)

ذهــب الــشــبــابُ فـمـا لــه مــن عــودة
وأتـــى المشيب فـأيـن مـنـه الـمـهـربُ
ضـــيـــفٌ ألـــم إلـــيـــك لـــم تــحـفـل به
فـــتـــرى لـــه أســـفـــاً ودمـــعـــاً يـسـكـبُ

– علي بن أبي طالب ﵁ .

الشيخوخة والإرهاق والأمراض والشيب علامات الوصول إلى نهاية الاختبار، وعنوان المنية، علامات نحمد الله عليها لترشدنا إلى مضي الدنيا وبدء دخول مشــوار الآخرة، علامات لنعلم بأن لا شــيء يدوم إلا الحي القيوم، علامات لنغير أنفســنا ونختم صفحة أعمالنـا بأزكى وأكـرم الخواتيم. اللهم نســألك حســن الخاتمة، علامــات تحثنا على تجاوز ســفاف الأمور مــن منازعات وقطيعة أرحام، وتحفزنا للمسامحة والمصالحة والإحسان والإنابة إلى الله سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى عن سيدنا زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم:4].

الشيخوخة وقار ودليل على مرور هذا الإنسان بمرارة الحياة وضيقها وتكبده العسر واليسر والضيق والفرج والحروب والجوع والأزمات والأحزان، دليل على انهماك بدنه وأعضائه في معتركات الحياة مصاعبها ومصائبها فحق عليه إكمال باقي العمر بما يرضي الله تعالى عنه دون استهتار وتأجيل ومعاص وآثام.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم:54].

والشيخوخة تحمل في طياتها تجارب عديدة وتعاليم جليلة وقصصاً وروايات مضحكة مبكية وغريبة، فهي الكنز الثمين لمن أراد أن يلقي السمع ويحصد خلاصة الحياة ويتعلم بالمجان، عدا عن توقير كبار السن واحترامهم عرباً أو عجما في غاية الأهمية في ديننا ومجتمعنا القويم.

قال ﷺ: «إنَّ مِن إجلالِ اللَّهِ إكْرَامَ ذِي الشيبَةِ الْمُسلِمِ» – رواه أبو داود.

لا يجوز تمنّي الموت ولا الدعاء بتعجيل الأجل مهما حدث مــن حوادث ومهما واجهنا من كربات فلا يعلم الخير وزمن الخير إلا الله ســبحانه، ولعلنا إن عشــنا بعدما صبرنا واحتسبنا وجدنا ما يسرنا ويشفي صدورنا، اللهم إنا نسألك الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم.

عَــن أَنَسٍ ﵁ قَالَ: قال ﷺ : «لَا يَتَمَنَّيَــنَّ أَحدٌ مِنكُم الْمَوتَ لِضــر نَزَلَ بِهِ، فَإِن كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُل: «اللَّهُمَّ أَحيِنِي ما كَانَت الْحيَاةُ خَيرًا لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَت الْوَفَاةُ خَيرًا لِي» – حديث صحيح رواه الإمام مسلم.

قال ﷺ : «لا يتمنى أحدُكم الموتَ، ولا يدعو به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مــات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمنَ عمرُه إلا خيرًا» – حديث صحيح رواه الإمام مسلم.

الشــيخوخة تحتم علينا جميعاً صغاراً وكبــاراً غرباء وأقرباء وجيراناً كذلك أفراداً وحكوماتٍ ومنشآتٍ أن نفسح لهم ونقدمهم في الطرقات، أن نلين لهم الكلام أن نسامحهم على قلة صبرهم أو لصراحتهم أو نقدهم لأنهم يعيشون في أجواء صحية وبدنية ومالية وحســية ضيقة ومنها ســيئة فلا يجــوز التطاول عليهم وتســفيههم

والتقليل من شـأنهم كما جاء عن رسول الله ﷺ : «ليسَ منَّا من لَم يَرحمْ صغيرَنا ، ويعرِفْ حقَّ كَبيرِنا» – رواه أبو داود.

فنحــن خير أمــة أخرجــت للناس، نقــدر الكبار فــي قلوبنا ونفوســنا ونعرف حقهم كما أننا نقدمهــم في المجالس والمحافل ونعينهم ما استطعنا إلى ذلك من سبيل، نؤثرهم على أنفسنا ونصبر على ذلك كما آبدانهم قلما تحملهم وتســندهم بعكسنا تماما، وقد قــال ﷺ : «كبِّــرْ، كبِّر» — حديث صحيح. يحثنــا ﷺ ويأمرنا على تقديم كبير السن على الصغير.

الشــيخوخة ليســت دليــلاً على الضعــف والهــوان أو بوابة للقاصــي والدانــي للمــلام والعتــاب والصــراخ والاســتضعاف والاســتغلال، فهذا والله من أقبح الأفعال وأخبث الصفات. توقير الكبير واجب ديني وإنســاني، والأديان كلهــا تحترم الكبير وعلى الخصوص قارة آســيا من الصين واليابان وكوريا، فكيف الإسلام ونحــن قدوة العبــاد فنحن أولى الأمــم بتوقير الكبــار واحترامهم وتقديرهم.

وقــد جاء في الأثر بســند ضعيف ولكن معنــاه صحيح: (ما أَكْرَم شَابٌّ شيخًا لِسِنِّه إِلاَّ قَيَّضَ الله لَهُ مَنْ يُكْرِمُه عِندَ سِنِّه).

قــال ﷺ : «يهرَمُ ابنُ آدَمَ وتَشِــبُّ منه اثْنَتــانِ: الحرصُ علَى المالِ، والْحرصُ علَى العُمُر» - حديث صحيح رواه الإمام مسلم.

عندما نكبر يكبر معنا حبنا وحرصنا على الحياة والمال لأننا نخاف من المجهول ما بعد الحياة الدنيا ونخشى الفقر لقلة الفرص وزوال الكســب وضعف القــدرة، ومن ناحية أخرى إن كنا ذو مال وسلطان أقبلنا على الشهوات لتدارك ما فات قبل الفوات، فالحاذق الرابح من ســعى لتدارك ما فات من الصالحات والعبادات وصلة الأرحام لأنه لن ينتفع في القبر ولا في الحشر إلا من أتى الله بقلب سليم وعمل الصالحات.

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ [المؤمنون:99-100].

البركة مع كبار الســن، وأن المؤمن لا يزاد في عمره إلا كان خيــرًا لنا كســباً للرحم والبركــة والأجر، وخيراً لــه كما قال ﷺ : «وإنه لا يزيد المؤمنَ عمرُه إلا خيرًا» — حديث صحيح رواه الإمام مسلم.

إن الشــعوب الإســلامية من أكثر الشــعوب إكرامــاً وتقديراً وإجلالاً لكبار الســن، فلا مرور إلى بوابة الجنان ورضى الرحمن

إلا من خلالهم، نحمد الله أننا أمة أوصانا الله في كبارنا وشيوخنا، أمة تقدر الكبير وتنزله منزله، أمة تكسب جزيل الجزاء برعاية الكبير وكلما زادت العناية والرعاية زاد الأجر، وقلما نجد عاقاً أو مسيئاً لكبار السن وقلما نجد داراً للمسنين، وإن وجدنا فالأعذار وأسباب.

شبه أحد الأطباء من بلاد الشام الفضلاء ذاكرة كبار السن بأنها كمجموعة أوراق متراكمة فوق بعضها البعض تهب عليها كل حين من الزمن رياح فتأخذ الأعلى وتترك الأدنى.، وهذا ما يجعل كبار السن يسرحون ساردين ماضيهم القديم أكثر من الماضي القريب، كثيراً ما نجدهم يذكرون بطولاتهم وقصصهم القديمة أيام الطفولة والفتوة والشباب، لا شك أنها فوائد وعبر تكشف لنا خبرات وتجارب توضح لنا معالم الطريق والمستقبل، ما تلبث هذه القصص أن تنتهي حتى تعود وتتكرر مرات وكرات دون توقف، في كل فرصة تعود هذه القصص على الساحة لنسمعها منهم، وهذا ما يواجهه الجميع تقريباً، منا من يضيق ذرعاً ويتأفف ويستهزء بهم لكثرة التكرار ويحرجهم ويكسب الإثم، ومنا من يقدرهم ويحترمهم ويرفق بهم ويجاريهم بكل محبة وتفهم.

المرض والمريض

الأمراض عديدة فمنها النفسـية، العقلية، الجسدية، القلبية، وتتبـع الأدويـة والعلاجات طريقاً طويلاً ومكلفـاً لا نهاية له، لأن الأدوية تختلـف باختلاف البلـدان والثقافات والديانـات والبيئة والأجـواء، فما كل ما نشـاهده نافعاً لأقوام ينفعنـا، على العكس صحيـح، فالمـراد هو التحصـن وتقويـة المناعة والغذاء السـليم والمكسب الطيب والله تعالى هو الشافي الكافي، والحرص واجب فدرهم وقاية خير من قنطار علاج.

قال رسول الله ﷺ : «تداووا فإنَّ اللهَ لم يضَع داءً إلا وضَعَ له دواءً غيرَ الهِرَم» - المجموع للنووي.

عـلاج الأمراض ليس بأيدٍ بشـرية أو جنية أو صناعية بل بيد الرحمن جلا وعلا، عندما يأذن الله تعالى لنا بالشفاء يقذف العلاج فـي قلب المريـض وبدنه، أو يلهم الطبيب طريقـة التداوي أو أيّ إنسـان مجربٌ ناصح يدلنا على الطريق في الوقت المناسـب مما يجعل للمرض علاجاً وسـبيلاً كنا قد غفلنـا عنه وغاب عنا، فمن

أراد الدواء فليرفع أكفه ويتوجه بقلبه وعقله لذي الجلال والإكرام وهو خير الفاتحين، ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء:80].

المرض إما نحتسبه تكفيراً للذنوب ورفعاً للدرجات وإما نلعنه ويلعننا. وإما نتوكل على الطبيب الفلاني والمشفى الفلاني بإنفاق الأموال وتضييع الأوقات والأيام هباءً وضياعاً وإما نتوكل على الحي القيوم ثم نسعى لإيجاد العلاج دون إفراط ولا تفريط بقلب مطمئنٍ صابر محتسب لا يضره خاذل ولا يقع في جشع الأطباء وشباك المشافي التي تسلخ ولا ترحم والله أرحم الراحمين، وهذا لعمر الله من نتائج افتراق تعاليم الإسلام وأخلاقياته عن مناهج التدريس التي تخرّج لنا أطباء لا تخاف الله تلبس البياض من الثياب ولكنها تتعامل كالذئاب تنهش وتنتهك وتعتدي على الرعية.

قال تعالى: ﴿ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة:63].

الأمراض المزمنة والإعاقات ابتلاءات عظيمة تعكس امتحانات جليلة لا عزاء لها إلا الصبر الجميل والرضى لنيل الجنان ورضى الرحمن. وخير علاج هو تجاوز السلبيات

والإعاقات ببناء الطموحات والسـير إليها وتجنب كلمة (لو) لأنها تفتح عمل الشـيطان ووساوسه وتشـكيكه بالنجاح فيقعد الإنسان عـن العمل ويستسـلم للظروف، فلا سـبيل للمجتهـد الصابر إلا العزيمـة وبذل غاية الاجتهاد والتوكل على الله والمضي قدما طلباً للحلال والاستغناء عن الناس، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُـواْ فِى مَنَاكِبِهَـا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾ [الملك: 15].

هل تعلم بأن الأمراض والأسـقام البدنية، القلبية والنفسـية، تبدأ تدريجياً من فسـاد اللسـان الذي يصول ويجول على القضاء والقدر والإسلام والإيمان والناس ثم القلب الذي يتحول من سليم لسـقيم ومن أبيض إلى أسود ثم العقل الذي يظن أنه الفريد المنيع عـن الخطأ والنواقص فتجده يعادي ولا يسـالم ويظلم ويجور ثم الأعضاء التي ترتكب الآثام فتأكل الحقوق وتتكبر وتتجبر ثم الفم الذي يبيح أكل الحرام وأرزاق الناس فهنا لا مكان للبركة والرحمة والملائكة بل الشياطين واللعنات من الله المنتقم الجبار.

عـن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «قلتُ: يا رسـولَ اللهِ ما النَّجاةُ؟ قال: أمسِك عليكَ لسانَكَ..» - سنن الترمذي.

المرض سنة الحياة الدنيا وقوته تتفاوت على الناس بتفاوت الإيمان والكسب الحلال. فمن كان مطعمه حراما وغذي بالحرام هو وأهله فســرعة الأمراض وقوتها والأســقام أسرع وأضر وأنفذ عليهــم، ودائما يذهب الحــرام بأهله من حوادث وبلايا وشــقاق وســوء خاتمة على العكس من يســتغني عن الحــرام قاصداً بماله الطيــب القليــل أو الكثيــر طاعة الله ورضــاه، فينــال أطيب الناس وأزكى العلاقــات المملوءة بالخير والبركة والعوض في الدنيا من أبناء بــررة وزوجة صالحة وفــي الآخرة جزيل الجــزاء، فالحلال مدعومٌ من الله سبحانه بالبركات والحسنات والجنات، وشتان بين هذا وذاك، وقد أمر تعالى المؤمنينَ بالحلال من كل شيء.

قال ســبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾ [البقرة172].

المجربات هي التــي فعلها الكثير من الناس وتناقلوها بينهم قديمــا فأصبحت موثوقــة ومرغوبة إن اســتمر صاحبها بجد وثقة وقناعــة وإيمان بهــا نفعته: العســل، الحجامة، الســواك، الصلاة، الدعــاء، القــرآن الكريم، المال الحلال، رضــا الوالدين، الصدقة، الزكاة، صلة الأرحام، الرقية الشرعية، مساعدة الفقراء والمساكين وإغاثتهم، الحمضيات، الخضــراوات، الرياضة، ماء زمزم، إطعام

الطعـام.. كلها حصن حصين تقي وتحفظ بإذن الله تعالى صاحبها من شياطين الإنس والجن والأمراض والأسقام، كما جاء في سورة يوسف: ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف:64].

هل التـوكل على الله تعالى دون وصفة طبيب أو اتباع علاج ينافـي التـوكل؟ الجواب: اسـتعن بالله ولا تعجز فـي البحث عن العـلاج لأن لـكل داء دواء علمـه من علمه وجهلـه من جهل ولا يصـح التواكل وترك الأخذ بالأسـباب، فالمتـوكل الصادق يأخذ بكل الأسباب التي يستطيعها دون كلل أو ملل.

قـال ﷺ : «لِكُلِّ داءٍ دَواءٌ، فإذا أُصيبَ دَواءُ الدَّاءِ بَرَأَ بإذْنِ اللهِ عز وجلَّ» – حديث صحيح رواه الإمام مسلم.

من الأمراض التي تغافلنـا وتباغت الصحة والعافية والقليل منا من يتفطن لها هي (الشـماتة) التي قد تخترق كل شيء وتجعل الصحيح سـقيما والغني فقيراً والحي ميتاً، فلا تشـمت في أخيك فيشـفيه الله ويبتليـك. وكم من شـماتة أودت صاحبهـا المهالك وانعكسـت عليه، كما قال الإمـام إبراهيم النخعي رحمه الله: (إنِّي لأرى الشـيء أكرهه، فما يمنعني أن أتكلَّـم فيه إلَّا مخافة أن أُبْتَلَى بمثله) – الدرر السنية.

ومــن عابَ أُبتلي، قــال يحيى بن جابر: (مــا عاب رجل قط بعيبٍ، إلا ابتلاه الله بمثل ذلك العيب) - شعب الإيمان.

مــن الأمــراض أيضاً التي قــد تأخذ صاحبهــا دون رجعة أو تجعــل المريــض يكابد الأمرّيــن هو الظلم فالظلم يجلب ســخط الناس ودعاءهم فيجلب ســخط الله وعقابــه فالأحرى رد الحقوق ومصالحــة المظلوم وتفادي العواقب قبــل فوات الأوان، كما قال سيدنا علي رضي الله عنه :

لا تـظـلـمـنّ إذا مــا كـنـت مـقـتـدراً

فالظلم مـرتـعُـهُ يُـفـضـي إلــى الـنَـدمِ

تــنــام عــيــنــاك والــمــظــلــوم منتبهٌ

يــدعــو عــلـيـك وعــيــن الله لــم تـنـمِ

الجيران والجيرة

افتخر أبو فراس الحمداني (الحلبي الشامي) بشيمه وخصاله في جيرانه:

أنـا الـجـارُ لا زَادي بَـطـيءٌ عَليهمُ
ولا دُونَ مـالـي لِـلـحـوَادثِ بَـابُ
ولا أطـلُـبُ الـعَـورَاءَ مِـنهُـم أصيبُهَا
ولا عَـورَتـي لـلـطَّـالِـبِـينَ تُـصَـابُ
وأسـطُـو وحبِّـي ثـابِـتٌ فـي صُـدورهِـمْ
وأحــلُــمُ عَــن جُـهَّـالِـهِـمْ وأُهَـــابُ

الجيرة لن تفارقنا مهما تحولنا عنها، فهي سلسلة مهمة تساكن وتعين بعضهـم البعض وتربط المجتمع وتحفـظ الحي وتبث فيه الأمن والود والتعاون، بقطع الطرف عن جنسيات وديانة من حولنا فلولاها لتغشتنا اللصوص والجن والسباع من كل حدب وصوب، فمالنا إلا التعايش معها والتسليم لها والانخراط فيها بما يرضي الله ويوافـق الأعراف والأخلاق، ونحفظها لتحفظنا، وهذه من وصاية

الإســلام الحنيف، وبهذا قال النبي ﷺ : «..وخيرُ الجيرانِ عندَ اللهِ خيرُكم لجارِه» - صحيح الترمذي.

الجيرة الكريمــة الطيبة مغنم ومطلب للجميــع، نتمناها ولا تأتينــا إلا بتوفيــق الله الكريم، وكم مــن مالك لــدار لا ينعم بداره بسبب جيرانه ولا يأمن في ترك أهله في داره لأجل شرهم وكيدهم ولا حــول ولا قــوة إلا بالله العلــي العظيم، ومن وجــد من جيرته ذلك فقد ابتلي ابتلاءً صعباً ونعوذ بالله العظيم من جار السوء ودار السوء، قال النبي ﷺ : «اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من جارِ السُّوءِ في دارِ المُقامة.. » – حديث صحيح رواه الطبراني والحاكم.

لذلك علينا قبل الشــروع في الانتقال إلى الدار أن نسأل عن الجيرة وأهلها، لأننا وأبنائنا ســنقضي أغلب العمر فيها فلنحســن الاختيار، كما نســتخير ربنا ونســعى بعد الانتقــال إلى كف الأذى وضبط الأصــوات والتصرفات ومراعــاة النظافة ومراعــاة الزوار (واستهتاراتهم) حفاظاً على حرمة وراحة الجيران.

تتبــع عثــرات الجيران وأســرارهم، يفتح أبواباً من الشــقاق والخلاف وغضب الله تعالى، فالمســلم من ســلم المســلمون من لســانه ويده، والمســلم الحق من حمى أعراض جيرانه وشــرفهم

وسـمعتهم، لأن أعـراض الجيران وأملاكهم ليسـت مكسـباً ولا تجـارة ولا مغنمـا، ومهما وجدناهـم غير منضبطيـن أخلاقياً ولا أدبياً فهذا لا يبيح لنا التعدي ولا المساس بهم أو العبث معهم، بل تجنبهم ما اسـتطعنا، فعلينا ضبط أنفسـنا دون تهاون وأن لا نجعل منزلنا ومـكان عملنا مصدر هم وغم للآخريـن، حفظنا لأعراض الجيران وممتلكاتهم سيعود علينا إيجاباً خاصة عند غيابنا أو موتنا وهذه سنة الله تعالى، وقد قال الشاعر المخضرم الحطيئة:

مَـن يَـفـعَـلِ الـخَـيـرَ لا يَـعـدَم جَـوازِيَـهُ

لا يَـذهَـبُ الـعُـرفُ بَـيـنَ اللهِ وَالـنـاسِ

كمـا أنه من فعـل عكس ذلك أثبت شـر طبعه وسـوء منبته ونفاقـه، قال ﷺ : «واللهِ لا يؤمِـنُ واللهِ لا يؤمِنُ واللهِ لا يؤمِنُ قالوا وما ذاكَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: جارٌ لا يأمنُ جارُهُ بوائقَهُ، قالوا يا رسولَ اللهِ وما بوائقُهُ؟ قال: شرهُ» - حديث صحيح، مجمع الزوائد.

عـداوات الجيران مهما كانت سـتزول عندمـا نلقي عليهم السـلام... (السـلام عليكم) نلقيها لأجل الله تعالـى وحده، فمن رد علينا السـلام فقد أصاب السـنة وأحسن التصرف، ومن لم يرد السـلام لعله لم يسمع لأنه مشغول البال أو ضعيف السمع، ولعله

بعد حين من تكرارنا للسلام يعود لرشده ويرد السلام بسلام فيعود السـلام بيننا، وقد جربت هذا بنفسـي عندما اختلفت مع جار لي، ثم بعد أشـهر توفيت والدته فأسـرعت بالتعزيـة، ولكن لم تصفى القلوب بعد، فقررت بعد حين البدء بالسلام لأجل الله لا غير وهذا أقل المعروف، وقد خفف هذا من حدة التوتر لله الفضل، قال ﷺ : «لا تدخلوا الجنةِ حتى تؤمِنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا ، ألا أدلُّكم على ما تحابُّون به؟ قالوا: بلى ، يا رسـولَ اللهِ ، قال: أَفشوا السلامَ بينَكم» - حديث صحيح.

الخلافـات مع الجيـران من الأمـور الواردة فـي كل مكان وزمان، مهما حاولنا تجنب ذلك سـيقع الخلاف يوما ما لأنها سنة الحياة، فما علينا إلا أخذ الأمور بالتروي ولا نجعل الخلافات حرباً وصراعاً لأن كلا الطرفين سيخسر، خاصة إن كانت لأجل مواقف السـيارات أو أخطاء غير مقصودة أو سببها الأطفال وخلافاتهم أو ما شـابه، فجيمعها ليسـت من الأمور العظام وليست نهاية الدنيا، كما أن الحي ليس ملكية فردية خاصة نديره كيفما نشـاء وعلى من نشاء وإن كان غريباً ليس من أهل الوطن، عدا ذلك الدولة لن تفرغ نفسها للأحياء وخلافات الجيران، وكل ذلك ليس حجة للانفلات والانحطاط ومخالفة الآداب التي تعكس تعاليم الإسلام الكريمة،

كمـا أن نهج أسـلوب الترهيب والتخريب بـاب لا يُنصح به أبداً، فكيف بعاقل يقحم نفسـه في المشـاكل والصراعات عند مسـكنه ومأواه مع جيرانه! فالحي وأهله أولى المواطن بالسـلم لا العنف، ولـن يزول العنف بالعنف إلا بالحسـنى وطيـب الكلمة، لأن فتح الجبهـات ضد الجيران سـيجلب الضيق ويزيد الهمـوم والغموم ويطـرد الملائكة ويمحق البركة فالله لا يحـب المعتدين، قال ﷺ : «مـا زال جِبريلُ عليه السلام يوصيني بالجارِ حتَّى ظننْتُ أنَّه سـيورِّثُهُ» – تخريج مشكل الأثار لشعيب الأرناؤوط (الدمشقي).

سمعتنا الطيبة بين الجيران في الحي وغيره شهادة لا تعلوها شـهادة لأنها تجلـب البـركات والنجاحات على كافـة الأصعدة الاجتماعيـة والأسـرية والمالية والعلمية على المـدى القريب أو البعيد، كما أن أبناءنا سينالون من ذلك نصيباً، السمعة الحسنة نعمة يضعهـا الله للعبد في نفـوس الناس، ويُجرِيها على ألسـنة الخَلْق، والذِّكْرُ الطيبُ معيارٌ من معايير القيَم والأخلاق، يرجِع إليه الناسُ، وتوزن به أقدار الرجال.

(السُمعة الطيبة خيرٌ من الذهب)

A good name is better than gold

عندما تهجرّ العراقيون وقد بلغوا المليونين في سوريا عاشوا بيـن أهلها ودخلوا مدارسـها وطعمـوا منها، وقـد صاحبهم أهل الشـام وجاوروهم في الحي والعمل والدراسـة ولم ير العراقيون إلا كل الخيـر، فقـد تم ضمهم والسـعي علـى حوائجهم وتقديم لهم المسـتطاع، كان أهل الشـام يقدّمون لهم كل ما يرضي الله لا غير، وشـعارهم لا نريد جـزاءً ولا شـكوراً، لا ننكر وجود بعض السـقطات والمساوئ والسـلبيات والمخالفات والمشـاكل من بعض الأشـخاص، ولكـن لم تقابـل بالعداء الوحشـي، حتى إن أقربائي وأصدقائي لا أذكر إلا مقتطفات سريعة حين تكلموا عنهم مثل: أصبح العراقية كثر، العراقية يشـترون.. وهكذا لا أحقاد تثار أو نعرات تطرح، ولا أذكر إلا إن المجتمع الشـامي استقبلهم خير استقبال وحفهم بالخير والوداد كأننا جسد واحد وبنيان واحد.

أذكر عندما انتقلـت الى دار جديدة بأيام وجدت طارقاً على الباب يقدم لنا الضيافة من حلويات وشـاي وقهوة بمناسبة الجيرة الجديـدة، وما زالت العائلة السـودانية الكريمـة تقدم لنا كل حين الطعام والشـراب والحلويات ونحن نبادرهـم أيضاً المثل وزيادة بفضل الله، وقد كنت سـابقاً مستشـيراً مسـتخيراً على السكنة ولله الحمـد، كما أننا ننوه بأن من استشـار واسـتخار ثـم وجد عكس

المرجو فلا تأخذه الشكوك والظنون بالله، لأن هذا القضاء والقدر عدا أن النفوس قد لا تتوافق مع البعض، كما قال الشافعي رحمه الله:

فَما كُلُّ مَن تَهواهُ يَهواكَ قلبهُ
ولا كلُّ مَنْ صَافَيتَه لَكَ قَد صَفَا

أذكر في صغري عندما كنت في مدارس دمشق أن هناك جنسيات أخرى درست في مدارسنا وفي صفوفنا غير الشاميين، وقد كان الشاميون قلة قليلة في بعض الأحياء، والجنسيات حولنا كانت: اليمنية، الصومالية، الأردنية، الشيشانية، الشركسية، الأرمنية، التركمانية، الكردية، العراقية، الفلسطينية.. ثم لجأ إليها بعد سنوات اللبنانيون أيضاً، ولا أذكر حوادث عنصرية حدثت ضدهم من أهل البلد، أو قوانين مجحفة أو ظالمة طالتهم، لا أذكر إلا أن ابن البلد يحمي ويدافع عن الغريب ويقف معه في حال تطاول عليه أحدهم:

لا تقطعن يد الإحسان عن أحدٍ
ما دمتَ تقدرُ فالأيامُ تاراتُ

حـدث أن رجلاً أخرج متاعه وأشـياءه من منزله إلى الطريق أمـام المـارة هرباً من جاره الضـار لكي يراه النـاس ويعلمون أمر جـاره، رجـاء أن يكف ويعتبر، «جـاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ يشـكو جـارَه، فقال النبي ﷺ : اذهـب فاصبر، فأتاه مرتين أو ثلاثًا.. فقال رسـول الله ﷺ : اذهـب فاطرح متاعَك في الطريـق، فطرح متاعَه في الطريق، فجعل الناسُ يسـألونه فيخبرهـم خبره، فجعل الناسُ يلعنونَـه: فعل اللهُ به، وفعل، وفعل، فجاء إليه جارُه فقال له: ارجع لا ترى مني شيئًا تكرهه» - رواه ابن حبان وأبو يعلى.

الزمالة

معنــى الزمالة: بَيْنَهُما زَمالَةٌ: عَلاقَةُ رُفقَةٍ وَصَداقَةٍ تكَوَّنَت في مَجالٍ مِنَ الْمَجالاتِ، تَطبَعُ روح الزَّمالَةِ عَلاقَتَهُما: روح التَّضامُنِ والتَّعــاوُنِ - معجم الغني. الزمالة فــي أي حقل من حقول العمل تجمع في طياتها الصداقة والشــراكة والأخــوة والتعاون والهدف المشــترك والمصلحــة الواحــدة خاصــة إن كانت النوايــا صافية والقلــوب متحابــة، واجتمعت جميعاً فيما يحبه الله ورســوله، من هنــا تتحقق الأهــداف وتتوفق الجمــوع في تحصيــل المطلوب، وهذا ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، فلولا صدق نواياهم وحسن التآخي وشرف الرسالة لما سادوا العالم وأطاعت لهــم قلوب العباد ودانت البلاد، وقد قيل: (على قدر صلاح النوايا تكون العطايا).

الزمالة قد تصبح عداوة إن غلب عليها غالب الأنانية، فالأنانية وإن كانت محصلة للمنافع الشــخصية ولكنها تبقى مؤقتة ســريعة الــزوال لن تدوم مثل دوام الصداقة والأخــوة، وغالب من حارب

الأنانية وفضل الجماعة في السـراء والضراء جلب لنفسه الطيبات والمسـرات والصيت الحسـن ولمع نجمه ولو بعـد حين، فيد الله مـع الجماعة، وكم من زمالات كانت علـى خير ووفاق ثم حدث أن تشـاركت أو تصاهرت فانتفعـت وارتفعت، وهذا ما حدث مع الصحابة الكرام حين تعاونوا وتحابوا فتصاهروا وتشـاركوا فنالوا الخير كله، وقد صاهر سـيدنا عمر بن الخطاب سيدنا علي بن أبي طالب بزواجه من ابنته أم كلثوم رضوان الله عليهم.

من سـعى جاهداً لكسب ود الزملاء ولو سطحياً فهو اللبيب الموفـق، فرب زميل ينافح عنك ويصـف في صفك خير من عدو يتربص بك، ولعل هذا الزميل الذي لا تعيره اهتمامك ولا يعتريك أمره يصبح يوما ما مديراً مباشـراً أو عاما أو قريباً أو شـفيعاً أو غير ذلك، فكسب القلوب أولى من كسب المواقف، وهذا لا يعني أبداً قبول مصاحبة أهل المعاصي والأسافل منهم:

إذا كُـنـتَ فـي قـومٍ فصاحب خيارَهُم
ولا تصحبِ الأردَى فتردَى مع الـرَّدي

الزمالة بين المدير أو ذي الرتبة مع من دونه ليسـت كما بين الخالق والمخلوق، ليسـت كما بين رجل وطفل، لننتبه جيداً، فإننا

نحمل أمانة التوجيه وليس التملك، والناس التي تعمل معنا وعندنا ليســوا عبيــداً أو دوننا منزلة كما أن الله فضلنــا عليهم ليس لوجود مزايــا فريدة نادرة فينا، فهم من لحــم وطين وكذلك نحن، فالناس سواســية كأســنان المشــط، وإنما يتفاضلون بالخصال الكريمة لا بالصفــات الظاهرية، لا فضل لأحدٍ على أحدٍ إلا بالتقوى والأدب والمروءة والعمل الصالح، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:13].

الزميل الســام، لا خير بمن تتبع العورات وأفسد بين الزملاء ورصــد الأخطاء وفضحها، الزمالة الســامة لا رجاء فيها ولا خير، فمتــى وجدنا أنفســنا داخل دائرة شــريرة جالبة للويــلات والبلاء ومدمــرة للنفس والحياة فما علينا إلا مغادرة المكان وتركه بالكلية ولو كنا في حاجة وضائقة فالهروب أولى لأن البقاء سيزيد مخاطر الفشل والضياع ثم لا سبيل للنجاة بعد ذلك، العاقل الراشد لا يظن بــأن بقاءه ضمن هذه الزمرة الســامة واندامجه معهم ســيجعله في مأمن ومنأى عن البلاء والســم المبعوث منهم، لأنهم جلساء سوء كما قال النبي ﷺ : «.. ونافِخُ الكِيرِ ، إما أن يَحرِقَ ثيابَكَ، وإما أن تَجِدَ منه رِيحا خَبيثَةً» - صححه الألباني في صحيح الجامع.

وهذه الأفعال من أذية وضرر لا ترضي الله عز وجل وليست من أخلاق المسلم ولكنها أخلاق أهل الغدر والنفاق والفسوق، قال عنهم ربنا سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة:67].

للزمالة مكانة عند الجميع في كافة الأصعدة والمجالات، الفنية، العملية، الدينية، الدعوية، التجارية، التعليمية، جميعها صحبة ومخالطة، كما أن الزمالة الصادقة النبيلة تنفع ولا تضر، تعطي ولا تسرق، تحمي ولا تخون، ولا تبخس الآخر مهما كان جنسه أو شكله أو دينه، ولا تقف الزمالة بوجه الزميل ومستقبله لأغراض شخصية ولا تلوث سمعته وتقطع برزقه كذباً وحسداً وغيرةً. فكم من الزملاء كسبوا الود ورضى الله وكانوا أهلاً لها لأجل مواقفهم المشرفة الساطعة فارتقوا في المراتب، لأن الناس أخيراً تميل إلى القلوب والأيادي البيضاء.

تفشل علاقات الزمالة بين الناس أحياناً لأجل أناس فضلت واختارت التنافس الداخلي عن المخاطر والمنافسة الخارجية كما فضلت الصعود على أكتاف الآخرين ونأت بنفسها عن الجماعة والصداقة والزمالة لأجل (الأنا) بدلاً عن (نحن) عافانا الله من أمراض القلوب، والعكس صحيح، عندما تكون الزمالة بين

الأطراف على خير سليمة لا اعوجاج فيها تراها لاحقاً قد أثمرت وأنتجت النفيس من الثمار فأكلت وأطعمت، والعرب في لغتها لا تقول (أنا) وإن كان المتحدث فرداً بل تقول (نحن) للتعظيم والتفخيم إظهاراً للتعاون والتآلف، وعلى هذا نفهم أن التعاون والتكاتف والتآلف حتى في الأقوال قوة وبلاغة، كيف وإن اجتمعا معاً أقوالاً وأفعالاً.

للزمالة حدود وأصول وضوابط فلا يصح بتاتاً فتح الحدود وضرب الأصول وقتل الضوابط والتغاضي عن الحرمات التي هي من عمل الشيطان وخطواته، فتصبح على ذلك الزمالة التي هدفها وغايتها الأساسية العمل والتكسب ولقمة العيش لعنة وإثما وشراً خاصة بين الإناث والذكور في بيئة العمل المختلطة التي لا تحرم حراما ولا يهمها الحدود التي أنزلها الله وغالب نتائجها والعياذ بالله الزنا، شر معصية قال ﷺ : «الْعَينُ تَزنِي وَالْقَلْبُ يَزنِي فَزِنَا الْعَينِ النَّظَرُ وَزِنَا الْقَلْبِ التَّمَنِّي وَالْفَرجُ يُصَدِّقُ ما هُنَالِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ» – مسند الإمام أحمد – كما أن الخلوة بين الزملاء الإناث والذكور في أماكن العمل من أكثر ما يهيج النفس ويجعلها تقع في الزنا فكراً وتخيلاً إلى أن تصبح تخطيطاً وفعلاً فيقع الفأس في الرأس ويندمان على ما فرطا في جنب الله.

الزمالة الخسيسة بين الرئيس والمسؤول بين الموظف والمدير، اللذين يجعلان الزمالة خنجراً في قلوب العباد والبلاد وسداً على الناس بوجه الانتفاع والارتقاء لأنهما يتواطآن بدناءة على استغلال الزمالة لمنافعهما الشخصية لا لمنافع الشعب والبلاد، فهما وأمثالهما سبب خراب الأمة وتراجعها، وعلى الإدارات الصادقة ضبط هؤلاء قدر المستطاع دون تهاون لأن غاية العمل والزمالة تسيير أعمال الناس وشؤونهم لا العكس، فتقهقر الأمة نتيجة الفساد الذي يطوي في صفحاته أولاً الزمالة الخسيسة، قال الله جلّ وعلا: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [المائدة:2].

الشراكة التشارك الشريك

الشـراكة الخاليـة من بنـود الاتفـاق والتوثيق والمجالسـة والأخذ والرد سـتجلب الخصام والنزاعات ولو بعد حين ولو مع القريـب أو الغريب أو الصديق، فالعجلة من الشـيطان والتأني من الرحمن، الثقـة العمياء لا تدوم طالما الشـيطان لم يمت، والتأني يكون بتوثيق البنود وكتابة العقود وإشهاد الشهود والموافقات بعد التفصيـل والتوضيـح والبينة لكيلا نقع في دوامـة الخصام ونقول ظننت توقعت توهمت! وكان الاتفاق كذا وكذا..! ولم أقل كذا..! وأنت وعدتني كذا..! لذلك علينا أن (نكتب كل شيء) كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ﴾ [البقرة:282].

كلنـا نحتاج لمـن يقف معنـا ويدعمنـا في كافـة الأصعدة الاجتماعيـة والاقتصاديـة والدينية والمعيشـية والعمليـة إلخ... سخرنا الله تعالى لبعضنا البعض، النواقص والحاجة وضيق الوقت حتمت علينا مشـاركة الآخرين، القوي يحتاج الضعيف والعكس

والرجـل يحتاج إلى المرأة والعكـس صحيح، والذكي يحتاج إلى الحكيـم والحكيم يحتاج إلى الذكي والجاهـل يحتاج إلى العالم والعالـم يحتـاج إلى الجاهـل ليعلمه، ولـولا الضعفاء لمـا رأينا الأقوياء، لذلك تتمايز الأشـياء بأضدادها، قال الله سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف:32].

الشـراكة رابطة مقدسة مبنية على الثقة وحسن الظن والأمانة ولولاهـا، لتعطلـت الدنيا وتوقفت بالكلية ولما تعاقد وشـارك أو تزوج أحـدٌ، فالعلاقات تبنـى على ذلك، ومن هـدم الثقة ونقض المواثيق واسـتغل الأمانة فما ربحت تجارته ولا بورك في سـعيه، ونهايتـه لا شـك قادمة وأليمة، وسـيجعله الله عبرة لمـن اعتبر لا محـال، فالله يمهل ولا يهمل، ومن تاب ورد الحقوق وأصلح تاب الله عليه لأنه من القلة النقية في المجتمع، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ﴾ [ص:24].

الشـريك الصالح من يفضل في حال النزاع المضي قدما في دربه دون مساس شريكه بضر ويصون سمعته بين الناس إرضاءً لله

تعالى، وتقديراً للعشـرة وحفظاً للسمعة لأنها كنز ثمين فالناس لا تستغني عن الأمين الصالح، وأول ما يسأل عنه الناس هو السمعة: كيـف فلان، ماذا فعل حين حدث كذا وكذا، ماذا كان رده.. لذلك لا تلمع معادن الناس وتظهر إلا بالمواقف والنزاعات، وحل النزاع مهمـا كان ألمه وتأثيره بالتراضي والود والصفح والنسـيان أفضل الخيارات، الشراكة التي نشأت عن تراض واتفاق وبدأت بإحسان وتوفيق لا ينبغي مغادرتها إلا إن دعت الضرورة بإحسان لا عجالة وخصومة، لعـل المياه تعود لمجاريها وتعود الشـراكة أفضل مما كانت، لا ندري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱصۡـبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرًا جَمِيلا ﴾ [المزّمل:10]، ولن يبقى إلا جميل الأثر.

الشـراكة العشـوائية المبنية على العجلة وحسن الظن الزائد عـن اللـزوم أو اعتماد المظاهر بـدلاً من السـمعة والمضمون لا تدوم ولا تطول ونهايتها المحاكم والخسـارة والتأسف والحسرة، كما قال سـيدنا عمر بن الخطاب ﵁ : «لسـتُ بالخَبِ ولا الخب يخدعني»، فالخبُّ في اللغة هو المراوغ الماكر، وفي ديننا، المسلم ليـس بالمخادع ولا الـكاذب ولا الماكر، فتبينـوا رحمكم الله من الشـريك، وخذوا حذركم واسألوا عن الشـريك وماضيه وسمعته

وأمانتـه ودينه، فالسـؤال مفتاح المعرفة والأمـان، ولنعلم أن على الباغـي تدور الدوائـر، ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُـونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ [فاطر:43].

هل نشـارك القريب ونوظف الأقربـاء أم الأقارب عقارب؟

مـن كان لا يبصر الصالح من الطالح ولا يملك الحكمة في التمييز بيـن الناس لا ريب سـيصاب بلدغات العقارب مـن الغريب قبل القريب، ومـن كان حصيفاً حكيما حليما نجح مع الجميع واجتاز الصعاب ولملم شـتات الأقـارب وجمعهم تحت سـقف واحد، كمـا أن الأقرباء يميلون لبعضهم البعض ويرجون الدعم والسـند والكلمـة الطيبة ويأملون الكرم وطول الاهتمام دون أذىً ولا منّ، كمـا أن الأجـر كل الأجر لمن أعان أرحامـه وفضلهم عن الغرباء وقد قال الله تعالى: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [الأحـزاب:6]، وهذا لا يعارض أبـداً كتابة العقود وتوثيق البنود والاتفاق المتبادل تجنباً للقيل والقال والنزاع في المسـتقبل لا قدر الله.

المدير المسؤول الرئيس

الإداريون كالرؤساء والمسؤولون والضباط وغيرهم قلائل مكنهم الله على رقاب الناس، سخر لهم البلاد والعباد، أتاح لهم الكثير وفضلهم على عباده، فهم ساسة الناس والناس عليهم تعول، وتسمع لقولهم وتصدق، فإن أرادوا النجاة والفلاح حقاً وصَدقوا الناس وأخلصوا دينهم وأعمالهم لله وسلكوا مسلكاً طيباً مضت السفينة بخير ونجى وسعد الجميع، وإن كذبوا وغدروا وسعوا في الأرض فساداً غرقت السفينة بأهلها وتعس الجميع، وقد قال الشاعر أبو العتاهية:

تَرجو النَجاةَ وَلَم تَسلُك مَسالِكَها
إِنَّ السَفينَةَ لا تَجري عَلى اليَبَسِ

الإدارة تحتاج لصفات وخصال فريدة كريمة لا سبيل للإداري الناجح عنها مهما فاقت شهاداته وخبراته:

أولاً وأهمها: الإيمان بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ والعمل بهما.

ثانيها: حسن الخلق، ثالثها: العلم، رابعها: الحلم، خامسها: الكرم، سادسها: الحزم، وسابعها: البر، وثامنها: الشكر، تاسعها: اللين، عاشرها: الشجاعة، وأخيراً: تعدد الخبرات والمهن. فلا نغتر بأنفسنا أو نغتر بمن ليست فيه هذه الخصال لأن ليس كل ما يلمع ذهباً، ولعلنا نستأنس بما قاله سيدنا علي رضي الله عنه في شعره:

إِنَّ الـمَـكـارِمَ أَخـلاقٌ مُـطَـهَـرةٌ
فَـالـدّيـنُ أَوَلُّـهـا وَالـعَـقـلُ ثانيها
وَالـعِـلـمُ ثـالِـثُـهـا وَالـحـلـمُ رابِـعَـهـا
وَالـجـودُ خامِسُها وَالـفَـصـلُ سادسها
وَالـبِـرُّ سـابِـعُـهـا وَالـصَـبـرُ ثـامِـنُـهـا
وَالـشُـكـرُ تـاسِـعُـهـا وَالـلَـيـنُ باقيها

الإدارة لها أهلها (ورجالها)، وهي بلا شك (ملعب الرجال) مع احترامنا وتقديرنا لمربيات الأجيال النساء الأمهات، اللواتي ولدن الرجال، كعيسى وأمه مريم عليهما السلام وإسماعيل وأمه هاجر عليهما السلام.

وأيضاً والدة الإمام الشافعي، أحمد بن حنبل، النووي والقائمة تطول إذ تذكر نساء عظيمات مخلصات تقيات عفيفات

نقيات أخرجن للأمة رجالاً لا نظير لهم ولا مثيل، فالتربية والرعاية ملعب النساء من دون منازع.

أما الإدارة والتنفيذ والتطوير ملعب الرجال، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [النساء:32].

الإدارة ليست منصباً لتعذيب العباد والأخذ بالثأر من أحداث طفولية وقعت ولا بالتضييق عليهم كرهاً وحقداً، بل منصباً لتسهيل الحياة والتيسير والإصلاح، وبهذا تتمايز النجاحات والرجال، وتتقدم دول وتتأخر أخر، استغلال المنصب الإداري فيما لا يرضي الله عز وجل ومعاكسة أخلاقيات العمل والرجولة وفشو ذلك في الأقطار الإسلامية أخرج كثيراً من الدول خارج مضمار التطور والتقدم، فباؤوا جميعاً بالانحطاط والهوان والفشل لأن الأخيار قصرت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإداريون غرتهم الحياة الدنيا واختاروا العاجلة على الآخرة، وحاربوا الأخيار بكل ما آتاهم الله من قوة كما أحاطوا أنفسهم بشرذمة شريرة لا تعين على الحق لا يهمها إلا مصلحتها ونهب الخيرات ونصرة الشيطان، فخانوا الأمانة وضيعوها.

عَــن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُــولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا ضيعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» – رواه البخاري.

رجال ســطرها التاريــخ وذاع صيتهم وعلا نجمهم لحســن إدارتهــم وقيادتهــم، فبعــد عهد الصحابــة المنير الكريــم المكلل بالنجاحات، ســار علــى طريقتهم رجال لوامع، فــي زمن الخلافة الأموية في دمشــق لمع نجم الرجل الصالــح الخليفة عمر بن عبد العزيــز، وفي زمن الخلافة العباســية في بغداد لمــع نجم الخليفة هارون الرشيد، وفي دمشق أيضاً لمع القائد صلاح الدين الأيوبي، وأيضاً الخليفة القائد محمد الفاتح عندما فتح القسطنطينية (إسلام بول) والكثير من المؤمنين الرجال، أخلصوا لله أعمالهم وأوقاتهم، وجعلوا الإسلام نصب أعينهم فربحوا الدارين.

عــن أنس بــن مالك ﷺ قال: قال رســول الله ﷺ: «إذا أرادَ اللَّهُ بعبدٍ خيرًا اســتعملَهُ»، فقيلَ: كيفَ يستعملُهُ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: «يوفِّقُهُ لعملٍ صالحٍ قبلَ الموتِ» – صحيح الإمام الترمذي.

الرئاســة والمناصب والســلطة ليســت لقهر العباد وضرب البلاد بيدٍ من حديد، وليست مرتعاً وملعباً ومغنما للعائلة والأقارب والأصحــاب. كمــا أن الإدارة العنيفة القاســية الحديدية قد تنجح

أحيانـاً ولكن لا تفلـح ولا تدوم على المـدى الطويل لأن العنف والقســوة يخلقان الدمار والخراب، ومن يزرع الشوك يحصده ولو طـال الزمان، ومن يـزرع البذور النافعة من تيســير وتعاون وعدل وإنصـاف يحصد الثمار وينتفع الجميع مـن دون توتر وعداوات، ومن لم يفهم سـيندم، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ مَنْ ولِي من أمرِ أُمَّتِي شـيئًا فَشَقَّ عليهم فاشْقُق عليهِ، ومَن ولِيَ من أمرِ أُمَّتِي شـيئًا فَرَفَقَ بِهم فارفُق بِـهِ» - حديث صحيح رواه الإمام مسلم.

الإدارة ليســت منصبـاً نتعاظم بـه ونتعالى مـن خلاله على النـاس، ولا يصح الاحتجاب عن الناس بدعوة الانشـغال وضيق الوقت، فنحـن جزء لا يتجزأ من المجتمع لا يسـعنا إلا الاندماج معهم والإنصات لهـم دون منّة أو تأفف، وعلينا إبقاء بابنا مفتوحاً على الدوام نسـتقبل الفقير قبل الغنـي والضعيف قبل القوي، ولا نغتر بأفعال وعادات الفسقة من المسؤولين الذين لا يراعون الناس وحوائجهم، فيزيدون الهمّ همـاً، ولنعلم جميعاً أن هناك الملايين من الناس التي تمتلك السـلطة والمال، لسـنا الوحيدين على هذه المعمورة فلنتواضع.

عــن أبي مريــم الأزْدي، قال: دخلتُ علــى معاوية فقال: ما أنْعَمَنــا بك أبــا فلان –وهي كلمــة تقولها العرب– فقلــتُ: حديثًا ســمعتُه أُخبرُك به، سمعتُ رســول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « مَــن ولَّاهُ الله عز وجل شــيئًا مِــنْ أَمر المســلمين فاحتَجَبَ دُونَ حاجَتِهــم وخَلَّتِهِم وفقرهــم، احتَجَبَ الله عنــه دون حاجَتِه وخَلَّتِهِ وفقره» قــال: فَجَعَل رجلًا على حوائِــج الناس – حديث صحيح، رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

للإدارة طرق وأســاليب وفنون في فرض القوانين ونشــرها وتوضيحها للناس، فإذا كانت القوانين غير مدروســة بحكمة وترو مــن كل جوانبها الســلبية والإيجابية ولم يتم إنزالها منزلاً شــرعياً صحيحــاً وكريما فســوف نهلــك الحرث والنســل وتصاب البلاد بالحمــى ثم مــا أن تلبث وتتزعزع ويســوء حالها ويســعد عدوها ويشمت، خاصة إن كانت ماخوذة من أناس عنيفة أو قاسية وفاسدة أو مادية وضعيفة، كما جاء في كتاب صحيح الإمام مسلم، عن أبي ذر ﵁ : قال: قلت: يا رســولَ اللهِ ألا تســتعملْني أي –في منصبٍ– قال: فضرب بيدِه على منكبي ثم قال «يا أبا ذرٍّ إنك ضعيفٌ، وإنها أمانــةٌ وإنها يومَ القيامــة خزيٌّ وندامة إلا من أخذهــا بحقِّها وأدَّى الــذي عليه فيها». هنا نعلم أن الإمــارة والإدارة والقوانين والتدبير

أمانة عظيمة ومسؤولية أعظم، ناهيك عن أمانة وإيمان وشجاعة الصحابي أبو ذر ﷺ ، فكيف بمن هو دونه لا أمانة ولا إيمان ولا شجاعة، لذلك نجد أمر الأمة في تدهور وانحطاط.

نجد الآن الكثير من المخالفات الظالمة القاسية قد وضعت ونُفذت لأسباب ملحة للحد من مشاكل وكوارث المشاكسين، ثم نجد مع الأيام أن الكثير من بسطاء الناس وقعت خطأ في هذه المخالفات التي استحدثت، فتصاب بالظلم خاصة إن كانت عواقبها نفسية أو مادية مجحفة، علما أن سجل هذا المخالف قد يتمتع بالنزاهة ويخلو من المخالفات والسوابق..، فليس على أهل هذه القوانين بعد وضع آلية تحث على إعادة النظر وقراءة تاريخ المخالف جيداً إلا العفو وتقديم فرصة ثانية وتحري العدل وبسطه قبل تثبيت المخالفة وظلم المظلوم.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ ﴾ [البقرة:237].

الساعي للكرسي والسلطة المتشوف لها الحالم أن يصبح مسؤولاً أو رئيساً لينعم ويسود قومه والناس ويأمر وينهى ويعيش، لا يصح شرعاً توليته وفسح المجال له، فهذه الفئة تضر ولا تنفع

ثم تغرق في الفتن والشهوات، فلا ريب الجشع والطمع لن يتوقفا عند ذلك فحسب، بل سيدفعان صاحب السلطة والقوة لاستغلال المنصب لمآرب أخرى بعكس من كانت السلطة والرئاسة آخر همه، فهذا سيجعل خيرات البلاد تذهب للشعب، لا لفئة قليلة من أهل السلطة والجاه كما هو الحال في يومنا هذا، وسيأخذ بيد الضعفاء ضد الأقوياء بالعدل والإنصاف لا كما يحدث الآن من ضياع حق الضعيف وكرامته، فالأمر يبدأ بالرجل الصحيح في المكان الصحيح، المختار من قبل الناس وأهل الفضل والصلاح، لا المختار من قبل نفسه أو الأغنياء وأصحاب النفوذ. عن أبي موسى الأشعري ﵁ قال: دَخَلْتُ علَى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أَنَا وَرَجُلَانِ مِن بَنِي عَمِّي، فَقالَ أَحدُ الرَّجُلَينِ: يا رَسولَ اللهِ، أَمِّرنَا علَى بَعضِ ما وَلَّاكَ اللَّهُ عز وَجَلَّ، وَقالَ الآخَرُ مِثلَ ذلكَ، فَقالَ: «إنَّا وَاللَّهِ لا نُوَلِّي علَى هذا العَمَلِ أَحدًا سَأَلَهُ، وَلَا أَحدًا حرَصَ عليه» – حديث صحيح رواه مسلم.

تمني الإمارة والإدارة مسؤولية عظيمة قد لا يدركها العقل ويستوعبها الإنسان لعظم أهميتها ومكانتها المرتبطة بمصالح العباد والبلاد وشؤونهم ومستقبلهم فلا مجال للخطأ، ناهيك عن الحسرة والندامة يوم القيامة إن كان المسؤول جاهلاً أو ضعيفاً صاحب

إمكانيـات ركيكـة وخبرة ضئيلـة وحكمة معدومة، فهذه الأشـياء كلها تتطلب رجلاً خاض الصعاب وجرب وحارب وخاف وجاع، خالط الناس شـرارها وأخيارها وتعلم وسافر، وأحاط علما وإيماناً بكتـاب الله وسـنة نبيه وأخبار السـلف الصالـح والتاريخ والأدب والشـعر والبلدان، صاحب شجاعة وهيبة وبسالة وتواضع، قالَ لي رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «يا عَبدَ الرَّحمَنِ بنَ سَمُرَةَ لا تَسأَلِ الإمارَةَ، فإن أُعطِيتَهَا عن مَسْـأَلَةٍ وُكِلْتَ إلَيهَا، وإنْ أُعطِيتَهَا عن غيرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنتَ عَلَيهَا» - حديث صحيح رواه الإمام البخاري.

الإدارة أو الإمارة أحياناً حسـرة وندامة لأنهما طريق سـهل محصن لاقتراف الحرام والوقوع في الفتن والشهوات ثم عاقبتهما ميتة السـوء وعذاب القبر ثم النار، فهما سيف ذو حدين، أو يكونا طريقـاً للحـلال والفـلاح ودعاء الناس ثـم الرحمـة فالجنة، لأن صاحب السـيادة والسلطة سيحاسب حسـاباً دقيقاً عن كل شاردة وواردة صغيرة كانـت أو كبيرة، كما قال عز وجل: ﴿ وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات:24].

قال ﷺ : « إِنَّكُم سَـتَحرِصُونَ عَلَى الإمارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامة يَوْمَ القِيَامة، فَنِعمَ المُرضِعَةُ ، وَبِئسَـتِ الفَاطِمة» — حديث صحيح رواه الإمام البخاري.

إن الإداري الناجح الصادق لا يزكي نفسه مهما كان منصبه قال الله عز وجل: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾ [النجم:32]، لا تجده مادحاً ناسباً لنفسه ناسياً غيره بل يقول: (كنا، نحن فعلنا عملنا، أنتم، جميعنا، كلنا، معاً...) يتواضع يسمع يلين، يلتمس الأعذار ويقبلها، يخلق الحلول، يفي بالوعود، يساعد يساند يسامح، يشارك النجاح، يبادر بالعطاء، جواد كريم، رفيقٌ نبيل، يشكر الناس ويقدر لهم عملهم ويجازيهم عليه، لأنه يعلم مركزه، ويعلم أن الله قد فضله على كثير ممن خلق، ويعلم كل العلم لولا توفيق الله ما كان الذي كان ولم يحقق ما تحقق، فالفضل كله لله أولاً وأخيراً ثم للفريق والزملاء والناس، قال رسول الله ﷺ: «من لم يشكرِ النَّاسَ لم يشكرِ اللَّهَ» – هداية الرواة لابن حجر العسقلاني.

العمل والعمال
الموظف والوظيفة

بعض النــاس لا ندري لماذا تلبس لبــاس العظمة والكبرياء وتتعاظم على الناس لأجل منصبها ووظيفتها، وكأنها ملكت الدنيا ومــا عليها وأصبح الناس عبيداً لها، ورأت نفســها فوقهم لا كرامة لهم، ويحسبون أن الله يجيزهم على ذلك بدلالة اختياره لهم وجعل النــاس تلجأ لهــم وتقصدهم، الحقيقــة أنهم بؤســاء، النقص في شــخصيتهم كبير، يسعون لسد فجوتهم بالتكبر والتعالي والمظاهر والمناصب، يتناســون أنهم من الإنس أيضاً، يعيشون في الظلمات يحسبون أنهم على شيء، يشابهون اليهود الذين يقولون نحن شعب الله المختار، قَالَ اللَّهُ عــز وَجَلَّ: «الْكِبرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمة إِزَارِي، فَمَــن نَازَعَنِي وَاحدًا مِنهُما، قَذَفتُهُ فِي النَّار» – حديث صحيح رواه أبو داود.

أداء المهام الوظيفيــة كاملة من دون نقصان ومماطلة وتراخٍ وتأجيل وتســويف بالقدر المســتطاع قبل نهاية الدوام يسهل على

العبــاد الحياة ويعجل بعجلة التطور للأمام مما يعكس إيجاباً علينا جميعــاً الخير والنمو والتقدم، فمهما كنا في مأزِق ومشــاكل تبقى المهام الوظيفية أولاً وأخيراً من الأولويات، أيضاً العملاء والزملاء لهــم منا كامل الانتباه والإخلاص فــي تلبية متطلباتهم دون تقصير ومنّــة وتأفف، فهذا واجبنــا ولا نرضى لهم بأقل من ذلك ولا نقبل لأنفسنا أن نكون مصدر التأخير والتقصير، قال ﷺ : «إِنَّ اللهَ تعالى يُحبُّ إذا عمِلَ أحدُكمْ عملًا أن يُتقِنَهُ» – صححه الألباني.

أجير عامــل، خادم، مجنــد جميعهم ذوي إنتاجيــة وفاعلية وعزيمــة، وإصرارهم المحرك الأساســي الثمين ونــواة المجتمع للأمــة والبلاد والأجيــال، الذين لا غنى عنهم، فليــس لهم منا إلا كل التقديــر والاحترام لأنهم يقومون بمهام يصعب على الكثير منا أداؤهــا والصبر عليها فلا جلد عندنا، كمــا أن البلاد بغالبيتها تقوم عليهــم وتحتمي من بعــد الله بظلهم وتتحرك الأســواق بجهدهم وحركتهم، وإن كانوا أصحاب بســاطة وتواضع ومكانة عادية بين أفــراد المجتمع ودخــل مادي محدود ولكنهــم مفخرة البلاد دون منازع ولا يعلم بقدرهم إلا كل لبيب ونبيل.

لا يمنعنا المسؤول الإداري والرئيس أو المشرف من التقصير في العمل لأجل بعض الخلافات القديمة أو الحديثة معهم، فنحن

أرفع من النزول دون المستوى وأكرم من تضييع الأمانة لأجلهم، كما أن سمعتنا أمام الله أولاً ثم الناس مهمة وفوق الجميع، ولن نتيح لهم المجال ليقولوا: (فلان مقصر، فلان ليس بأمين، لا إخلاص ولا إيمان لديه، لا يحلل راتبه...)، وإن حدث واقترفنا بعض الأخطاء في العمل ولم يطلع عليها أحدٌ، فلا نتردد في تصحيح وتدارك الأمر دون تأجيل، لأن الصواب أولى بالاتباع، فمن أراد النجاح لم تحبسه الأعذار، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب:72].

دقائق وساعات العمل أمانة كبيرة في أعناقنا لا مناص منها إلا بأدائها على الوجه المطلوب دون تضييعها هنا وهناك، فالأجرة نتقاضاها لأجل ذلك، فلا يصح بذل أوقات العمل في غير مهام ومقتضيات العمل، بغض الطرف إن كنا نحب أو نكره أو نختلف مع صاحب العمل أو المدير أو الرئيس، أو ظلمنا أحدهم يوما ما أو وعدنا وأخلف معنا، هذا كله لا يبرر لنا شرعاً خيانة الأمانة وأخذ مال الناس دون وجه حق، ولماذا نجعل لهم في الآخرة علينا سبيلاً، وإن حدث وأخذنا واستهلكنا الأموال والأوقات حراما بعكس المشروع شرعاً، فلا مهرب من تعويض الفائت من الوقت

أو رد المــال لأصحابه بعد التقدير وســؤال أهــل العلم، وإن كان رد المال لأصحابه صعباً أو مســتحيلاً فلنتصدق به عنهم، نستطيع أحياناً تعويضهم بحكمة دون تشــهير من تقديم هدايا مفيدة تهمهم أو تسليمها لأطفالهم كجوائز وهكذا.

عــن أنس بن مالــك رضي الله عنه قال: ما خطبنا رســولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وســلَّم إلَّا قــال: «لا إيمانَ لمن لا أمانةَ لــه ، ولا دينَ لمن لا عهدَ له» – حديث صحيح رواه الإمام أحمد والبزار وأبو يعلى.

الكســب أو الراتب أو العمل أو المســاندة فــي أعمال تدور حول ظلم الناس والتضييق عليهم وســلب ماعندهم ثم التذرع بأن العمل قانونياً مرخصاً وتقره الحكومة لا يعني أنه حلال مبارك، لأنه عين الحــرام والظلم والإثم والعدوان وأكل مــال الناس بالباطل، ولا يصح التكسب منه إطلاقاً أو البقاء فيه، كل ما كسبت أيدينا منه سنحاســب عليه، لنعلم هدانا الله وإياكم أن العمل الشريف شرفٌ وفخرٌ ووســيلة للنفع والانتفاع، كما أن الكســب الحلال الأبيض يجعلنــا فــي بركــة وحفظ ورضى مهمــا قل أو صعــب، فمن ذاق الرضــى والبركة في المال والصحة والأهل والولد يبصر ويعقل ما نقول، وقد قيل: الشــوق لا يكون إلا بالذوق، اللهم أغننا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك.

لا ترضي رؤساءك في العمل على حساب الناس والحق والعدل، فالأحق أحق أن يتبع، الكل مسؤول، لا يمكن قبول الأعذار لا في الدنيا ولا يوم الحساب، وسيتبرأ العامل من مديره ورئيسه يوم يرى العذاب.

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾ [البقرة:166]، ومن هذه الأعذار المرفوضة كالقول: (الرئيس أجبرنا، هددنا، أو لأجل كسب وده، أو خوفاً من طردنا فعلنا مالا يصح فعله، أو نقول: إن لم أفعلها فعلها غيري، أو لا يمكننا رد طلبه، أو أنا ذو عيال وديون ومسؤوليات).. وهنا تكمن المصيبة والبلية التي تعكس قصور أفهام وإيمان وأمانة هؤلاء، وكأنهم عبيد يعيشون في عبودية، ولنعلم أن مصالح الناس هي الغاية الرئيسية لوجودنا في هذه المناصب، ولولاهم لما كنا هنا، فمصلحتهم مقدمة على مصلحة الرئيس أو البلاد أو الشركة أو المكتب أو المال أو حتى أنفسنا.. ومن لم يستطع ذلك فليبحث لنفسه عن عمل آخر أقل أهمية لا ترتبط به مصالح الناس وحوائجهم، ويوم القيامة سيأتي أناس خالفت ما ذكرناه ندمت أشد الندم فدخلت النار عافانا الله: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب:67].

استغلال الوظيفة لأغراض خارجة عن المهام المفروضة أو استغلال موارد العمل وعملائه وعلاقاته لمنفعة مصالحنا الشخصية أو لصالح الأقارب أو الأصحاب لأن هذا يخالف الشرع والأمانة والقانون، وفاعلها يبقى يدور ويصول سراً خفية ظاناً أنها مهارة، لكنها مع الأسف قلة أمانة وخيانة، كما أن عواقبها الدنيوية كارثية ستلاحق وتصيب صاحبها وذويه من أمراض وبلايا وفشل وخوف وقلق وتشتت فكري وعائلي، وتقرب إليهم الأشرار وتبعد عنهم الأخيار، عدا العاقبة الأخروية أشد عذاباً وحسرة وندامة.

أذكر قد رأيت أناساً استغلت وظيفتها لمآربها الخاصة واستمرت على ذلك دون تقوى الله ومخافته، فتشتت شملها وتشوهت سمعتها وفسد أطفالها ودخلت بعد ذلك في نزاعات داخلية مع شركائها جعلتها لا تهنأ ولا تسعد، والآن تعيش منبوذة وحيدة لا تثق بأحدٍ لسوء ظنونها وماضيها، عافانا الله وإياكم وكل من يسير على هذا النهج، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:119].

الروتين اليومي المتكرر في العمل يعكس نتائج سلبية علينا وعلى عملنا ومستقبلنا مع الأيام، لأننا أصبحنا كالآليين، لا ننظر خارج الصندوق ولا لدينا الهمة ولا العزيمة للخروج من

هـذا الصنـدوق القديم، فقد اعتدنـا المكوث والجلـوس وفهمنا حركة العمل وإن كانت قاسـية أو ظالمـة لكننا نقول: (هذا أفضل الموجود) ولكن الحقيقة أننا نعيش حالة روتين صعبة سـلبية، كما يتيح ذلك لأرباب العمل اسـتبدالنا دون تردد بالأفضل أو الأسرع أو الأرخـص، لأنهـم يـرون ضعفنا وقلـة حيلتنا، فالحـل يكمن بالخـروج مـن الروتين تدريجيـاً على مراحل بشـكل معتدل بعد الاستشارة والهمة والتفاؤل المسـتمدة من القراءة ومصاحبة طلبة العلم والعلماء والمفكرين والنظر إلى المنافسين وعملهم، وأهمها البـدء في ذلك الآن، كما أن الروتين يعود سـلباً على أشـياء كثيرة منهـا: المنتـج، الزبون، المسـتهلك، التطوير، المنافسـة، الخبرة، الشخصية، المجتمع، الاستثمار.

هنـاك الملايين من النـاس العاطلة عن العمـل، العالة على الأهـل والمجتمع، لم تحظى بالفرصـة التي تحظى بها، ولديها ما لديهـا من الشـهادات والخبرة، ولكن لا نقـول إلا كان الله معهم، لذلك لا يستحسـن أن نقول أو نظن بـأن الوظيفة والعمل والدوام من النقم أو أشياء مكروهة تعكر صفو الحياة، تجعلنا نفارق الفرش والراحة إلى الكد والتعب، نغيب عن الأهل والأصدقاء واللقاءات لنغرق في مهام العمل والعملاء، وجميع ذلك لا يعود سوى لأناس

محبّطة كسـولة ضارة غير نافعة، لامس مسـامعنا كلامها وتصرفها السـلبي، أو جميع ذلك ورد من موارد نفسـية ضمنية لإسـتحباب النفـس الخلود إلى الأرض عن التكسـب والحركة، وهذا لا ريب فيه، سيسـبب سلبيات لا تعد ولا تحصى، وسيجعل الحياة تمضي بصعوبة ومذلة، إن أخترنا العطالة عن العمل والتكسـب، وقد قال جبريـل عليه السلام لنبينـا محمد ﷺ : «يـا محمد؛ شـرفُ المؤمن قيام الليل، وعزهُ اسـتغناؤه عن الناس».- أخرجـه الحاكم من حديث سهل بن سعد، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

ما المشكلة في جعل النعمة التي أنعمها الله عليك نعمة أيضاً علـى الناس جميعاً، لا نقـول أن تخالف قوانيـن وظيفتك إرضاءً للناس، ولا أن تعصر نفسـك لأجلهم وتخسر منصبك أو شركتك ثـم يخسـرون معك وتضمحـل المنفعـة، ولا أن نقـرب القريب ونبعـد الغريب ونجعل النفع للقريب دون الغريب، الذي نقوله أن نكـون مفاتيح للخير مغاليق للشـر بما يرضي الله عز وجل، خاصة للأقـارب ثم الأباعد ثـم الجيران ثم الجميـع بالعدل والإنصاف، نسـعى لتوظيف القريب قبل الغريـب، نقرب القريب، نعلمه ننفعه ندعمه ثم الأولى فالأولى، وهكذا مع الغريب وكل الناس.

جاء في السلسلة الصحيحة:

«قِيلَ: يَا رَسُـولَ اللَّهِ! مَنْ أَحبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ؟ قال: «أَنفَعُهُم لِلنَّـاسِ، وَإِنَّ أَحـبَّ الأَعمالِ إِلَى اللَّهِ سـرورٌ تَدخِلُـهُ عَلَى مُؤمِنٍ: تَكْشِـفُ عَنهُ كَربًا، أَو تَقضـي عَنهُ دَينًا، أَو تَطرُدُ عَنْـهُ جُوعًا، وَلَأَن أَمشي مَعَ أَخِي الْمُسلِمِ فِي حاجَةٍ أَحبُّ إِلَيَّ مِن أَن أَعتَكِفَ شَهرَينِ فِي مَسجِدٍ.. ».

أحيانـاً نرى بعـض الناس في مناصبها وكأنها انسـلخت من هويتهـا وإيمانها وشـخصيتها، تتحـول لكائنات مضـرة متعجرفة لا ترحم، تمضـي من دون أن تضبطها مبادئ، غاية همها (نفسـي نفسي)، لا تميز بين الحق والباطل، تمضي على هواها وشهواتها، إن ذكرّناهـا بالأخلاق والصدق والإسـلام لا تسـمع لا تطيع، ثم نجدها تردد مقولتها الشهيرة الفاشلة (بزنس إز بزنس)، لا يحللون ولا يحرمون، لأن المصلحة تقتضي ذلك.

ومثلهم في ذلك كمثل قارون الذي كان من قوم موسى عليه السلام فبغى عليهـم حينما اعتنى بالمال والمناصب، ولم تزده العطايا إلا تكبراً وبغياً وطغياناً في الأرض، وأشـباهه يظنون الفضل لعقولهم وذكائهم وحنكتهم.

كمـا ذكر الله سـبحانه وتعالى أيضاً مقولة قارون في سـورة القصص: ﴿ قَـالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾ [القصص:78]، وهذا غالبٌ على شـخصيات أهل التكبر والفسـاد، كما ستلاحظ الشـح والبخل خصيصـاً إن طالبناهم بمطالب بسـيطة ممكنة عند غالبية العالم المتحضر من: ترقية، زيادة راتب، مكافأة.

المال والكسب

إنَّ المـرء ما لم تكن الأموال في نفسـه ذليلةً لن يجد طريقه للعز:

يَـا مَـن يُـعـز الـمـالَ ضَـنّـاً بِـهِ
إنَّ الـمَـعـالِـي ضِـدَّ مـا تَـزعـمُ
مـا عـز بَـيـنَ الـنَّـاسِ قَـدرُ امـرئٍ
إلّا وقـد ذَلَّ بِـهِ الـدِّرهَـمُ

- صفي الدين الحلي.

الأرض تنمو وتزدهر بالغيث والغيث يأتي بوقت الشتاء وهكذا الأرزاق تأتي وتذهب لتعود في الوقت والمكان والعمر والظرف المناسب، فلا نستعجل الرزق لكي لا نقع في الحرام والملام والندم ثم البلاء، لأنه مما كسبت أيدينا، أذكر كانت هناك لأحدهم حالة مادية حرجة، ومكلف بتحقيق مبيعات شهرية معلومة ضاق الوقت عليها، فكان في زيارة لأحد الزبائن وأشار البائع له أن يستعجل في إنهاء عملية الشراء فالوقت ضيق وخير

البـر عاجلـه، فأجاب الزبون مســتحياً: يا أخي، لا تســتعجل على رزقك! فوافقه وانصرف، وقال بعدها: كرامتي وســمعتي أولى أن يظن ظانٌ فيّ الطمع أو الجشع.

فـــــإنَّ الـــــــــرِّزقَ مــقـــســومٌ
وسُـــــــوءُ الـــظَّـــنِّ لا يَـنـفَـع
فَـــقِـــيـــرٌ كُـــــلُّ مَـــــن يَـطـمَـع
غَـــــنِـــيٌّ كُـــــلُّ مَـــــن يَـقـنَـع

إلا مــن صبر واتقى نال غيثاً مغيثاً طيبــاً جزيلاً بإذن الله، قال ســبحانه وتعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴾ [الأنبياء:37].

زماننا الحالي يحمل معه التزامات لم تكن في أسلافنا البتة، مــن: مواصلات، وألبســة منوعة، واتصــالات، وانترنت، وتعليم، وكهربائيــات، وأثاث منزلي ومكتبــي، وكهرباء، ومياه، وضرائب، ومطاعــم، وغذائيــات لا تنتهي، عدا عن المصاريـف المبالغ فيها للــزواج.. ولم نتكلــم بعد عــن الكماليات، كلها قســمت أظهرنا فــزاد الطلب على المال ليصبح همّ الناس، يســعون خلفه بشــكل مشــروع أو غير مشــروع وأصبح المال فوق الجميع وقبل الجميع

لتلبية الالتزامات والوفاء بالمتطلبات وإشباع الشهوات والأهواء، وكانت مسالك الشيطان تذهب في تأجيج الطلب وتخويفنا بالفقر وتحريك الشهوات لنغرق في غياهب الحياة ومتطلباتها غير المنتهية، ثم نبصر أنفسنا قبيل الممات لنندم على ما فرطنا في جنب الله واقترفنا من أكل مال هذا وسرقة هذا وبخس وغش هذا.. وخير دواء الاقتصاد في المعيشة وفقاً للراتب المقسوم لنا من الله سبحانه العليم القدير، مع عدم الالتفات للعروض وتقليل زيارة الأسواق إلا للضرورات مع ترديد كلمة (لا نشتري كل ما نشتهي).

إن خفت على المال وحفظته أصبحت له أسيراً، وإن خفت الله العظيم وأنفقت جزءاً منه ولو يسيراً على الوالدين والأقربين وضعفاء المسلمين أصبح المال لك أسيراً وأبدلك الله الرضى والصحة والعافية والبركة وحب الناس والزوجة الصالحة وبر الأبناء وحماك من شياطين الإنس والجن، لأن التجارة مع الله لا تخسر ولا تبلى.

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: 29-30].

أذكـر أنني سـمعت رجـل أعمال غربـي نصراني فـي لقاء تلفزيوني يقول متعجباً منبهراً: (أنه أصبح سنوياً يزيد من الصدقات، لأنه كلما تصدق أعاد الله له تلك الأموال أضعافاً مضاعفة).

فـالله سـبحانه لا يضيع عمل عامـل من ذكـر أو أنثى ويمد الجميع من عطائه. قال صفي الدين الحلي:

لا تَـخـزنـوا الـمـالَ لـقَـصـدِ الغِنى
وتَـطـلـبُـوا الـيُـسـرى بـعُـسـراكـمُ

فـذَاكَ فَـقـرٌ لَـكـم عَـاجـلٌ
أعَـاذنـا اللّهُ وإيَّـاكـمُ

مـا قـالَ ذُو الـعَـرشِ لَـنـا اخـزُنُـوا
بـل أنـفـقـوا مِـمـا رَزقـنـاكـمُ

مـن أغلى؟ لا شـك أن الشـرف، الدين، الجنـة، الأرحام، السـمعة، الأمن، رضى الوالدين، حسن الخاتمة، الزوج والزوجة الصالحان، الصحة، نعيم القبر أغلى من المال، ولا وجه للمقارنة، من هنا نقدّر قيمة المال وكم يخسـر صاحـب المال والدنيا، وكم يربـح صاحب الآخرة، ولنعلـم جيداً أن الحيـاة مواقف ومبادئ، فالنـاس تظهر معدنها ومبادئها الصالحـة أو الطالحة حال التعامل

معها بالدينار والدرهم، ينكشف إيمانها وتربيتها وصدقها ورجولتها وعهدها ووعدها ووفاؤها.

مـا قِـيـمـة الـنَّـاسِ إلَّا فـي مـبَـادِئـهـم
لا الـمـالُ يَبقى ولا الألـقـابُ والـرُّتـبُ

المال يجلــب طعاماً ولكن لا يجلــب العافية، المال يجلب الــدواء ولا يجلــب الصحــة، يجلب الــزواج ولا يجلــب الرضى والوفاء، يجلب الكماليات والزينة ولكن لا يخلق الاطمئنان، المال يزيد الأصحاب حولنا ولا يزيــد الأحباب، المال يفتح لنا الفرص ولكن لا يحقق لنا النجاحات، يجلب الراحة ولا يجلب الســعادة، إدراك جميع الأشــياء بالمــال من المحال، فالمال وســيلة للعيش في هــذه الحياة ولكنه ليس الحياة، ﴿ مَا لَكُـمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴾ [الصافات:154].

لا يمنــع أن نصاحــب (الدنيــا) بالمعروف ونكســب المال بالمعروف ونبذله بالمعروف، ولا يمنع أن نشــتري ســيارة جميلة ومريحة، ولا يمنع أن نسكن بدار واسعة مضيئة محترمة، ولا يمنع أن ندخــل أفضل الجامعــات ونأكل أفضل الطعــام ونلبس أفضل الثياب ولكن بالمعروف والمعقول دون تبذير وإســراف ومنافســة

عبثيـة تـأكل مالنا ويذهب هـدراً، في حين الفقراء يـزدادون كمداً وفقراً ومرضاً، كسـوتهم شحيحة في الشتاء ليأكل البرد أجسادهم، والطعام لا يكفي لسـد جوعهم ويحفظ ماء وجههم، لذلك هنالك أولويات عزيـزة لا منأى عنها تدور في فلكنا وعالمنا أغلى وأثمن من المقتنيات والأموال والأبناء التي تقودنا لحب النفس، والأعظم من ذلك أهل الغطرسـة يظهرون عـدم الاكتراث عوضاً عن مدّ يد العـون للآخرين، ويكفـي أن الله جعلنا بغنى وكفـاف عن الناس، يتناسون أن الفقر غير محبوب ولا مرغوب فيه البتّة.

قـال ﷺ : «اليَـدُ العُلْيَا خَيرٌ مِنَ اليَدِ السُّـفلَى» – رواه الإمام البخاري.

إذا حـجَـجـتَ بـمـالٍ أصلـهُ دَنـسٌ
فما حـجَـجـتَ ولَـكـن حـجَّـتِ العِيرُ
لا يَـقـبـلُ اللهُ إلّا كـلَّ طَـيِّـبـةٍ
مـا كُـلُّ مَـن حـجَّ بيـتَ الله مَـبـرُورُ

– الشمقمق.

لن يقبـل الله تعالـى أداءك وتعبك لمناسـك الحج والعمرة بأمـوال حـرام، وكذلـك الصدقات وبنـاء المسـاجد والمدارس

وإطعام الطعام وكسوة الفقراء بأموال مشبوهة ومسمومة، وأيضاً يضمحل أجر مطعمك لأبنائك وتعليمهم ومداواتهم بأموال لامسها الحرام، ولو بالحرام أنفقت على والديك لذهب عملك سدى، حتى صيامك وقيامك وولاؤك وإيمانك وحبك لله لن يشفع لك إن كان مالك فيه: غش، ربا، كذب، رشوة، اغتصاب، تسلط، احتيال، حرام، تجارة ممنوعات ومكاسب محرمة ممنوعة منعها القرآن والسنة والعلماء، قال ﷺ : «إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً» - رواه الترمذي.

فالكسب الطيب يعود نفعه على البدن والعقل والدين والأهل والأبناء والمجتمع والأمة والآخرة، ويتوب الله على من تاب وأصلح ورد الحقوق واستقام. والمال يفعل ما تفعله السحرة من سحر أعين الناس وعقولها، وقد قالت العرب يوماً: حضور المال يذهب العقل، فنجد بعضهم يفقد أخلاقه وحواسه وإنسانيته وسمعته لأجل ماديات ليكمل بها شخصيته المفقودة التائهة التي لا تراعي الحرمات ولا الممات والحساب تلتهم كالجراد الأخضر واليابس لا يشبعه الراتب ولا يكفيه، وهؤلاء المرضى من أخطر أعداء الأمة لا يصح توليتهم قبل إرشادهم وتثقيفهم، وكان الله بعون من صادف هذه الشخصيات وشاركها وعاشرها. قيل:

سَبيلُكَ في اْغتصابِ المالِ غَدراً
فبئسَ المالُ قَد أشقَى رِجالَه
فكُن حذِراً إذا جَمَّعتَ مالاً
فإنَّ حرامَهُ يُفني حلالَه

المال لا يأتي بالحكمة ولكن الحكمة تأتي بالمال، المال دون حكمة في إنفاقه واستثماره يجعله يتلاشى كتلاشي السحاب في السماء، والمال دون حكمة يجعله داء لا دواء، نقمة لا نعمة، والكثير من أصحاب الأموال ممن لا يملكون الحكمة ساقهم المال للمهالك والقتال والدم والسجن والموت ثم جهنم، هذا كله يدفعنا لإدراك قيمة الحكمة وأهميتها، التي تجعلنا نحسن التصرف مع الأهل والشركاء والناس والأعداء وتجعلنا نبهاء أين نضع أموالنا وكيف نضعها ومع من نضعها ومدى نوافع ومضار هذا العمل وذاك، الحكمة تنبع من كتاب الله وسنة خير المرسلين لأن فيهما خبر الأولين والسابقين والآخرين، وفيهما الترغيب والترهيب والتحذير، وفيهما افعل ولا تفعل، وأنفق وأمسك، وسارع ونافس واقتصد، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: 269].

الحياة لا تعني المال فحسب، لأن المرض، العقم، الوحدة، الإكتئـاب، اليتـم، الخيانة، الغـدر، الحوادث، الفشـل، العقوق، الطلاق، الشتات، الخصام، الشيخوخة، الموت، جميعها لا يداويها المال ولا السـلطة ولا حتى النفوذ، لا الحسب ولا النسب، ولكن من نظر للحياة من منظور الإسـلام الحنيف وسعى لاتباع سنة خير المرسـلين المحفوفة بالحكم والعبر ونالهما وأدرك سـبيل الحياة وغايتها، لعلم يقيناً أن الإيمان بالله قولاً وعملاً يساندهما التواضع والكرم والأمانة والإحسان وصدق الحديث سيسهل الحياة لنا في الدنيا ويسعدنا في الآخرة بإذن الله، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّـن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِـنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَـةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: 97].

كان هنـاك شـاب أمين تقـي اقتطع من راتبه نسـبة شـهرية متواضعة للأقارب المسـاكين وللأباعد المحرومين، اسـتمر على هذا الدأب سـنوات يعطي سـراً أهل الحاجة، يفك الكرب، يسـد الحوائج من راتبه المتواضع، إنما الأعمال بالنيات، نيته كانت إغاثة الملهوف وسـتر الناس ورضى الرحمن، فكسـب بعد زمان البركة والتوفيـق ورزقـه الله الكريـم الجزيل، وما زال يعطـي ويتصدق، لتتوالى البركات من رعاية الأهل والأبناء، وانشراح الصدر، وحب

الناس، ورضى الوالدين...، فلنتصدق ولا نقلق، إن كان الراتب المتواضع حلالاً طيباً نقياً لا يشوبه الكذب ولا الغش ولا الربا ولا الظلم، سيحقق ما يقر به العين ويكفي الاحتياجات بعون الله الكريم الوهاب، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ:39].

الراتب غايته الأساسية الرئيسية سد الاحتياجات الضرورية للعيش بكرامة والغنى عن الناس، فمن وجد الضيق يلاحقه والديون تلازمه فلعلها لأشياء غير ملموسة أو محسوسة: الكسب غير مبارك أو لعل الكماليات تفوق الأساسيات أو الالتزامات أكثر من الكسب، لذلك خطوات العلاج تكون: عدم جعل الراتب الدخل الوحيد والكسب الأخير، إلا في حال العجز التام عن إيجاد الإضافي، فهنا علينا الاعتماد والتوكل على الله وسؤال الله وحده الغني مع الأخذ بالأسباب: الاقتصاد المعيشي، ولو كان على حساب حرمان أهل البيت من بعض الكماليات أو حتى الأساسيات، وتخفيف الاستهلاك وتقليل المصاريف وتحديد أهم الالتزامات لغرض التنازل عن أشياء بدائلها أوفر أو غير ضرورية، وبدء خطة اقتصادية محكمة يتفق عليها أهل البيت بعد حوارات

عمليــة منصفة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء:26].

مهما بلغنا من الضيق لكثرة المصاريف والأعباء والالتزامات، يبقى الرضى بالرزق والاقتصاد المعيشـي مـع الاجتهاد الدؤوب سعياً للأفضل مفاتيح نجاح كل إنسان ولو بعد حين، فلا نعطل كل ذلك ونبقى نســرد الســلبيات والمعوقات، كما أنه لا يصح إخراج الزوجة أو البنات لســاحات العمل والتكسب ومزاحمتهنّ الرجال والغرباء إلا لأجل الحاجة الماسة والضرورة القصوى، وتكون في أماكن وبيئة عمل مقبولة، دون أن نقبل الدنية أو مخالفة الله الرزاق الكريم في كســبهن، مع الإصرار عليهن على تطبيق الأصول دون مساومة أو إذعان، لأن أجواء العمل يجب أن تخلو من المحرمات، كاختلاط وخلوة ومخالفات شــرعية، فالعرض والشــرف والدين أغلى من كنوز الأرض ولا عوض عنهما.

قال الشاعر:

وَلا أُقــيــمُ عــلـى مـــالٍ أذِلُّ بِــهِ
وَلا أَلَـــذُّ بِـمـا عِـرضـي بِـــهِ دَرِنُ

فالراتب القليل دون تلك المخاطـر أهنأ للنفس وأبرأُ للذمة والسمعة أمام الله عز وجل والناس وأمرأُ للمطعم الحلال.

لا يصح من العاقل الشـريف الاحتجـاج بكثرة المصاريف وقلـة الراتب، ليجعلهما سـبباً لفرض البخل والتقشـف على من حولـه وحرمان الأسـرة من حقوقها عوضـاً عن توفيـر متطلباتها بالمعقـول دون إسـراف أو تقتيـر ضمـن الإمكانيـات المتوفرة، لأن البخل سـيعود سلباً على الأسـرة جمعاء، وسيظهرهم بمظهر الحاجـة والضيق والضعـف، وهذه مظاهر لا ترضي الله سـبحانه وتعالى ورسـوله، عدا أنها تفتح للأشرار باباً لاستغلال فقر الناس لماربها الشـخصية والجنسية عافانا الله، وقد حدث كثيراً استغلال حاجة الضعفاء والفقراء نسـاءً وأطفالاً دون رحمة بدافع المساندة والمساعدة، فوجدوا أنفسهم في شـباك الفساق الفجرة وقد ضاع من ضاع في هذه الشـباك السوداء بسـبب قلة العلم وقلة ذات اليد وغياب الأسـرة والرقيب والناصح الأمين، ولذلك ينبغي على كل عاقل راشد توفير أقصى المستطاع للأسرة وسد حاجاتها بالمعروف والإشـراف عليهم بهوادة، ليعود ذلك إيجاباً عليهم بالعفة والستر والرضـى، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ [الفرقان: 67].

الرضى بالقليل من الراتب لا يماثل العدم، لأن العمل حتى لو بدراهم معدودة، أكرم وأنفع بكثير من لا شيء، ومن هذه المنافع: سد المصاريف والحاجات الشهرية التي لا تتوقف، مخالطة الناس، الغنى عن التسلف والديون، كسب الخبرة في العمل، كسب السمعة الحسنة، الكرامة، العفة، التوكل، الحركة، ورضى الرحمن.

قال سبحانه وتعالى في سورة المزمل واصفاً حال الناس الذين يعملون ويكدون ويجتهدون لطلب الرزق الحلال من الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [المزّمل:20].

قليل دائم خيرٌ من كثير منقطع، أحياناً نجد أعمالاً كسبها كثير فتراتها متقطعة، غيابها أكثر من وجودها، نادرة، تهب أحياناً وتخمد كثيراً، يستحيل الاعتماد عليها لتأسيس حياة عملية ناجحة مستقرة، ولكن هذه الأعمال تفيد أناساً دون آخرين: كالطلبة، أو أصحاب الديون، أو أصحاب الوظائف الثابتة الذين يبحثون عن دخلٍ إضافي يسندون به أنفسهم مع الذي يكسبونه من عملهم الأساسي، تجد إنساناً يبحث عن وظيفة معلومة ثابتة فانتهز هذه الأعمال ليعتاش منها إلى حين، كل ذلك لا يمنع، ولكن الرفض

والتعالـي علـى القليل طمعاً بالكثير المفقود سـيأتي سـلباً علينا، خاصة إن طال انتظاره ولم يأت في الزمان والمكان المناسبين.

قال رسـول الله ﷺ : «ما طَلَعَت شَمسٌ قَطُّ إلَّا بُعِثَ بجَنَبتَيها ملَكانِ يُناديانِ، يُسـمِعانِ أهلَ الأرضِ إلَّا الثَّقَلَيـنِ: يا أيُّها النَّاسُ، هَلُمُّوا إلى ربِّكم؛ فإنَّ ما قَلَّ وكَفى، خيرٌ مما كَثُرَ وألْهى» - صححه شعيب الأرناؤوط.

البطالة

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: «إن الله خلق الأيدي لتعمل فإذا لم تجد في الطاعة عملاً! التمست في المعصية أعمالاً، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك في المعصية».

البطالـة أنـواع وكلها سـيءٌ وسـلبيٌ، منها باختيارنـا ومنها مفـروض علينا، منـا من يحـارب البطالة بالعلـم ومجالس العلم ومسـالكه، ومنهم من يشـغل نفسه بما تيسـر عوضاً عن الجلوس والحاجـة، أهل الشـام كانـوا وما زالـوا يدفعـون بأبنائهم للعمل في السـوق عنـد معارفهم ولو بالمجان، ليشـتدَ عودهـم وينتفعو لمستقبلهم ثم يكسبون الخبرة والتخضرم، لأن وجودهم دون عمل سـيولد بيئة كسولة عاطلة متواكلة لينة تقودهم دون أن يشعروا إلى الإجرام، والمعاصي، والسـرقة، والغش، والاحتيـال، والتواكل، فالبطالـة بوابة كل شـر وأغلب الفواحـش والكبائـر والمنكرات والفشـل سـببها البطالة والفراغ التي تتيح للنفس الأمارة بالسـوء البدء في المنكرات وتتبع خطوات الشيطان، ولا ريب بأن من ولج في البحر سيبتل أو يغرق.

نجلس في البيت نتحسر أم نختار نزول السوق، نتعلم ونتدرب ونحاول ثم نحاول ونحاول؟ فالتطوع مثلاً للعمل عند الناس مجاناً في حال انعدام الفرص سيولد فرصاً عديدة، لأننا دخلنا حقل العمل بإخلاص وتوكل، كما أن الناس ستقدر ذلك وتفتح بابها لنا ولو بعد حين لتنهمر العروض شيئاً بعد شيء بعون الله، لأنهم التمسوا الجديّة والهمة والإقدام منا بعكس البطالة والجلوس والسهرات التي ستولد الشر والكسل وضعف الهمة واليأس ولن نرغب حينها بالعمل أو البحث أو السعي لأن الكآبة تكون قد سيطرت علينا. فلنتغير ونبدأ بهمة الآن وإن فات ما فات. عندما هاجر المهاجرون من مكة المكرمة إلى المدينة تركوا خلفهم ديارهم وأموالهم وأعمالهم، فجاء الأنصار يواسونهم بكل ما استطاعوا رضي الله عنهم، فاختار الكثير من المهاجرين النزول إلى السوق ومخالطة الناس والتجار لأنها موطن المال والأعمال.

جاء في صحيح البخاري ومسلم: «لما قدِم عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ المدينةَ آخَى النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بينَه وبينَ سعدِ بنِ الربيعِ، فقال له: هلُمَّ أقاسِمُك مالي نصفينِ، ولي امرأتانِ فأطلِّقُ إحداهما، فإذا انقضت عدتُها فتزوَّجها، فقال: بارك اللهُ لك في أهلِك ومالِك، دلُّوني على السوقِ، فدلُّوه على السوقِ، فما رجع يومئذٍ إلا ومعه شيءٌ من أقِطٍّ وسمنٍ».

دواء البطالة والفشـل يكمن في المحاولة مراراً وتكراراً من دون كلـل أو ملل أو تأفف أو تـواكل، فمخترع المصباح (توماس أديسـون) مـر بسلسـلة طويلة من الفشـل بلغـت 1000 محاولة قبل اختـراع المصباح الكهربائي، أكثـر الاختراعات والنجاحات لم تكن سـوى سلسـلة طويلة مرهقة عصيبة من الفشـل، يذكر أن صاحـب موقع (علي بابا) واجه فشـل ومصاعب واسـتهجان إلى أن شـاع ليصبح في القمة، كذلك شـركة (أبل) بـدأت في الكراج حين بدأت، وكذلك شـركة الهواتـف العالمية (بلاك بيري) كانت في الحضيض يأكلها الفشـل والديون إلى أن علا نجمها وسطعت بعد محاولات ومحاولات.

صيد السـمك يحتاج النزول إلى البحر، كذلك علينا الظهور ورؤية الناس بالنزول إلى السـوق والشـركات يومياً أو أسـبوعياً، نجلس هناك نخالط التجار والباعة والناس حتى ولو بالسـلام، أو بالمسـاعدة أو العمل بالمجان، نكسب الخبرات وننمي العلاقات إلـى حيـن الفرج بـإذن الله، نتـرك أخباراً علـى الـدوام بأننا على اسـتعداد للعمل، نواظب بإرسـال السـيرة الذاتية باللغتين العربية والإنكليزية بشكل محترف ولبق وعليها صورتنا، نقدم على طلب الوظائـف في المواقع دون تقصير أو تفريـط تجنباً للندامة بأننا لم

نأخذ بالأسباب، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك:15].

كما نترك القيل والقال من سلبيات وأخبار ضررها أكثر من نفعها، لأن القنوات الإخبارية لا تأتي بخير عن الأسواق والاقتصاد إلا نادراً، علينا أن نتفاءل ونحسن الظن بالله وبأنفسنا، نصلي ندعوا نتوكل عليه، نرضي الوالدين، نقرأ كتاب الله الكريم، ففيه النجاة والانشراح والبركة.

أشياء نجهلها ولا نلقي لها بالاً ولكنها ذنوبٌ تقطع الرزق بأنواعه وتأكل بركته: فالأغاني، الموسيقى، الطرب، كلها من مزامير الشيطان طاردة لملائكة الرحمن كما أنها آثام وذنوب، أيضاً العلاقات المحرمة كصداقة وتواصل ولقاء بحجة الزواج، ولكن الزواج له أصول ومبادئ، أيضاً عدم غض الأبصار عن النساء على التلفاز، والجوال، والمسلسلات والأفلام وحتى الدعايات والأخبار أو في الطرقات كالجيران والزملاء، والأمر نفسه للنساء بغض أبصارهن عن الرجال، كذلك التقاعس عن الصلاة في أوقاتها والأذكار الصباحية والمسائية ودبر كل صلاة، عقوق الوالدين، قطيعة الأرحام، النميمة، الغيبة، الزنا، الشتم

والسـباب، إظهار النسـاء زينتهن كالمكياج والتعطر ولبس الضيق ولبس الألبسـة الملونة الملفتة للنظر وعدم لبس الحجاب، كذلك هجر القرآن، الظلم وإعانة الظالم، عداء المسـلمين... أشياء لا بد لنا من العمل على تجنبها. قال رسـول الله ﷺ : «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحرَمُ الرِّزقَ بِالذَّنبِ يُصيبُهُ، وَلاَ يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلاَّ الدُّعَاءُ، وَلاَ يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلاَّ الْبِرُّ» - رواه ابن ماجه والحاكم وأحمد.

الرزق سـيأتي بعـون الله ثم بجهـودك وبإخلاصك وتعبك، «ولَكِنَّكُم تَستَعجِلُونَ».، بعضنا على عجالة وجهالة يطمح لأفضل الرواتب والنجاحات والمناصب ولو على حساب الدين، الكرامة، الأخلاق، والمبادئ، أو طموحه يفوق الخيال وهو صعب المنال، والواقع من حولنا يعطي فرصة ضعيفة، لأجل ذلك يرفض الدخل القليـل ليبقى عاطلاً أو يرضـى ويعمل فنجده متأففاً ماقتاً لنفسـه وعمله، عكس الراضي الشاكر لله كلما زاد حمده وشكره زاد دخله ولمـع نجمه، وهؤلاء الصامدون يبدؤون بالقليل ثم يرتقون ارتقاءً حسـناً، كذلك بنيت الجبال العالية الشاهقة كما قالت العرب: (إن الجبال من الحصى). ولنعلم هذا أفضل بكثير من اعتلاء المنصب العالـي لفترة من الزمن ثم قلما نجد مثله لنجد أنفسـنا في حالة لا يرثـى لهـا، لا يقال لا نحلم أو نتأمل! بل نسـعى لذلـك بكل قوة وحكمة وواقعية رويداً إلى الأعالي.

لنخالــف دراســتنا ومجالنــا واختصاصنا إن دامــت البطالة كثيراً، لأننا نخســر بذلك وقتنا، والوقت غال لا يعوض وذو تكلفة ماديــة أيضاً، وكما قيل: (الوقت من الذهــب إن لم تدركه ذهب). عجلة الحياة أصبحت سريعة تسبقنا يومياً وتحمل معها المصاريف والأعبــاء التي لا تتوقف ولا تذهب، فمالنا إلا أن نجود بالموجود ونســتغل الفرص قبل أن تغيب شمســها، من هنا نعي ونعلم لماذا يرتقــي التجار والعباد ويتوفقون ويتفوقون على غيرهم من الناس، كونهم لا يدعون الفرص والأوقات تفوت أو تضيع عبثاً دون فائدة واستثمار.

سنجد أنفسنا تحت قيادة أناس كانت مجتهدة مثابرة صامدة، وقــد كنا في البطالة من دون إنتــاج وتنمية، مما جعلنا دون الناس، كنا في ملل وضياع وهم وغم ويأس وســهر ونوم وتشــتت، وهذا لا يحتــم علينــا إلا مزاحمــة الظـروف والنفـوس وانتهــال العلم وانتهــاز الفرص واســتثمار الوقت بأخذ ما تيســر وأمكن من هذه الســبل المهمة للغايــة لنا ولأمتنا ومســتقبلنا وأبنائنــا، مثل: علوم الحاســوب وبرامجــه، وإتقان بعض اللغات الرئيســية، وتحســين اللغــة العربية جيــداً، وقراءة الكتب الإســلامية والعالمية، ومتابعة

أخبار التكنولوجيا، ومتابعة السياسة، ودراسة التاريخ والشعوب، ثم تعلم أخلاقيات العمل، الإحاطة العلمية الشرعية بالمعاملات والتجارة والعقود والوظائف المحرمة والمحللة، التدرب على مزاولة بعض المهن الجديدة، الرياضة.

العمل في المحرمات لتفادي البطالة والعطالة سيولد نتائج وخيمة: أمراض نفسية، وبدنية، واجتماعية، ومستقبلية، وعواقب دنيوية نحن بغنى عنها، وهذه ليست من نسج الخيال بل حقيقة ومجربات لا تعرف عاصياً إلا أصابته وعاقبته، فالله لا يرضى إلا العمل الطيب والكسب الأبيض، لا نقول بأن الظروف أجبرتنا بل الحقيقة إنها النفس الأمارة بالسوء.

قال تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: 42].

المسلم لا يهِن ولا يضعف ولا يضع نفسه على شفا حفرة لتنهار به ويهلك، فمن ترك شيئاً لله عوضه خيراً منه، العوض سيأتي جزيلاً مباركاً فلا نستعجل.

وَلَــرُبَّ نــازِلَــةٍ يَــضــيــقُ لَــهــا الـفَـتـى
ذَرعـــاً وَعِــنــدَ اللَهِ مِـنـهـا الـمَـخـرَج
ضـاقَـت فَـلَـمـا اِستَـحـكَـمَـت حلَقاتُها
فُــرِجَــت وَكُــنــتُ أَظُــنُّــهــا لا تُـفـرَجُ

- الإمام الشافعي رحمه الله.

أحياناً نتأثر بكلام الناس، وقد يكون هذا سـبباً في البطالة أو استمرارها، ظناً أن مكانتنا وسمعتنا أرقى أن نعمل في أعمال ليست من مستوانا فنفضل العطالة، وبهذا نكون قد دخلنا في دوامة طويلة لا مناص منها ولا رجاء فيها، نهايتها الخسارة المادية والزمنية عدا عن الفشل ثم الندم، فلا نلتفت للقيل والقال، لأن العيب كل العيب في البطالــة لا العمل، علينــا قبول الموجود مــن العمل والفرص والتماشــي معها لفترة من الزمــن إلى أن يشــاء الله، ولعله خيرٌ لنا ولا ندري، أيضاً هناك من ينســجم ويقبل العطالة والبطالة ويرضى شفقة الأقارب والأصدقاء، ثم نجده واضعاً الحجج، ليصد الملام والعتاب من موقفه المخجل للأسف.

قــال ﷺ : «اليَــدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّــفْلَى» – رواه الإمام البخاري – الرزق يحتاج سعياً كدحاً وسهراً، وفقنا الله وإياكم.

أيهما تختـار، نقل الصخر أم ذل السـؤال؟ إن حالفنا الحظ ذات مرة وكنا قد شغلنا منصباً ذا مكانة خاصة، ثم قدر الله واستقلنا أو أخرجنـا مـن هذا العمل، لنصبح من دون وظيفة، ثم اسـتمرت البطالة مدة، وجاءت فرصة وظيفية عادية بسـيطة أقبلت باستحياء، قليلة الدخل شحيحة المغنم، ولكن فضلنا القعود والعطالة إلى أن تعود شمسنا المشرقة العالية من جديد كما عهدنا أنفسنا في سالف الذكـر.. نكون بهذه العقلية والقعود الطويـل أيها الكرام قد ظلمنا أنفسـنا وتواكلنا على الحظ ولم نأخذ بالأسـباب، خصيصاً إن كنا نعيش فـي ضائقة مالية وديون ثقيلة والإلتزامات تلاحقنا، وهذا ما لفت إليه الصحابي الجليل علي بن أبي طالب ﵁ في شعره:

لـنـقـلُ الـصـخـرِ مــن قُـلـلِ الـجـبـال
أحـــبُ إلـــيَ مــن مِــنــنِ الــرجــال
يـقـولُ الـنـاسُ لـي: فـي الـكـسـبِ عـارٌ
فـقـلـتُ: الـعـار فـي ذُلِ الـسـؤالِ

العمل مهما كان مستواه ومجاله سيولد أعمالاً وفرصاً أخرى مثمرة إن شـاء الله، كما أن العلم سيولد علوما وأفكاراً وابتكارات، كذلك البطالة ستولد عطالة وجموداً وتراجعاً، وفي حال كنا نواجه

حظاً سيئاً والفرص لا تكاد تأتي، وقد بذلنا جهدنا وأخذنا بالأسباب وسعينا وما زلنا نسعى ولا بديل عن البطالة التي ضاقت النفس بها وأظلمت الدنيا علينا، ونريد الشـروق والنهوض من جديد، فلنسعَ للخير ولو بأبسط المقومات والإمكانات، ليعود ذلك علينا من الله بالخيرات والطيبات، نستهدف الأهل والأقارب والجيران والحي والضعفاء والمعاقين، كذلك الأمر بالمعروف والإحسان والكلمة الطيبـة. ومصـداق ذلك قول الصـادق المصـدوق ﷺ : «ابغوني الضُّعفاءَ ، فإنَّما تُرزقونَ وتُنصرونَ بضعفائِكُم» – صحيح أبي داود.

الفشل

البطولة في النهوض من الرقود..

وبأن تتوب من العيوب لكي تعود..

وإذا فشلت بداية أنجحت نفسك بالجهود..

ومحوت إغراق التدني بالتهيؤ للصعود..

لا نخجل من الفشل لأنه = (يساوي) تجارب، والتجارب = خبرة، والخبرة = حنكة، والحنكة = حكمة، والحكمة تجلب النجاح والفرح والفرج، الفشل الحقيقي هو الإستسلام، لأن الفاشل يستسلم ولا يقاوم، لذلك مهما واجهنا من تحديات واختبارات علينا مواجهتها والاستمرار لآخر رمقٍ وهذا كما قال وفعلَ سيدنا موسى عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾ [الكهف:60].

يعني: لن أتوقف ولن استسلم زماناً ودهراً حتى أبلغ المكان الذي أريد.

الفشـل ليس نهاية الحياة الدنيـا! ولا التجربة الأخيرة! مهما كان نوع الفشـل ومهمـا كنا في أزمة عاطفية أو مادية أو نفسـية أو اجتماعيـة.. فهو نـوع من أنـواع الاختبارات الإلهيـة لعباده، لأن الاختبار سـنة الحياة على كل إنسان في كل أصقاع المعمورة دون اسـتثناء، لا نظن أن الفشل قد خصنا دون غيرنا، بل العكس تماما، وفقـاً لمواقـع الإحصاء العالميـة موقـع Worldometer هناك حالات إفـلاس وموت وقتـال وولادة وطـلاق وزواج وأمراض وعـلاج تحدث كل ثانية، مثلاً: بتاريخ اليـوم الذي أكتب فيه الآن هـذه الثانية بلغ (عـدد المتوفين اليوم بسـبب الجوع فقط: 2490 إنسـاناً. وعدد المواليـد اليـوم: 30732 – عدد الوفيـات اليوم: 14663)..

العبرة أن نهوّن على أنفسنا الأمر قليلاً ونأخذه برحابة صدر، فالحياة دائما هكذا تدور وتمضي وسـتبقى هكذا.. نؤمن بالقضاء والقدر خيره وشـره دون أدنى اعتراض، ولا نقول إلا ما يرضي الله ربنا، الحمد لله وقدر الله وما شاء فعل.

قال سـبحانه و تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:139].

يــا كرام، إن الاستســلام، التواكل، الاســتهتار، النوم الزائد، الكســل، المماطلة، التســويف، تكبد هذه الأشــياء صاحبها فشلاً مهنيــاً واجتماعياً ودينيــاً ومالياً وعاطفياً.. ولتفــادي هذا كله علينا التوكل علــى الله بعد الأخذ بكل الأســباب المتاحة وغير المتاحة مــع ضبط الأمور من جميع الاتجاهات دون تجاهل واســتهتار أو تأجيل وتســويف، وقد قيل: (إياك والتسويف فإنك بيومك ولست بغدك، فإن يكن غدٌ لك، فكن في غدك كما كنت في اليوم، وإن لم يكــن لك غدُ لن تندم على ما فرطت في هذا اليوم، لا تقل غداً، لا تقل سوف). وقيل أيضاً: (هلك المسوفون)، الذين يقولون سوف نفعل سوف كذا سوف كذا ولا يفعلون إلى أن يضيع الوقت والعمر والفرص..

أحياناً نخوض تجربة عجولة دون دراسة ومشورة واستخارة فننصــدم بالنتائــج والعواقب، وأحياناً تأخذ الدراســة والمشــورة والاســتخارة وقتاً طويلاً مبالغاً فيه عندهــا تضيع الفرصة أو تتغير، هذا ما يشــتت الناس في الغالب لأنهم لا يعلمون ضبط: متى وأين وكيــف، نجدهم عالقون في دوامة اســمها: أفعل أو لا أفعل، وهو التردد، التردد يقتل الفرص ويُضعف الهمم ويضيع العمر، والملل واليأس والخوف، كذلك التهور والعجلة والتشــتت الفكري كلها

مسببات الفشل والتدهور والغرق، إلا التوسط فهو حبل النجاة إن سانده العلم، والحكمة فهم الدواء لكل داء، الحل كما قيل:

إذا كنت ذا رأيٍ فكن ذا عزيمة
فإنَّ فساد الرأي أن تترددا

حاول النبي ﷺ وأصحابه الكرام جهدهم دخول مكة المكرمة لأداء العمرة ولكن كفار قريش فعلوا مالم يفعله أحد من قبل من منعهم وصدهم عن الدخول فلم يُقدّر الله لهم ذلك فحزنوا وتفطرت قلوبهم وعادوا أدراجهم، وهذا مالم يشهده العرب سابقاً في رد زوار بيت الله عن البيت الحرام، وعليه أبرموا صلحاً (صلح الحديبية) على مضضٍ ليكون ذلك باباً في دخول الناس دين الله أفواجا بعد ذلك. الفشل من دون شك عدوٌ للجميع الصغير منا والكبير، لا نتمناه ولا نستسيغه، ولكنه في الحقيقة يحمل في طياته الخيرات والخبرات عند النهايات، مع أننا قد لا نرى الخير إلا بعد حين، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة:216].

الحذر من الآمال المزيفة، فالنهوض والبدء من جديد بعد الفشل حتماً لا يعتمد على فلان أو فلانة قريباً كان أو بعيداً صديقاً

أو غريبـاً ولا على بلد معيـن نهاجر إليه ظناً أنه الأمل الوحيد! كما أن النهـوض التـام الصحيح يدفعنا أن لا نتحسـر على ما فات من زمان أو ما ضاع من فرص، بل نستبشر وننهض ولا نعتمد إلا على الله عز وجل ثم على أنفسـنا، نلتزم كما ينبغي، نقرأ، ندرس، نرقي أخلاقنـا، نطور المهـارات ونصحح الأخطاء ونبـدل كما يقولون (التكتيك) إلى أن نتدارك ما فات، وقبل ذلك كله على رأس القائمة التقرب إلى الله البـر الرحيم الذي بيده الأمر كله وإليه يرجع الأمر كله، علما أن ما ذكرناه ليس اعتباطياً أو للزينة.. بل كلمات ولدت من رحم المعاناة والأيام والحسـرات والدمعات.. والفطن من قرأ وعقل واعتبر.

الفشـل التربوي أحياناً يتجـاوز مقدراتنا الفكرية والنفسـية والبدنيـة، بعد أن جربنا الكثير وشـاورنا وسـعينا جاهدين لتحقيق الأفضـل فـي التربيـة ولكـن دون جدوى، وقـد تضيـق الدنيا بنا خصوصاً باضمحلال السبل والطرق التي لا نرى ولا نعلم غيرها، فعلينـا إذاً قيـاس أسـلوبنا بالأسـلوب النبوي الراقي لنـرى البعد والقـرب من المقيـاس ومواضع الخلـل والتقصير بنـا لنتداركها ونعدلهـا ونصححها ثم نطبقها، لأن خير البشـر ﷺ قد علمه خير ملـك جبريل عليه السلام مـن خير كتـاب على وجـه الأرض، وقد رأى

وتكلم مع الملائكة والجن وعاشــر كل أصناف البشر من ضعيفها لقويهــا من بخيلها لكريمها من عزيزها لذليلها، فلا يوجد مثله ولا قبله ولا بعده من مرجع ومعلم.

الفشل الديني لا ضير أم المصائب والمساوئ والتدهور، لا نكاد نجد مسلماً بعيداً عن دينه إلا كان مهموماً محبطاً مشتتاً نفسياً واجتماعيــاً ولــو كان معه ما كان من عز وثروة وســلطة وأصدقاء، البعيــد عن دينــه كالبعيد عن الطعام والشــراب لــن يجد العوض والغذاء الصحي الصحيح دونهمــا مهما ظن وبحث وجرب، لأن النــاس جُبلت وخلقــت عليهما ولا عوض عنهما أو يبقى ســقيما هزيــلاً في تدهور، غــذاء الروح والقلــب كتاب الله العزيز وســنة ومنهــاج رســوله الكريم ﷺ ، يحتاجهما الإنســان مهمــا بلغ من العمر أو الشــأن، لأننا مهما ابتعدنا عن الله وغفلنا عن الله واعتمدنا على غير الله وظننا الســعادة في غير رضى الله ومهما قلدنا السعداء العاصين لوجدنا أنفســنا غارقين في بحــر عميق يأخذنا الموج هنا وهناك إلى أن نضيع ونفشــل في الداريــن، ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [النور:31].

كمــا أن كل الناس على الأرض تبحث عــن الدين والعبادة، تعلــم ان الموت قريب، وتخــاف ما بعد المــوت، وأن الموت لا

منجى منه، وأن الجسد سيواريه التراب، المحزن من يعبد غير الله، يضيع في متاهات الأقوال والفلاسفة التي تضر وتشتت ولا تنفع، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:163].

الفشل العاطفي بين الزوج وزوجته لا يعني نهاية العالم وضياع الحب ولا يعني توقف الحياة عند شخص معين، فمن كان هو الطرف المظلوم المكلوم نقول له سيعوضك الله الخير الكثير فاصبر قليلاً، فقط ينبغي علينا النظر إلى تصحيح السلبيات والبحث بحكمة عن توأم الروح وشريك العمر فما بعد الفشل إلا النجاح، ولا ينبغي أن نكون مصدراً وسبباً للفشل والنزاع، كما لا يمنع من إعادة المياه لمجاريها والتصالح بعد التواضع والتفاهم مع الشريك الأول القديم مع وجود العزيمة والنية على النجاح من جديد، قال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ﴾ [النساء:128].

الفشل الإداري لا يعني التوقف بل إعادة المحاولة والتخطيط والتركيز وإضافة التحسينات المطلوبة بشكل مستمر لا متقطع ولا موسمي مع الأخذ بالأسباب من دورات تدريبية، وندوات، ولقاءات، ومطالعة، واستفسارات، وحوارات، وأسئلة، لأن مفتاح العلم السؤال، من دون تكبر ولا خجل ولا تململ أو

تأفف أو أعذار وتأجيل، الفشل لا شك يطوي خلفه سلبيات تكمن فينا وبأسـلوبنا وطريقتنا نعلمها أحياناً ولكن نؤجلها ولا نعالجها، وسـيئات أخرى نجهلهـا ولا نود أن نسـمعها من غيرنـا، لأننا لا نـرى لها وزناً أو نجاحاً، تكبراً منا وغروراً، كما أن عوامل الفشـل السـائدة المتأصلة فـي النفوس عديدة ومنها: الغضب، والشـك، وسـوء الظن، والغرور، والحسـد، وضعف الإيمـان، جميع ذلك سيقود الإنسـان إلى الفشـل في أغلب المواطن والمجالات، لذا وجـب العلاج والتعامل مع هذه الهـوادم بحزم وجدية قبل فوات الأوان، كما أن التواضع بحكمة لا بتذلل يسهل الطريق في مشاركة الرجال عقولها واختيار الأفضل مع السعي لتقريب الأخيار وإبعاد الأشرار، وقد كانت المشاورة ديدن الأنبياء والخلفاء والقادة، قال تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ [الأحزاب:159].

النية الصالحة مفتـاح النجاحات، تصفية النية والاسـتخارة والدعـاء والصلاة جميعهـا يفتح آفاقـاً كثيرةً وفرصـاً كبيرةً، لأن غالب أصحاب القلوب البيضاء نجدهم في نعيم ونجاحات مبهرة وسريعة! وهذا من فضل الله، وقد قال سبحانه اللطيف: ﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا ﴾ [الأنفال:70]. وهذا الذي أغلـب رجال الأعمـال يفعلونه ويلتزمون به مـن صدقات وعطايا

ومساعدات للقريب قبل البعيد، لأن برهم وفاجرهم التمسوا تلك البركات وعوائد الخير والصدقـات، فاعلم ذلك واحفظه واجعله مسـعاك ولو كان الكسب قليلاً، ولنعلم بأن الله سبحانه لا يُجرَّب، مثـل: أن نتصـدق بجميع ما نملك ثم نبقي أيدينـا خاوية، والعيال تنتظـر، «خيرُ الصَّدقةِ مـا كان عن ظهرِ غنًى، وابـدأْ بمَن تعولُ» – رواه النَسائي.

كثيـراً منا يتواجـد في حقل وبيئـة عملية غير منسـجمة ولا متوافقـة مـع طبيعتنا ومبادئنـا وكرامتنـا ولا شـخصيتنا ولا حتى طموحاتنا، في حين أغلبنا يتمتع بكفاءة ومهارة معينة لن نجدها إلا بالبحث عنها، وبداية نجاحنا يكون بإيجاد واكتشاف قدراتنا إن شاء الله من دون غرور وتهور، حيث أن الاكتشـاف الحقيقي الواقعي لا يأتي بيومٍ وليلة أو من تجربة خجولة أو بمديح مادح، بل من خلال عدة تجارب ونجاحات وفشل ومصاعب وتحديات وبلاءات وبعد زمان، قال الله سـبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:87].

فإن تكرر الفشل نسترشد من أمين رشيد صالح نشاركه مشاكلنا يرشـدنا الطريـق يوفر علينا الكثيـر ويحيي فينا العزيمة والنشـاط، والكثير من رجال الأعمال والشركات العالمية الكبرى فشلت فشلاً ذريعاً وأفلست، ولكنها غيرت النهج وثبتت ثم نجحت.

الفشـل أو الشـح الاجتماعي يحدث للجميع بغض الطرف عن جمالنا، مالنا، ذكائنا، شـهرتنا أو وظيفتنـا، حتى إن الكثير من الأطفـال والمشـاهير ورجال الأعمـال والطلبة والكبار والنسـاء أو الرجـال يواجهـون الوحدة والمشـاكل الاجتماعية من القريب والغريب والصديق والجار والزميل.. سنة الحياة في كل مكان على مر الزمان، كلما انشغلنا وكبرنا تقل الأعداد واللقاءات والصداقات، وبعض الأحيان إن حدث وتغيرنا لأسباب تغيروا، وإن فشلنا شمتوا أو حزنوا، وإن نجحنا حسدوا أو توددوا. لذلك معيار ضبط الناس والأقارب معقد وشـبه مستحيل، ولكن أفضل الطرق هي التجاوز عن المسيء منهم والإحسان وتقديم المعونة للجميع دون استثناء وسبب، لأن عملنا هذا ليس لكسبهم بل لكسب رضى الله سبحانه ثم لأننا ذوي معادن كريمة نفيسـة، فالمحافظة على مكارم الأمور ومعاليها مع التعامل الكريم والهجران الجميل دون قطيعة من أكبر عناصر النجاح والصعود ودخول جنة النعيم.

قـال رسـول الله ﷺ لعقبة بن عامر رضي الله عنه : «يـا عُقبة، صِل مَن قَطَعَـك، وأعطِ مـن حرمَك، وأعـرِض عمَّن ظَلَمَـكَ» - تخريج المسند لشعيب الأرناؤوط الدمشقي.

الغريب والغربة والمواطن

هل الغربة منحة أو محنة؟ هل الغربة فرصة أم كربة؟

الغربة هي جميع ذلك، الغربة تبقى المصير المجهول للمقدم عليهـا، تبقـى كربة بفـراق الأهـل والأصحاب والأسـرة والأبناء والوطـن، تبقى فرصة للتعرف على عالم جديد وأناس جدد، تبقى محنة لأن الفرص انعدمت أمامنا في مسـقط رأسـنا ومنحة عندما تجلـت في بلد آخـر، علينا بـكل الأحوال النهوض والسـعي هنا وهنـاك لأن الخير كل الخير في السـعي العفيـف الكريم، (اللهم اجعلنا من المعطين ولا تجعلنا من الآخذين).

قال الشاعر العربي من بلاد الشام المشهور عروة بن الورد:

إِذا الـمَـرءُ لَـم يَطلُب مَـعـاشـاً لِنَفسِهِ
شَكا الفَقرَ أَو لامَ الـصَـديـقَ فَأَكثَرا
وَصـــارَ عَلى الأَدنَـيــنَ كَـلّاً وَأَوشَـكَـت
صِـــلاتُ ذَوي الـقُـربـى لَـهُ أَن تَنَكَّرا

وَمـا طـالِـبُ الـحـاجـاتِ مِـن كُـلِّ وِجـهَـةٍ
مِــنَ الــنــاسِ إِلّا مَــن أَجَــدَّ وَشَــمَّــرا
فَـسـر فـي بِـلادِ اللَهِ وَاِلـتَـمِـسِ الغِنى
تَـعِـش ذا يَـسـارٍ أَو تَـمـوتَ فَـتُـعـذَرا

الكثير من البشر وعلى مرّ الدهور والعصور غادروا بلادهم لنشر الدعوة، للجهاد، للتجارة، للزواج، للعلم، للطبابة، خاصة العرب قبل الإسلام انتشرت طلباً للرزق والتجارة ولتتبع مواطن المطر والأنهار والثمار، حتى بعد فجر الإسلام انتشرت العرب في أغلب أصقاع الأرض فاتحين البلاد ناشرين الإسلام، حتى استقروا فيها وأصبحوا من أهل تلك المدن، فالهجرة بين مدن الوطن أو مدن العالم الإسلامي جائزة ومستحبة خصيصاً إن كانت لأسباب علمية، دعوية، علاجية، عملية، إغاثية، واجتماعية، ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ [الزمر:10].

السفر أو الهجرة وإن كانت مستحبة وضرورية أحياناً يبقى الأولى والأكمل البقاء في الوطن بين الأهل والأحبة والأصحاب، فقد اعتدنا عليهم وترعرعنا بينهم، فالوطن عزيز غال لا مثيل له ولا عوض عنه، الوطن يمثلنا ونمثله، يشرفنا ونشرفه، يحفظ لنا ماء

وجهنـا ويصوننا عن المذلة والضياع، ولنعلم أيضاً أن الله سـبحانه وتعالـى بعنايته ورعايتـه وحفظه معنا أينما كنـا، لأننا نمضي على أرضـه وفي ملكه وبين عباده، فلعلنا نجد مبتغانا في وطننا ولو بعد حين إن حاولنا وسـعينا وتوكلنا على الله حق التوكل، وقد قال ﷺ وهو يهاجر من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة: «ولولا أن أَهلَكِ أخرَجوني منكِ ما خَرجتُ» - كتاب الاستذكار لابن عبد البر.

الغربة كربة إن لم نستثمرها حق الاستثمار وننهل منها أقصى الطيبات ونكسـب منهـا الإيجابيات والثمار فـي جميع الجوانب الماليـة والعلمية والاجتماعية والدينية، تصبـح الغربة كربة عندما نضيع بدوامة الحياة والمشـاغل اليوميـة التي لا تكاد تفلتنا تأخذنا يمنة ويسـرة، نفني أنفسنا بالعمل والدوام والمسـؤوليات ظناً أننا نكسـب ونربح في حين أننا نخسر الكثير عائلياً واجتماعياً وروحياً خاصـة عند فقد الأحبة واحداً تلو الآخر ولـم نكن بينهم ومعهم، كما أننا نكبر ونهرم بعيداً عن مسـقط رأسـنا وقـد فاتتنا الكثير من المناسـبات والأفراح والذكريات، وقد قيل: (الحياة فرصة واحدة فاستغلها جيداً).

الغربة للبلدان الناجحة ذات السمعة الطيبة والصيت الحسن اللمـاع حلم ومطمع الكثيـر منا، لأننا طبعاً ننظـر إلى الإيجابيات

دون أدنى التفات للسلبيات، نظن الغربة سفينة النجاة السريعة البسيطة السهلة، ولكن نرفض رؤية الواقع بواقعية وعقلانية، فكم رأينا من أناس خسرت دينها وآخرتها وشرفها وعفتها وأهلها وأخلاقها وحياتها فعّلقت آمالها على ركوب سفينة الغربة، ظناً منها أنها سفينة النجاة، وهذه الخسارات المتتالية نتيجة الطمع وعدم قراءة الحالة والمستقبل بترو وحكمة، ولعدم تفضيل الدين على الدنيا، والكثير من قِبلَ الذل والمهانة لأجل الوصول، ومنهم من تم استغلاله مادياً واجتماعياً، وبعضهم باع الشرف والدين لأجل الوصول ولكن بعد الوصول، حصل الفشل وكان حليفهم وقد أصابهم الفقر والحاجة، ومنهم من توفاه الله سريعاً، ومنهم الذي باع وطنه ودينه العزيز لأجل غربة خداعة غرق في منكراتها وملذاتها ثم سجونها.. فالغربة كربة، إلا من غادر لأجل الدين لا الدنيا، بهذا أفلح المسعى إن شاء الله.

بلاد الغربة ليست ملعباً مباحاً أو مرتعاً لارتكاب المعاصي واقتراف الكبائر، لأن الكثير يرى نفسه خارج دائرة الرقابة العائلية والأسرية، فلا قرابة ترصده وتلاحقه وتعرفه، ولا رفاق الأهل والحي تراه، فهو غريب في وطن جديد، لذلك يتجرأ الكثير على الحرمات الجنسية والمالية فيما لا يرضي الله تعالى إلا من رحم

الله وعـاش تقياً وعاد لوطنه نقياً، العيـش في كل مكان وزمان ولو في الفضـاء أو على القمر أو في أعماق البحـار في أي بلد غريب كان، يبقى تحت سلطان الله ومراقبته سبحانه وتعالى، فما علينا إلا تقوى الله البصير العليم في الخلوات والسـكنات، قال جل جلاله: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْـرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُـمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد:4].

الاغتراب، بنظر وخيال الناس حبل النجاة وبوابة النجاحات وجمـع الأمـوال، يعتقـدون أنها حيـاة وردية لا أشـواك فيها ولا صعوبات، يظنون النجاح في الغربة سـهلة المنال يحصلها الجميع دون مشقة وكبد وآلام، وهذا للأسف عين الوهم والخيال، فالحياة في كل مكان وزمان شـاقة ومتعبة وصعبة، لن نتجاوزها إلا بشـق الأنفس بعد توفيق الله سبحانه وتعالى.

فمـن كانـت الدنيا همه وشـغله الشـاغل قد تأتيـه بإذن الله ولكن سـتأخذه وتشغله عن آخرته وأهله ودينه لا محالة في ذلك، ومنهم مهما فعل وسـعى فلـن تأتيه إلا إذا توجه وسـعى لمرضاة الله تعالـى وجعـل الدنيـا آخر همـه والآخرة أكبر همـه، فمن فقه ووضع هـذه المعادلة بين عينيه أتته الدنيـا راغمة دون عناء ودون

غربة وكربة، وبيد الله الخير كله، بعض الناس كانت مستورة الحال ولكن اغتربت طمعاً بالأفضل، وقد أدركت الأفضل ولكن خسرت الأهل والأرحام والإسلام، ومنهم من ضاع في الحانات والمراقص، ومنهم من عمل في أسوأ الوظائف ذليلاً، لكي لا يعود ويقولوا: عاد خاوياً، «اللهم إني أسألُك من فضلِك ورحمتِك؛ فإنَّه لا يملُكها إلا أنت» - كتاب صحيح الجامع.

الغربة المحفوفة بالمخاطر لا يسلكها العقلاء لأنها تهلكة وانتحار وضياع، فقد ضاع ومات وأصيب الكثير جسدياً ومالياً واجتماعياً، مثل من سافر هارباً بين الحدود والغابات والبحار الهالكة ليجد نفسه غريقاً أو تائهاً أو أسيراً عند قطاع الطرق أو قتيلاً برصاص حرس الحدود وأعوانهم، عدا من ترك والدايه خلفه وهما بأمس الحاجة إليه، وهو يقول قد أذنوا لي أن أدعهم وأسافر، ولا يعلم بأنهما سئما من شكواه وكلامه، ومنهم من ترك زوجته وأبنائه يصارعون الحياة وحدهم ويخاطرون بين الذئاب دون رقيب وراع، وهؤلاء المهاجرون الشباب لا يهتمون بعقوق والديهم وأهلهم والخطر المحيط بهم، وقد تركهم دون معين.

والأولى هو بر الوالدين وحفظهما، والأولى صون الأهل ورعايتهم وحمايتهم من الأشرار والفساد، فالأمر ليس رحلة أو

تجربة ترفيهية، الأمر يحتاج لترو ودراسة واستشارة واستخارة دون رمي النفس للتهلكة بحجة ستفرج لاحقاً مع التغاضي عن العواقب، قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [البقرة:195].

التواجد والعيش في بلد غريب ليس ضوءاً أخضر لسرقة العباد ونهب البلاد والاعتداء على محارم الغرباء وهتك أعراضهم وتدمير حياتهم لأننا غرباء..

فحقوق الناس لا تضيع ولا تتلاشى بل تبقى في الذمة إلى يوم الدين، بغض النظر عن دينهم ولونهم وعرقهم، حتى الإنسان الكافر له حرمة، وعلينا الوفاء مع جميع الملل والديانات والجنسيات بالعهود والمواثيق واحترام قوانين البلاد المستضيفة لنا، مع الابتعاد عن أملاك الجميع إلا بالحق، وصون أعراضهم فيما يرضي الله تعالى دون إلحاق أذية وضرر، وفقاً للشريعة ثم القانون.

لذلك قالوا: (يا غريب كن أديباً)، فالأصل بالغربة البحث بشرف وكرامة وأدب عن لقمة العيش والستر، والعيش بسلام مع الناس لا العكس، والمعتدي شابه اليهود الكفار، قال الحي القيوم

جـل جلاله: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُــم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِـكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَـبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: 75]، وهذا لتعدي اليهود على أموال العرب ظلماً.

نجاحنا في الغربة لا لأننا خبراء ومفكرون ونادرون، لأن كل ذلـك بفضل الله وحده لا بفضل عقولنا النيرة أو أسـلوبنا المتميز، ولا يعنـي أن أهل وطننا دون المسـتوى والفهم والإدراك والعلم، خصيصاً أننا نجحنا وهم ما زالوا كما هم، كسـبنا أكثر من كسبهم، خبراتنـا تنمو وهم على ماهـم عليه! على الناجـح التواضع لله لا على العكس والمتواضع الشـفيق يشـكر نِعـم الله بأفعاله وأقواله، وقد يحالفنا النجاح مرة ومرات ولكن ليس دائما، ولا نريد الهوان والمذلة أن تصيبنا بما كسـبت أيدينا، قال ﷺ: «ما تواضعَ أحدٌ للهِ إلا رفعَهُ اللهُ» - حديث صحيح.

توفيق الله وتيسـيره شأننا بإتاحة السفر والضرب في الأرض هـل نقابله بالمعاصي والتكبر والأذى أم الشـكر والخير والحمد، الغربـة لا تبيح لنا مخالفة قوانين الوطـن الجديد أو التلاعب بها، كالرشوة والاحتيال، والتكبر على من خلفنا في بلادنا بأننا أكثر كسباً

منهـم، الغربة لا تبيح لنا نهب الناس ثم الهـروب لوطننا محملين بالذنوب والحرام ظالمين الناس، أو الزواج من نساء الوطن الجديد لاستغلالهن لمصحالنا ثم رميهن بعد ذلك أو هجرهن دون وجه حق، أو التطاول على أهلهنّ بالسـوء، فمن أحب البقاء فليتأدب أو فليدع ويغادر، قال تعالى سـبحانه في سورة المزمل: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرًا جَمِيلا ﴾ [المزّمل:10]، فكم من الغرباء أهل الاحتيال والسفه والفسـق والفساد تلاعبوا بالعباد والبلاد في الغربـة وفرّوا فخلفوا لمن جاء بعدهم أياما عصيبة معقدة وسـمعة سيئة رمت بظلالها على المغتربين الجدد ليجدوا مساوئ وسوابق غير مشرفة اقترفها بعض السفهاء من أهل وطنهم.

قال رسـول الله ﷺ : «مَن سَـنَّ فِي الإِسلاَم سُـنَّةً حسَنَةً فَلَهُ أَجرُهَـا، وَأَجرُ مَن عَمِلَ بِهَا بَعدَهُ، مِن غَيـرِ أَن يَنقُصَ مِن أُجُورِهِم شـيءٌ، وَمَن سَنَّ فِي الإِسلاَم سُنَّةً سيئَةً كَانَ عَلَيه وِزرُهَا، وَوِزرُ مَن عَمِلَ بِهَا مِن بعدِه، من غير أن ينقُص مِن أَوزَارِهَم شيء» – حديث صحيح رواه الإمام مسلم.

سـليم العقل والقلب تراه يشـارك نجاحه أهلـه وأهل وطنه ينسـب الفضل من بعد الله لهـم، لأنهم هم من أوجـدوه وعلموه وأعانوه ولو بالدعاء ثم أرسلوه، تراه معهم يساندهم يعينهم يسعى

لهم، وهذا دأب أهل الفضل والنخوة والمروءة، نحن لا ننسى ولا ننكــر فضل الناس علينا، وبعد إحســاننا المتواصــل لا ننتظر منهم جزاءً ولا شكوراً، ولا يصح البتة بخسهم ولعنهم وذمهم، لأنها من أفعال الأشــقياء، ولا التعالي عليهــم لأنها من أفعال الوضعاء، ولا خير في الوضعــاء، بعضنا يدرك نجاحات طيبــة وجيدة في الغربة وينســجم ويتطبع بطباع البلد الجديد، وللأسف بدلاً من ذكر وطنه ومــدح أصله وفصلــه وحاله وماضيه، نجده قلــب الأمور وأصبح ينكــر أبنــاء بلده وجنســه أو يتناســى أو يتكبــر، وذو الأصل يبقى أصيلاً، كعودٍ زادهُ الإحراقُ طيباً.

الغربة ليست غابة! الغربة تصدمنا أحيانا باكتشاف شخصيات أنانية حســودة شــريرة قاســية تتجرد من الرحمــة والأخلاق، لعل السبب الأكبر الغربة والوحدة وخلو البلد من الأقارب والمعارف، فيلجا الإنسان للاعتماد على نفسه بنفسه والسعي على النفع المادي والعملي مهما كان الثمن، لأن وجوده الأساســي في هذه الظروف سالفة الذكر هو المال، لذلك المال والمصلحة فوق الجميع وقبل الجميــع دون مراعاة مكارم الأخلاق وتعاليم الإســلام، لأنه يظن الغربة غابة كما أنها ليســت بلاده، ونوافعها ستعود على أهل البلد لا على بلده!

والحقيقة أن النوافع ستعم وتنتشر هنا وهناك لأنها تدبير الله فهو مقسم الأرزاق، نحسب الأشياء تجري كما نرى ونظن، ولكنها تجري بما لا يسع للعقل إدراكه، يقدر الأشياء بعلمه وحكمته فلا نجزع أو نقلق، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق:3].

يا أيها المضيف للغريب الذي غادر بلاده وترك أهله وناسه وجاء على وجهه وحيداً مغترباً، ارفق به وأحسن ضيافته واشكر المولى الذي جعل الناس تأتيكم ولا تأتوها، جعل الناس تقصدكم ولا تقصدوهم، جعل الناس تسعى لكم، خاصة وقد أكرمكم الله تعالى بقيادة ضبطت العباد والبلاد بعكس بلاد المغترب التي تموج فيها الفتن وينتشرون فيها الفساد والظلمة، لا تقولوا إنكم أجدر منهم، بل قولوا الحمد لله الذي فضلنا عليهم.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النمل:15]، لأن بلادهم عاث فيها الفساد من كثرة الحروب والاحتلال وأعداء الدين، كما تهافت الناس ينهضون على بلادكم إلى مراتب القوة والتطور والتوسع، كل ذلك يعود بظلاله على المواطن وأهله وأحفاده أكثر من المغترب، فلنراعِ المغتربين خاصة إن كانوا إخوة في الدين، ومن عاداهم ونقم وافترى فقد كفر النعمة وخالف الكتاب والسنة.

لا يشعر بآلام المغترب إلا من عارك الحياة وعاش مغترباً زماناً هائما على وجهه يبحث جاهداً لتحقيق نتائج مرضية يعود بها إلى وطنه يبني بها طريقاً يسير عليه كريماً إلى نهاية مشوار الحياة، البلاء الكبير أن يواجه المغترب مواطناً فتاكاً متوحشاً فاسداً ينهش أيامه وأمواله ويقطع عليه طموحاته وطريقه، يتسلط عليه تسلط الشياطين أو تسلط الكلاب على الفريسة، لا ريب إن الله يمهل الفسدة الظلمة ولكن لن يهملهم في الدنيا ولا في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [الأنعام:147].

هل كان (العربي الأصيل) في الجاهلية والإسلام يضيق الخناق على أخيه المسلم المغترب في معاشه وحياته؟ هل الإنسان (العربي الأصيل) يستحقر أخاه؟ هل (الإنسان العربي الأصيل) ذو نذالة وسفالة؟ معاذ الله، طبعاً كلا، لا يفعل ذلك حتى أراذل القوم، ولم نسمع بذلك إلا نادراً، لأن الشهامة والتربية والأصالة تأبى على العرب ذلك، لا يمكن أن يستغل العربي أخاه العربي المسلم أو يحقره لأنه فقط ليس من أهل وطنه وبلده، (فالعرب) تمتاز بمكارم الأخلاق والسماحة والكرم والغيرة والنخوة، فهذا ما يميز العربي عن غيره، والمسلم عن الكافر، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ [الحجرات:10].

هل يصح أخذ رسوم إقامة ومعاملة المغترب المسلم العربي كالأجنبي الغير مسلم والتعسير عليه؟ لا ريب أن العرب بعضها من بعض، والمسلمون كالبناء المرصوص يشد بعضه بعضاً، وأن لحمة الإسلام أقوى من لحمة العروبة، العرب بعضهم من بعض وقد انتقلوا وجاهدوا من اليمن إلى الأهواز إلى حدود روسيا إلى تركيا إلى المغرب العربي إلى الأندلس، فاللغة واحدة، والتاريخ، والديانة، والكتاب، والأجداد، والمستقبل واحد، لا يعارض ولا ينكر ذلك إلا الجاهل المنافق والعدو اللدود، التاريخ والأنساب والآثار تثبت ذلك بحمد الله وفضله، والمراجع كثيرة وعديدة، فما علينا إلا التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان. قال العزيز الحكيم: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:92].

يضيق بعض المواطنين ذرعاً بالمغتربين، يظنون الظنون حول نجاح المغترب، تضيق أنفسهم ثم تصغر الدنيا ببصرهم وبصيرتهم ثم تجدهم يضربون أخماساً وأسداساً من تحليلات وتوقعات وظنون على ماهية طرق وأسباب نجاح المغترب في هذه البلد، لماذا لا ينجح المواطن مثله أيضاً.. ثم يسرح المواطن الفطن في لصق اتهامات على المغترب، فاسد محتال سارق كذاب، ثم يتطور الأمر ليصبح حسداً ثم حقداً ثم أذىً.

وتلك كلها من خطوات الشـيطان وقد فعلها الشيطان عندما قال لله تعالى عن سيدنا آدم عليه السلام: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٌ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف:12]، فأصبح من الخاسرين رجيما ملعوناً إلى يوم الدين.

وقال ﷺ: «لا تَحاسَـدُوا، ولا تَنَاجَشُـوا ولا تَباغَضُوا، ولا تَدَابَرُوا، ولا يَبِـع بَعضُكم على بَيْعِ بعضٍ، وكُونوا عبادَ الله إخوانًا، المسـلمُ أخُو المسـلمِ لا يَظْلِمُهُ ولا يَخْذُلُهُ ولا يَكذبه ولا يَحقِرُه، التقوى ههنا -ويشـير إلى صدره ثلاث مرات- بِحسـبِ امرِئٍ من الشـر أن يَحقِرَ أخَاه المسلمَ، كُلُّ المسـلمِ على المسلمِ حرامٌ: دَمُهُ ومالُهُ وعِرضُهُ» – حديث صحيح رواه الإمام مسلم.

هل جزاء الزوج الذي كابد الإغتراب لبلاد الغرب الإحسان أم الإنفصال لأن الدول هناك تناصر المرأة؟ هل الزوجة المسـلمة تبادر الركـون إلى قوانين الغرب الخاصة بالمـرأة بدلاً من قوانين الإسـلام؟ وإن كانـت ترى الـزوج غير صالح لهـا وتريد الطلاق فلمـاذا تنتظر حتى تصل إلى بلاد الغرب؟ لمـاذا لم تقبل بالصلح الموافق لشـرع الله العزيز الحكيم والتسـليم له؟ التساؤلات كثيرة لا حصر لها، ويظهر أن الفاعلة لذلك كله من دون سـبب شـرعي وجيـهٍ ليس من الوفاء بشـيء، ولا يرضي الله عـز وجل، والطريق المنتهـج لن يؤتي أكله بعد حين، لأن المسـار كان خاطئاً! ومَن ذا الَّذي تُرضى سَجاياهُ كُلُّها؟

على المواطن أن يفتح عقله جيداً قبل عينيه، لأن أكثرهم من يغلق عقله ويفتح عينيه، المواطن عليه أن يعي أن المغترب دخل بلاد الغربة بأمر من الدولة المستضيفة، دخل رسمياً بموافقة عالية القوم بموافقة قادة البلاد بموافقة أصحاب الشأن والسلطة، فلا خيار للمواطن إلا توكيل الأمر لأهله بدلاً من بث الفتنة والتفرقة وزعزعة الاستقرار، كما أن عليه أن يشكر الله تعالى ليلاً نهاراً سراً وعلانية بأن الله سبحانه جعل بلاده مقصداً للناس وفضلها وفضله على باقي العباد والبلاد، فكم من بلاد نهضت وازدهرت بأيدي المغتربين، كما حدث لأمريكا وكندا وأستراليا ودول الخليج، كذلك في تاريخنا الإسلامي كم من الناس غير العرب أفاضت على البلاد الإسلامية والإسلام بالخير والعلوم مثل: البخاري، والترمذي، والغزالي، وسيبويه، والخوارزمي، والرازي، وابن سينا، وابن بطوطة، والزهراوي.. وغيرهم الكثير، الإنسان المتحضر لا يتزعزع ولن ينقص من قدره ولا من رزقه حين يتقبل ويتفهم الغربة والمغترب وأن الأرزاق تأتي من الله سبحانه من خلال الناس بعضها البعض، قال الله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف:32].

الضيف والضيافة

اللهُ يَعلَمُ أَنَّني ما سرني
شيءٌ كَطارِقَةِ الضيوفِ النُّزَّلِ
ما زِلْتُ بالتَّرحيبِ حتى خِلْتُني
ضيفًا لَهُ والضيفَ رَبَّ المَنْزِلِ

الضيوف نعمة وبركة وهدية من الله تعالى، خاصة إن كان ضيفاً محترما ملتزما مؤدباً خفيفاً لطيفاً صالحاً صدوقاً عفيفاً عزيزاً، وهذا ما ينبغي منا تبنّيه والعمل عليه في كل مكان وزمان كالغيث يستبشرون بقدومه، فلنكن كذلك قدوة حسنة، ضيوفاً يُسعدون الناس إذا حلوا. وأبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام كان كريما مضيافاً جواداً، قال الله تعالى: ﴿ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴾ [هود:69].

جميعنا لا يحب أن يرى ضيفاً ثقيلاً بذيئاً صخّاباً نمّاماً، وقدومه بهذه الصفات الدنيئة بلاء وهمّ، وفود هذه الفئة من الناس على منازلنا يعكر صفو الحياة ويجعل يومنا كالدهر، سيؤدي مع

مـرور الزمن إلى تجنب النـاس ضيافة بعضهم البعـض، علما أن الضيف لا ريب سيسـعى جاهداً في التغاضي عن مساوئنا وعيوبنا حفاظـاً على العلاقة وعلـى كرامة ومكانة الضيـف، فلا يصح أن نكـون عبئاً على أهل البيـت مهما وجدنا ترحيبـاً أو حفاوة، فهذا لا يعكـس رضاهم الداخلي علينـا ولا على أفعالنـا وأقوالنا، ولا نقـول إن المضيف من قرابتنا وأصدقائنا في حين أننا نكلفهم ما لا يطيقون ويكرهون.

وهناك أيضاً وصايا مهمة يجهلها الكثير نجدها في هذه الآية الكريمة: ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [الأحزاب:53].

البعـض يأتـي باكـراً ينتظر الطعـام، وأهل البيت في شـغل وازدحـام، وبعد تنـاول الطعام، يطيل المكـوث، وأهل البيت بين تعب ونعاس.

بعض الضيوف بدلاً من شـكر المضيـف وتقديره على وقته وضيافتـه تجدهم لا يرضون ولا يقدرون وكأنهم يسـتحقون وقته وضيافته وعليه إرضاؤهم بشـتى الوسـائل لأنهـم ذو قيمة ومرتبة عاليـة فريـدة لا نظير لها ولا مثيـل، لا مرحباً بهم، لأن الشـرع لا

يأمرنا بالتكلف والمشقة والخسران لأجل الضيف، بل أن لا نبخل بالموجـود ولا نتكلف بالمفقود، وعلى الضيف الرضى والشـكر وتقبل ذلك، كما قال عمر بن الخطاب ﵁ : «نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ» - السلسلة الصحيحة.

لا تسـتغل، لا يصـح للضيـف أن يسـتغل صلـة القرابة أو الصداقـة ويجعلها ورقة ضغط على المضيف، من إحراجات مالية وشخصية وزمانية ومكانية، لا يراعي التزامات وماديات وحريات الناس، ليجعل من نفسـه عليهم غما وكابوسـاً، ثم للأسـف يعود ويكـرر ويتذرع بأن الضيف ضيف الله، وبأن القرابة أو الصداقة إن لم تتحمل سـذاجته فليسـت صادقة وحقيقة... طبعاً دون خلاف هذا عين الخطأ لأنها تبريرات مرفوضة في ميزان الشـرع والعُرف لا وزن لهـا البتة، فالناس تحترم الضيـف إن كان محترما وإن كان غير ذلك فلا مرحباً به كائناً من كان.

للبيوت حرمـات، والضيوف أحياناً القليل منهم، لقلة أدبهم وضيـاع تربيتهـم ودينهم يترصدون عـورات أهل البيت يسـعون جاهدين لكشف المستور ولرصد العورات والعيوب، عدا تسجيل كل صغيرة وكبيرة لغرض البخس والشـماتة، مثل بعض الناس ما أن يغادروا منزل المضيف حتى يشـرعوا بالغيبة والنميمة والمكر،

غيـر أن الطامــة الكبرى التــي لا يرضاها الله ولا رســوله ولا أهل النخوة والمــروءة هي النظر على حرمات أهــل البيت دون خجل واستحياء، ومنهم ومنهن من يصفهن للرجال والشباب بكل فجور وسفور ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لذلك على الناس عدم استضافة أيّ كان في منازلهم، والحذر من الذئاب التي تنهش وتستغفل الراعي.

قال ﷺ : «لا تُصاحب إِلَّا مُؤمِنًا ، ولا يَأْكُل طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ» – حديث حسن أخرجه أبو داود.

ضيــف الســوء، نعوذ بالله مــن ضيف الســوء، خاصة الذين تفتقــر أخلاقهم لآداب الســلام والاســتئذان والدخول والمكوث والخروج، نجدهم للدار داخلين أو ماكثين أو خارجين دون (إحم ولا دســتور)، كأنهــا دارهم وأعــز وكأن حرمة المنــزل مثلها مثل الشارع والسوق، والضيف الطائش: إن سلّم جهل، إن دخل تسرع، وإن تكلم صرخ، وإن ضحك أســمع، وإن جلس سهر وتأخر، وإن غــادر أزعج، لهذا مهما كانت صلة القرابة بيننا وبين صاحب الدار تبقــى للدار حرمة عظيمة لا يجوز تعديها أو التهاون بها أو التغافل عنهــا، علينا مراعــاة أهل الدار ولو كانت لدينــا الصلاحية ولو كنا

أقاربهــم وأحبائهــم، وهذا علــى القريب كبيــراً أو صغيراً أوجب، القرابة المحترمة المراعية لآداب البيوت ومشاعر أهلها هي القرابة الحقيقة الصادقة النافعة، وأول الآداب آداب السلام والاستئذان.

قــال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِيــنَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُــواْ وَتُسَــلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور:27].

أبناء الضيوف أبنائنا نهتم بأمرهم وسلامتهم بكل رحب وسعة ومحبة، ولكن هذا لا يعني قبول طيشهم وعبثهم في منزل المضيف لا يعني أيضا الســماح بتكســير المنزل وأغراضه، تراهم يصولون ويجولون دون رقيب ولا حســيب، ثم ضرب الأبناء بعضهم بعضاً وإزعــاج أهل البيت والجيــران، ثم نرى من الآبــاء والأمهات قلة اكتراث بمشاعر الآخرين وأملاكهم، لأن أطفالهم فوق الجميع أو لأن هنــاك ضعفاً ظاهراً في التربية والضبط، الزائر المســلم يراعي كل صغيــرة وكبيرة، ويعوض أهل البيت عــن ما أحدثه أطفاله من خراب وإساءة ويضع نصب عينيه راحة أهل البيت قبل سعادة أبنائه وراحتهم، يصون نفسه وأبنائه عن المذمة وبغض الناس، قال: «ألا فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيتِهِ» – حديث صحيح.

الضيف الواجب إكرامه ثلاثة أيام، هو الضيف المسافر القادم من بلد آخر، من كان يعيش خارج مدينتنا، والضيافة ما بعد الثلاثة هي صدقــةٌ عليه، ومن كان داخل المدينة فلــه الضيافة الطبيعية لا شــك ولكن ليس كحق المســافر، قال ﷺ : «ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكرِم ضيفَهُ جائِزَتَهُ. قَالَ: وما جائِزَتُهُ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قَالَ: يَومٌ ولَيلَةٌ، والضيافَةُ ثَلَاثَةُ أيَّامٍ، فَما كانَ ورَاءَ ذلكَ فَهو صَدَقَةٌ عليه» - حديث صحيح.

نقــد الضيف وضيافتــه، لا ينبغي ولا يصح بــأن ننتقد طعام المضيف، أو منزله أو أبنائه أو فقره، علينا تقديره واحترامه وشكره لاســتضافتنا واكرامنا، علينا دعمه والدعاء لــه لكل صغيرة وكبيرة قدمهــا لنا، علينا إظهار جمال أخلاقنا وإســلامنا لكل إنســان فتح داره واســتضافنا وقدم وقته وجهده لنا وأطعمنا ما تيسر ولله الحمد ثم الشــكر للمضيف، «..ومَن كانَ يُؤمِنُ بــاللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُل خَيرًا أو لِيَصمُت» - حديث صحيح.

لا نبخــس أحــداً مهما كان الســبب، نمســك ألســنتنا عنهم ونمحي ذاكرتنا عن العيوب ونحمي أعراضهم ونتجاهل السقطات والزّلات لأننا فضلاء كرماء حلماء، وهكذا تســعد الناس ونســعد ويرضى الله عنا، ولا ننسى الدعاء لمن أطعمنا وسقانا عنده.

عن كعب بن مالك ﷺ : أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسـلَّم طَعِمَ عندَ سـعدِ بنِ عُبادةَ، فلما فَرَغَ قال: «أكَلَ طَعامَكم الأبرارُ، وَصَلَّت عليكم الملائكةُ، وأفطَرَ عِندَكم الصَّائِمونَ». -فتح الغفار – حديث صحيح.

الضيـف المتميـز الأنيق نجده إن طعم معنا تباركنا، وشـكر ودعا لنا، وإن ضحك ابتسم خفيفاً، وإن أخطأنا غض طرفه وسمعه وتغافل، وإن ظهرت إحدى نسـائنا غض بصره وسـترنا، وإن علم فقرنـا وحاجتنا سـدها ودعمنـا ودعا لنا، وإن غادر لـم يذكرنا إلا بخير، وإن اغتابنا أحد سـارع بالدفاع عنا لأجـل ما بيننا من الخبز والملح واللقاء، وإن علم من أسـرارنا شـيئاً كتمـه ولم يظهره، لا حرمنا الله الأخيار الأبرار، وإن كنا كذلك مع الناس سـنجد الناس كذلك معنـا، فالجزاء من جنس العمل، قال تعالـى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ [التوبة:71].

الأدب والاحترام

قال المتنبي:

ومـا الحسن فـي وجـه الفتى شـرفاً له

إذا لـم يـكـن فـي فـعـلـه والـخـلائِـق

الأدب والاحتـرام يعكسـان القوة والرزانـة والإيمان، أينما كان صاحبهمـا أثمر وأفلح في كل المواطـن والأماكن والأزمات والنقاشـات والاجتماعـات، كما أن الاحتـرام والأدب من أفضل الأسـلحة والدفاعات وأجودها ضد القريب ثم البعيد، المتسـلح بهما يعلو شأنه بهما دائما ويزداد أحبائه ويقل أعداؤه، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصلت:34].

الأدب والاحترام بضاعة يتبادلها الجميع، وهي من سـمات عاليـة القـوم وأفضلهم وأنجحهم علـى الإطـلاق، يتبادلونها مع الصغـار والكبـار الأغنياء والفقـراء الأباعد والأقـارب والجيران

والغربـاء، ولا ريب أن البضاعة سـتربو وتربح، ومكاسـبها مثمرة وغنية، مادياً واجتماعياً، نفسـياً ودينيـاً، لأن من يزرع يحصد، قال الحطيئة:

مَـن يَـفـعَـلِ الـخَـيـرَ لا يَـعـدَم جَـوازِيَـهُ

لا يَـذهَـبُ الـعُـرفُ بَـيـنَ اللهِ وَالـنـاسِ

تأدبنـا واحترامنا لمن هـم دوننا عمراً وقـدراً ومالاً وعلما، إشـارة جلية على غنـاء تربيتنا وبيئتنـا وأصلنا بـكل ثمين وفريد، فالمسـلم يسالم الجميع ويكف عن الجميع لسانه ويده ولا يخرج منه إلا طيب القول والفعل، ومهما واجهنا من إساءات رددناها رداً جميلاً أو تجاهلناها بحكمة، لأن الرد على السفيه سفاهة.

قال الشافعي رحمه الله:

إذا نـطـق الـسـفـيـهُ فـلا تُـجـبـهُ

فـخـيـرٌ مـن إجـابـتـه الـسـكـوتُ

فَـإِن كَـلَّـمـتَـهُ فَـرَّجـتَ عَـنـهُ

وَإِن خَـلَّـيـتَـهُ كَـمَـداً يَـمـوتُ

وهنـاك قائلاً قال: السـفيه لا يوجد ما يخسـره لأنه سـفيه، والعاقل لديه الكثير من القيم والوقت والأهداف.

الأدب والاحترام مع أزواجنا وأبنائنا وجيراننا وزملائنا يقوي العلاقة ويدعمها ويحفظها من الضياع والتفكك والصراع، وهذا لا يعني إقصاء الحزم والجدية في وقتها إن لزم الأمر، ولا يعني قبول الانحطـاط والذل بحجة التأدب، فبعض المواقف تحتم علينا الرد الحـازم ولكن المحترم، وتحتم علينا التأدب في الأفعال والأقوال تفادياً للندم وخسـارة الناس، «ما من شـيءٍ أثقَلُ فـي الميزانِ من حسنِ الخُلُقِ» - وصحح إسنادَه شعيب الأرناؤوط.

سـئُل رسـول الله ﷺ : «فمَن أحبُّ عِبادِ اللهِ إلـى اللهِ؟ قال: أحسَـنُهم خُلُقًـا» - صححـه شـعيب الأرناؤوط فـي صحيح ابن حبان. وخيـر الناس من يهب الأدب والاحتـرام مجاناً لمن حوله دون مقابـل، ومن الناس مـن يتردد في تقديمهمـا ولكنه يطلبهما بالمجـان لأنه يرى لنفسـه مالا يرى لغيـره، ومنهم من لا يقدمهما إلا إذا وجدهما ولمسـهما، كما لا يصح مطالبة الناس بهما بالقوة والفظاظـة، أعطنـي لأعطيك! عاملنـي بأدب واحتـرام لأعملك بالمثل، لأن من أحسـن معاملتنا شـكرناه وقدرناه، ومن أسـاء لنا اجتنبناه، الأدب والاحترام يا سادة يا كرام تربية وليسا ضعفاً.

قـال تعالـى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقـان:63]، الأدب والاحتـرام الحقيقيـان الصحيحـان لا يكونا إلا مع من عادانا، شـتمنا، أزعجنـا، هاجمنا أو آذانا، وتظهر حقيقة التربيـة الراقية عندما نثبت جدارتنا فـي كظم الغيظ والعفو والإحسـان عن المسـيء، والله لن يضيع صبرنا وعملنا، وننوه بأن الحكمة تقتضي الرد المناسـب في المكان والوقت المناسبين، مع الاحتفـاظ برباطة الجأش وفطنة الـردّ وعدم الانفجار في الخصام وتحمل الـزلّات من الناس، مع مراعاة الكبـار والأقارب والأهل والجيـران، وما الفائدة أن نصبر ونصبـر ونتحمل ثم ننفجر ونهدم صورتنـا أمام الله والناس، وقد قيـل: الصبر مرٌّ مذاقه ولكن عواقبه أحلى من العسل.

مـؤدبٌ محترمٌ خلـوقٌ أمينٌ صادقٌ.. لو كانت هذه سـمات وصفات وسـمعة من نريد مصاهرته أو مشاركته أو السفر معه.. لا ريب سنسـعد ونطمئن إليه ونمضي قدما معـه بعون الله، لأن أهم وأكثـر ما يجـذب الناس لبعضها البعض أولهـا وأهمها: الأخلاق ثانيها السـمعة العطرة، قال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحاسنهم أخلاقاً، الموطؤون أكنافـاً، الذين يألفون ويؤلفون، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف» - السلسلة الصحيحة.

تقدير كبار السن والتأدب معهم وإن كانوا على خطأ في غاية الأهميـة، لا مفاوضة فيه ولا نقـاش، لأن توقيرهم من الدين وهي عادة عريقة قديمة من عادات العرب الأقحاح، فإجلال ذي الشـيبة المسـلم من إجلال رب العزة سبحانه وتعالى، فالأمر كما نرى في غايـة الخطورة، ولا يصـح إلا الصحيح، ولا يقبـل مطلقاً إطلاق اللسان أو البنان عليهم ولا تهديدهم، ولا تعنيفهم، ولا تخويفهم، ولا مسـهم بسـوء أو كيد.. ولنعلم بأن الأيام دول وقد يرسـل الله علينا أناساً لا ترحمنا عندما نشيخ ونهرم.

قـال ﷺ : «إن من إجلالِ اللهِ إكرامَ ذي الشـيبةِ المسـلمِ» - صحيح أبي داود.

وهذا الإكرام وإن كان للمسـلم بالخصوص ولكنه لكل كبير في العموم نصرانياً كان أو يهودياً.

هُـــنّ الــقــواريــرُ رفــقــاً بــالــقَــواريــرِ
وهُـــنّ لــو كــنــتَ تـــدري كــالأزاهــيــرِ

فالتـأدب مـع الإنـاث، الفتيـات والأمهـات، المعلمـات، الممرضـات، البائعات واجب دينياً وتربوياً وإنسـانياً لا غنى عنه، هذا يشمل طبعاً: النساء مع النساء، والرجال مع النساء، والنساء مع

الرجال، فإن حدث ووجدنا منهم الخطأ والتعدي نعالج الموقف بحكمة ونُثبت بأننا عقلاء ذو تربية ومبادئ وأخلاق، المسلم لا يضرب النساء ولا الأطفال، خاصة في الطرقات والأماكن العامة ولا حتى في غير ذلك من الأماكن لا يصح شتمهن ولا ضربهن ولا التعدي عليهن مهما كان إلا في الضرورة القصوى. «أكمَلُ المُؤمنينَ إيمانًا أحسَنُهم خُلُقًا، وخيارُكُم خيارُكُم لِنسائِهم» - رواه أبو داود. والعرب لا تضرب النساء ولا يردون الإساءة بالإساءة، بل وكأن شيئاً لم يكن.

الإخوة والأقارب لهم معاملة خاصة، لهم علينا حقوق أقوى وأكبر من غيرهم في الكلام والمعاملة والمعاشرة وحتى عند الخلاف، فهم أولى وأجدر من الغرباء مهما كان، فالأولى أولى أن يُتبع، وتشبيه الغريب بالقريب كلام مرفوض ولا اعتبار له، لأن صلة الأرحام ترضي الرحمن وقطيعة الأرحام تغضب الرحمن، لا نضع الحجج بأن القريب فيه وفيه وعقله وفكره كذا وكذا.. لأن الناس كافة إلا الأنبياء لا تخلو من عيوب ونواقص، مهما كان لا ننسى أن بذل الخير والود والوقت للقريب يبقى أحق وأولى وأنفع لنا وله من الغريب ولا وجه للتشبيه والمقارنة، قال تعالى: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال:75].

أزواجنا وأبنائنا لنجالسهم، ونسمعهم، ونحترمهم، ونستوعبهم دون استهتار وفظاظة وقسوة، لنكن معهم على هذا الزمان لا عليهم، ومهما وجدنا من خلاف في الفكر أو العقل فلا نزيد الشقاق شقاقاً ولا الاعوجاج اعوجاجا، ولا يعقل أن نصحح اعوجاجا بالشدة والعصبية بل بالرفق والنصح، قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلا ﴾ [الإسراء:110].

لا نيأس ونقول: مللنا تعبنا.. لا أمل هناك!، بل هم أمانة استودعها الله عز وجل عندنا، كما علينا الحذر من الدخلاء شرار الخلق الذين يستغلون النقص والضعف والتباعد الأسري بين أفراده، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم:6].

الجار والزميل والمدير أناس نراهم مراراً وتكراراً على الدوام في الحي والدوام، هذه الأماكن علينا تقديرهم أشد التقدير مع بذل المستطاع والحرص على تفادي أدنى الاصطدامات، لأننا سنعكر صفو أيامنا القادمة في مواجهتهم، وسيسعى كلا الفريقين في إقصاء الآخر وضره وإثبات الأقوى لأنهم في مواجهة ولقاء يومي متجدد، جمهوره الجيران أو الزملاء وجميعهم إلا من رحم الله للأسف لا يكترثون البتة بل يترقبون المنتصر بدلاً من الإصلاح،

والشـيطان يزين الأعمال، من هنـا نعلم أن علينا التعامل بحذر مع الجـار والزميل والمدير بالصبر ثم الصبر مع انتقاء الكلمات بعناية وكبح الغضب والتجاهل ودون إفسـاح المجال لهم بالدخول في الخصوصيات أيضاً.. بذلك سـوف نحظى باحترامهم وتقديرهم كما أن أيامنا ستمر وتمضي بسلامة ورضى بعون الله. «تعوَّذوا باللهِ مِن جارِ السُّوءِ في دارِ المقامِ.. » - رواه الإمام البزار.

الموظف أو العامل أو العسـكري أو الشـرطي أو الممرض ليسـوا من حديد بل من طيـن يحملون مشـاعراً وهموما وغموما وأزمـات.. فهـم أولى النـاس بالتقدير والاحتـرام، لا نقول: هذه وظيفته، هذه مشكلته، إنه يتقاضى راتباً وهذا (بالمكفى)..!! طبعاً هـذه الأقوال لا تصدر إلا من الجهال، فالناس من لحم ودم، هناك أناس تتعب من الداخل وتتأزم حياتها بسـبب طبيعة عملها، ومنهم من لا يحظى بعيشـة هنية مسـتقرة بسـبب أحوال وظيفته وظروفه المادية الاجتماعية السيئة، هناك أناس أصيبوا بالأمراض والأدواء بسبب عملهم ورئيسـهم. وكما أن صحتهم في انتكاس، وحياتهم فـي تأزم، لـذا علينا بالرفق معهم وحذار من زيـادة الضغط عليهم وكسرهم وتدميرهم نفسياً وجسدياً ومالياً لتعود سلباً عليهم وعلينا وعلى الآخرين بشكل أو بآخر.

قال الشاعر:

لــكــلِ شــــيءٍ زيــنــةٌ فــي الـــورَى
وزيـــنـــةُ الـــمـــرءِ تـــمـــامُ الأدب

قـــد يَـــشـــرفُ الـــمـــرءُ بـــآدابـــهِ
وإن كـــان فقيراً مجهول النسب

الغضب وضيق النفس

أين ما حلّ الغضب أفسد الأمور وقلبها رأساً على عقب، قال نبينا ﷺ لأحد الصحابة: «لا تغضب». رواه الإمام البخاري.

كما أن عواقب الغضب من احدى أهم أسباب الفشل الأسري ثم العملـي ثم الاجتماعي، خاصة عند النقاشـات الحادة الزائدة، وفـي الطرق حين قيـادة السـيارات والدراجـات، وضمن أماكن الإنتظار والإزدحام، والأسـواق، والملاعـب والأماكن الترفيهية المزدحمة، كلها مواطن يـزداد فيها الجدال والخصام والاختلاف والصدام، لا يسعنا إلا التغافل والصبر لأننا جميعنا نتردد على تلك الأماكـن علـى الدوام، ولا نريـد أن نعيش في صراعات مسـتمرة وقتال لسـفاهة السفهاء ولبعض سقطات العقلاء وأخطاء البسطاء، وكـم من مقتول دخـل القبر وقاتل ذهب إلى السـجن لأجل تلك المواقف سالفة الذكر.

قـال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ﴾ [الأعراف:200].

لا نستغرب عندما نعلم أن الغضب لا يمثل مطلقاً الشجاعة والقوة بل هو دليلُ طيشٍ وتهورٍ وجهلٍ نسأل الله العافية، بذلك يعكس على الأغلب ضعف الشخصية ثقافياً وتربوياً ودينياً، ربما يكون صاحبها بطراً متكبراً متجبراً لما أنعم الله عليه من مال وعز وسلطان أو لصحبة سيئة أو لعلها ليونة التربية التي حظي بها في المنزل والمدرسة، كل ذلك يجعل الإنسان ضعيف الصبر والحكمة، لا يتحمل الصعاب ولا مشاق الحياة ولا يتمالك نفسه فيشتاط غضباً على صغائر الأمور لأتفه الأسباب. وقيل إن الشجاعة من القلب: (وهي ثباته واستقراره عند المخاوف، وهو خلق يتولد من الصبر وحسن الظن، فإنه متى ظن الظفر وساعده الصبر ثبت، كما أن الجبن يتولد من سوء الظن وعدم الصبر فلا يظن الظفر ولا يساعده الصبر) - موسوعة الأخلاق الإسلامية.

الأسباب الرئيسية لدخول السجناء السجن هي الغضب، كذلك حالات الطلاق، والعقوق، والشجار، والقتل، وقطيعة الرحم، تبدأ بالغضب وتكبر إن استمر الغضب، لأنه كالشعلة تصبح ناراً لا تنطفئ إلا بحرق من حولها، عافانا الله، عواقبها كارثية مؤذية للنفس والجسد والآخرين، عن الصحابي معاوية بن ابي سفيان الخليفة الأموي ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«الغضب من الشيطان، والشيطان من النار، والماء يطفئ النار، فإذا غضب أحدكم فليغتسل»، - جاء في كتاب الحلية بسند ضعيف، قال الدكتور محمد نجاتي حاكياً العلاج: (يشير هذا الحديث إلى حقيقة طبية معروفة، فالماء البارد يهدئ من فورة الدم الناشئة عن الانفعال، كما يساعد على تخفيف حالة التوتر العضلي والعصبي، ولذلك كان الاستحمام يستخدم في الماضي في العلاج النفسي) انتهى. - الحديث النبوي وعلم النفس، (ص/ 122).

الغضب لا يأتي بخير في أغلب حالاته، كمن يصب الزيت على النار، فهو يفتح مجال الشتم والأذى والضرب والقتال والدمار ثم الندم، الغضب أمام الوالدين يستجلب العقوق، وأمام الأبناء يستجلب الكراهية، وأمام الزوجة يستجلب الطلاق والفراق، وعند النقاش والحوار يستجلب النزاع والشقاق، الإنسان الغضوب لا يكاد يسلم له شيئٌ في الدنيا، دائما نجده وحيداً في النهايات لقساوة طبعه وسوء منطقه وحدته مع من حوله، لا ينجح في العلاقة الزوجية، ولا تكوين اسرة مستقرة، ولا يسلم له صاحب، ولا يهنئ له جار، ولا يحسن في إيصال حتى وجهة نظره، ولا نجده في وظيفة دائمة ولا شراكة مستدامة، كل ذلك لأجل الغضب والعنف والصراخ وسوء العِشرة، نسأل الله السلامة والهدى، قال النبي ﷺ : «مَن يُحرَمِ الرِّفْقَ، يُحرَمِ الخيرَ كُلَّه» – صحيح الجامع.

الغضب المجدي النافع لا يكون إلا لأجل الله ورسوله عندما تنتهـك الحرمات لا قـدر الله، وعلى الحقـوق إذا ضيعت، وعلى أعراض المسـلمين وأموالهم ومقدساتهم، وعلى الظَلَمة والفَسَقة والفَجَرة، يوجه الغضب لأجل دفع ظلم الظلمة وكيد الفجرة وشر الشـررة، او يكون الغضب في مواطن الجهـاد أو لأمر بالمعروف ونهي عـن المنكر، أو لإعلاء كلمة الحق عند سـلطان ومسـؤول جائر غشـوم، فهنا لا ريب بأن الغضب نفـع ورفع صاحبه عند الله تعالى.

قال رسـول الله ﷺ : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يسـتطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» – حديث صحيح رواه الإمام مسلم.

لا ريـب إن الغضب مع إنكار المنكر يتطلبان قبل ذلك دراية أدبية وعلمية عن المعروف والمنكر، لأن هناك من ينكر المعروف جهلاً ويرضى بالمنكر جهلاً، كما ينبغي أن يكون مستوى الغضب ضمن الحدود والأداب لا يجر الى مصيبة أكبر وبلية بين المسلمين لا يحمـد عقباها تـؤدي لا قدر الله إلى السـجون أو المشـافي أو القبور.

ضغط الـدم، أمراض القلب، الصداع، السـكتات الدماغية، اضطرابـات النوم، السـكري، الإنهيـارات العصبيـة، اغلبها يعود للغضب الزائد لتصيب الانسـان بأمراض عقلية ونفسـية وجسدية عدا أنه من الشـيطان والشيطان من النار والنار تأكل نفسها وغيرها عافانـا الله، عـلاج الغضب يحتـاج لعنايـة وهمة ونيـة جادة لأن الأمر مهم ونافع للغايـة للصحة والحياة، مثل: رياضة النفس على كظـم الغيض، التغافل عن صغائر الأمـور، مغادرة مكان الحدث، السـكوت بدلاً من الكـلام الذي يجر الى الجـدال ثم الصراخ ثم القتـال، والرياضة على قراءة الكتـب، مصاحبة الصالحين، اليقين أن هنـاك مصائب تبقى أهون بكثير مما نحـن فيه، حضور دروس عن حلول مشـاكل الغضب، قـراءة قصص النبـي ﷺ والصحابة الكرام مع الغضب، الدعاء بأن يفرغ الله علينا صبراً ويرزقنا الرفق، والتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لأن الناس تخطئ وتقول للإنسان الغاضب: اذكر الله او صل على النبي!

والسـنة كما جاء عـن النبي ﷺ : «إذا غضـبَ الرجلُ فقال: أعوذُ باللهِ سكنَ غضبهُ» – السلسلة الصحيحة

لمـاذا نغضـب؟ الغضوب يخونه عقله ولسـانه عـن التعبير والتحليـل وإيجاد الحلول بحكمة فيلجا للأسـف للحل الأسـرع

والأخطر والأسـوأ وهـو الصراخ والصراع، الـذي يزيد الطين بلة ويزيـد التعقيد تعقيداً، مع أن الحل لا يكون إلا الحوار بالحسـنى لأنها السـبيل الوحيد الحصري لحل المشـكلة والإشـكال، وكم من قصص إجرامية وطلاق وقطيعة أرحام حدثت بسـبب الغضب ولأسـباب طفولية لا تذكر من سـوء تفاهم وظن سوء وعناد، قال النبـي ﷺ : «إنما العلمُ بالتعلم، وإنمـا الحلمُ بالتحلُم، ومن يتحرَّ الخير يُعطهُ، ومن يتقِ الشر يُوقَهُ» - السلسلة الصحيحة.

ضغوط الحياة والتحمل

تتوالى الضغوط علينا من كل جانب حتى أننا نكاد لا نسـلم منهـا البتة، مع أن الحيـاة تفتح ذراعيها مقدمة كل وسـائل الراحة المتميزة والرفاهية العالية ولكن تخفي بطياتها الهموم والضغوط: الضغـوط الماديـة والمعيشـية والوظيفيـة والزوجيـة والأسـرية والحكوميـة والعلميـة، لا نكاد ننهي بعـض الإلتزامات حتى نجد التزامات أخرى، ولا نكاد نلمس السكينة إلا وقد سمعنا بتعقيدات جديـدة، عدا الضغوط الكونية من حـروب وفتن وأوبئة وأمراض وإجرام الى آخره.. كل ذلك يستلزم منا الصبر والتحمل واحتساب هـذا كله عند الله عـز وجل، لأجـل ان يرعانا ويحفظنـا ويدعمنا بالصالحين والأخيار فتهون علينا الحياة ونرضى ثم نفوز بعون الله، وقد قيل: ما من ضيق مع رحمة الله... وما من عافية مع سخط الله.

مادة (صبر) وردت في القرآن في ثلاثة ومائة موضع (103) بصيـغ مختلفة، فمنهم من ينسـاها مثل سـيدنا آدم وحواء عليهما السـلام، نسيا فأكلا من الشجرة، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه:115].

قال أهل العلـم: عزماً يعني صبراً، وقدر الله وما شـاء فعل، ومنهم من ينميها ويجني ثمارها مثل سـيدنا يوسف عليه السلام صبر على اخوته وعلى النسـوة وعلى السـجن ليصبح عزيـز مصر.، وقصة أبو البشـر سـيدنا آدم عليه السلام ما هي إلا عبر ودروس لأبنائه (نحن)، وليسـت منقصة له معاذ الله، فهو أبونا وخليفة الله في أرضه.، ومن قصص الصبر القرآنية قصة أم موسـى حين ألقت موسـى الرضيع فـي اليم حفاظاً عليه من بطش فرعون، وصبرت ليعود لها وتصبح مرضعة له، وقصة صبر جنود جالوت بعدم الشرب من النهر إلا من اغتـرف غُرفَةً بيده، وصبر أصحاب الكهـف على عبادة الله وحده ليجعلهم الله ذكرى طيبة، وقصة صبر سـيدنا موسى عليه السلام في مدين عشـر سـنين لزواجه وعهده مع والد زوجته، وصبر سيدنا يعقوب فـي فقدان أبنائه... والقصص كثيـرة، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً.

لا نستطيع اجتياز كبد الحياة بالتأفف والضجر والشكوى أو المعاصـي والمحرمات ولا على أظهر النـاس الضعفاء والأبرياء، لنقـول الحياة صعبة ولا خيار لنـا وأننا مجبرون، ومنهم من يقول: إن لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب! ويحسب أنه حيوانٌ يعيش في غابة بيـن الحيوانات يأكل القوي منها الضعيف، قال تعالى: ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهًا ﴾ [الإسراء:38].

وهذا النهج سيستخدم ضدنا أيضاً يوما ما وسنضع أنفسنا في تجارب وعواقب خطرة لا يحمد عقباها، ومن يزرع الشـر يحصده ومـن يزرع الخير يحصده، والسـعيد من آمـن ورضي وصبر على حلو الزمان ومرّه دون أن يستسلم أو يفقد الامل، أو سيستلزم على ذلك صبراً آخر أشد وأكبر، فنقول حينها: يا ليتني صبرت وتحملت أولاً وأقنعت نفسي ورضيت، ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ [الطور:48].

قد نسـتعجل الرزق ولا نصبر على الحلال القليل فنسرق أو نغش فنسجن لنخسر سـمعتنا وثقة الناس، أو نبتلى بمرضٍ يكلفنا الغالي والنفيس، او نصطدم مع ظالمٍ غشومٍ، فنقع بشر أعمالنا لنندم ونغرق في محن تحطمنا وتأكلنا، وقد نسـتعجل في الطلاق غضباً وانتقامـاً ولا نصبر علـى بعض العثرات والهفـوات، فنندم وندمر أنفسـنا ونضيعها وتضيع أسـرتنا، بسـبب ضعف صبرنا وتحملنا، والعجلـة فصَّلها أبو حاتم حين قال: (العَجَـل يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبـل أن يفهم، ويحمد قبل أن يجرب، ويذم بعدما يحمد، ويعزم قبل أن يفكر، ويمضي قبل أن يعزم) – روضة العقلاء.

قال خالق الخلق: ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ﴾ [الأنبياء:37].

تجارب وشراكات عملية تجارية دخلنا فيها وفشلنا ثم أعدنا المحاولة ثم أيضاً خسرنا، ثم ماذا؟ هل نحاول أو نستسلم وننهزم. المستسلم نجده الآن موظفاً أو عاطلاً عن العمل او يائساً لم يتحمل ويصمد، في حين هناك من حاول رغم كل المصاعب والمتاعب ليصبح مديراً او رئيساً او تاجراً، لا نقول كان محظوظاً، أو المال جعله ناجحاً، بل لا ندري كم استغرق ذلك وكم من الآلام والمخاطر واجه والضيق عارك، وشتان بين من يجتاز البحر وبين من ينظر على الخريطة، لكلٍ قصته، كما أننا لا نبخس المحاول الخاسر الصادق، لأنه كسب شرف المحاولة، ولكن لا نتوقف، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [هود:88].

أذكر اخاً كان همه الشاغل أن يكون ذو مالٍ وقوةٍ وسلطانٍ، كان للصراحة صادقاً أميناً طيباً تقياً، لم يفتك يسعى جاهداً في مجالات شتى وكان ذو حظوة عند الناس لصدقه والتزامه وجهده، وتمضي السنوات وتمتد إلا أن الفشل لازمه ولم يفارقه، وهو لا يفارق المساجد وأعمال البر والإحسان، وقد خسر المال والوقت، وكثرت الديون والهموم، إلى أن جمعه الله تعالى مع رجل أعمال

وفير المال والسلطان ليتشاركوا معاً ويقفز أخانا مالياً ووظيفياً لأعلى المستويات في ليلة وضحاها، وتمضي السنة والتي تليها فيتكبر قليلاً وتحدث بعض التجاوزات النفسية منه وبعض الهفوات المالية، لأن المال سيفتن لا محال وخاصة عند مصاحبة الأغنياء، ثم للأسف يفشل المشروع فشلاً ذريعاً، وتنفض الشراكة، ويندم صاحبنا على ما حدث من هفوات وأخطاء قائلاً: (راجعت عقلي والحليمُ يراجعُ) وإلى الأن الديون تحيط به والهموم وما زال يسعى ويهم ويهتم دون كلالة ولا ملالة مستعيناً بالله متفائلاً بالخير.

إرضاء والدينا قبل إرضاء الجميع، فهل صبرنا وتحملنا ولم نتأفف ولم نتراجع ولم نشتكي سعياً لرضاهما ورضا الله تعالى، حين نكبر ونهرم سنذكرهما ونقول، الحمد لله أننا صبرنا وتحملنا.

عن عمرو بن مرة الجهني رضي الله تعالى عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله! أرأيتَ إن صليت الصلواتِ الخمس، وصمتُ رمضانَ، وأديتُ الزكاةَ، وحججتُ البيتَ، فماذا لي؟ قال: «من فعلَ ذلكَ كان مع النبيّينَ والصديقينَ والشهداءِ **إلا أن يعقَّ والديه**» – ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد.

امرأة اعرفها كبيرة أرملة ومريضة وغضوبة وحساسة وعجولة لها ولدان لا غير، هاجرت بعد الحرب في الشام وخسرت منزلها، والتجات لولدها الصغير لتدخل في صراع مع زوجته، ثم تزوجت رجلاً كبيراً ليموت بعد حين، ثم التجات لولدها الأكبر، ولكن الخلاف كان لا يغادرهما، ثم عاشت وحيدة، لينفق عليها أحفاد ضرتها، ومضت السنوات والبر شحيح واخلاقها تزداد سواءً، ولسانها لا يرحم صغيراً ولا كبيراً، تشتمهما وتصغر منهما أمام الجميع، وتأبى السكن معهما مهما كان، وصحتها تتدهور لا تقوى على المشي ابداً ولا دخول المرحاض عدا الأمراض تحوطها من كل جانب، حتى راجع ولدها الأصغر عقله والحليم يراجع، فسعى بجد وأمانة يحتال على زوجته لتوافق وعلى أمه لتوافق وتقدم لتعيش معهم، وهو معدوم الحال ذو عيال وديون، فأتت وعاشت إلى أن توافها الله وقد تعب في حملها وتنظيفها وتطبيبها واطعامها، كانت راضية عليه، وماتت على ذلك، ليقول ابنها: الحمد لله أني لم أتركها وصبرت.

الشهوة الجنسية المحرمة تصرعها او تصرعك، ان صرعتك اودتك المهالك وأوقعتك في الفواحش والمساوئ، لتجد نفسك تتخبط في المنكرات ولن يشفى غليلك ولن يرتاح ضميرك ولن

يهـدئ فؤادك ولسـان حالك يقول: هل من مزيـد...، لأن الحرام سـبيله لا محالة الشتات والضياع والفقر، وقد مر في حياتي الكثير ممن وقعوا في المنكرات والفواحش ومازالوا إلى يومنا هذا، وإذا رأيتهم تعجبك أشكالهم، ولكنهم من سيئ لأسوء في كل مجالات الحياة.

وتصديق ذلك قول الله سـبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسـراء:32]، هدانا الله وإياهم، ولكن ان كانت شـهوة في الحـلال تكون عزاً وفخـراً وأجراً ، كيـف ذلك؟ العزة تكون بالأبناء والأحفاد والأصهار، والفخر يكون بتكوين الأسـرة المسـلمة الصالحة المصلحة، والأجر يكون بتفضيلنا الحلال عن الحرام، وهذا كان سـؤال الصحابة الكرام للرسـول ﷺ، قالوا: يا رَسـولَ اللهِ، أَيأتي أَحدُنَا شَـهْوَتَهُ وَيَكونُ له فِيهَا أَجرٌ؟ قالَ: «أَرَأَيْتُم لو وَضَعَهَا في حـرَامٍ، أَكانَ عليه فِيهَا وِزرٌ؟ فَكَذلكَ إذَا وَضَعَهَا في الحلَالِ كانَ له أَجرٌ» - حديث صحيح رواه الإمام مسلم.

وأنـا أكتب عـن الصبـر تعرّضت زوجتـي وابنتـي لحادثٍ أثناء اسـتمتاعنا بأجواء العيد مما تسـبب بكسر يد زوجتي اليمنى، عـدا الفزع الذي أصابنا، وسـلمنا من دون إصابـات لطفلتي، وتم الإسعاف ليلاً، وتلاشـى العيد تماماً، فقدر الله العزيز الحكيم وتم

إجـراء العملية بحمده وفضله، ونشـكر الله عز وجل على السـراء والضراء، وقد واجهنا بعـض المصاعب والمتاعب ولكن قدر الله وما شاء فعل.

قال رسول الله ﷺ: «عَجِبتُ لأمرِ المؤمنِ، إنَّ أمرَهُ كُلَّهُ خيرٌ، إن أصابَهُ ما يحبُّ حمدَ اللَّهَ وَكانَ لَهُ خيرٌ، وإن أصابَهُ ما يَكْرَهُ فصبرَ كانَ لَـهُ خيرٌ، وليسَ كلُّ أحدٍ أمرُهُ كلُّـهُ خيرٌ إلَّا المؤمنُ» - أخرجه الإمام أحمد.

مشـاق طاعـة الله تعالـى والعبادات ليسـت بالأمـر الهين، قـال أصدق الخلـق ﷺ: «حفَّت النار بالشـهوات، وحفَّت الجنة بالمَكَاره» - حديث صحيح.

نصبر على غض البصر والصلاة والدعاء وبر الوالدين وصلة الأرحـام والصيـام... وكلها مكرهـات على النفس البشـرية لأن طبيعتها الركون للكسـل والبطر وحب التحرر من المسـؤوليات، خاصـة ما نواجهه فـي زماننا من إغـراءات وفتن مـا يفوق العقل والتصور، الناس تتفنن في فتن الناس، لأغراض سياسـية وتجارية وحـرب دينيـة، عـدا أن أهل الباطـل يدعمون باطلهم وينشـرون قصصهـم وانجزاتهـم الرخيصـة، وكلها مغريات جذابـة للنفس،

منمقة ومزينة، والبعض وقع في المنكرات والمعاصي والشهوات بسبب أصدقاء السوء، والإختلاط، والأفلام والمسلسلات، والمشاهير، ومواقع التواصل الاجتماعي، والنفس الأمارة بالسوء، فمنهم من راجع نفسه وتاب وآمن وعمل صالحاً، ومنهم منغمسٌ لا يكاد يرفع رأسه، ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ﴾ [ق:27]، ونكاد نعجز عن حماية أنفسنا وأحبابنا من تلك الفتن المظلمة المتعاقبة علينا جميعاً، والحذر من القول: أنا قوي على الفتن لا أتأثر، بل الإجتناب والتقوى أولى، لذلك الحذر الحذر، قال الله العليم الخبير: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف:27].

الصبر على تربية الأبناء بالحكمة والموعظة الحسنة والتشجيع، وتجنب اظهار الملل والضجر وتجنب التخوين والبخس والتجريح أو الدعاء عليهم، لأننا قد نيأس ونفقد الامل، ثم ما إن يمضي الزمان لنجدهم أفضل مما تصورناهم، وفي وصايا لقمان لابنه العبر والحكم، كما في سورة لقمان: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:13]، ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان:17]،

وأنـي لأعلم اخاً كان في ضلال بعيد بين كل أفراد عائلته، والعائلة كبيرة، أتعبهم وأرهقهم جميعاً، كثير الهروب من المدرسة، ثم ترك الدراسة كلياً، لا يعمل ولا يملك مهنة، يدخن، ويسهر، ويتضارب يومياً في الشـوارع، ويغيب ويختفي، غضوباً عجولاً، يصلي صلاة الجمعـة فقـط، باع عـدة مرات أغـراض منزلهـم دون علم أهله، ويضـرب اخوانه، حتـى أن والدته كانت تحلم بـه من كثرة حزنها وألمهـا وكانت تدعـوا له لا عليه، وبعد اليأس التام سـعوا أخوانه لتغريبه عن الشـام، فنجحوا، وبذلك وبعد حين سـبحان الله بدت بوادر طيبة، ثم سعوا في تزويجه وتزوج قبل جميع أصحابه بتوفيق الله، ولا شك ما زال هناك عيوباً ومساوئ لم تتغير، ولكن بصيص أمـل كان يلوح فـي الأفق، وتمضي السـنوات لتمـوت والدته ثم والده، لاحقاً وبفضـل الله تعالى ثم الصحبة الصالحة والبلاء تغير وتبدل كلياً للأفضل ساعياً لمرضاة الله وتعويض ما فاته.

قال سـبحانه وتعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:5-11].

هنـاك قصـة جميلة وعجيبـة لأحـد الصالحين حيـن قال: شـكوت إلى عمي وجعـاً في بطني، فنهرني ثم قـال: يا ابن أخي، إذا نزل بك شـيء فلا تشكه إلى أحد، فإنما الناس رجلان، صديق تسـوءه، وعدو تسـره، والذي بك لا تشـكه إلى مخلوق مثلك لا يقدر على دفع مثله عن نفسـه، ولكن إلى من ابتلاك به، وهو قادر على أن يفـرج عنك (يعني الله عز وجل)، يا ابن أخي إحدى عيني هاتيـن ما أبصر بها سـهلاً ولا جبلاً من أربعين سـنة، وما أطلعت على ذلك امرأتي ولا أحداً من أهلي. - التذكرة الحمدونية - لابن حمدون.

فالصبـر علـى البلاء، وعلى العـلاج، وعلـى العمليات، او الإعاقات، تثبت صلابة وكرامة المبتلى، لأن تلك المصائب ليست هينة، ولا يتحملها ويصبر عليها إلا ثلة من الأبطال الشـجعان، ثلة مـن الناس تمتـاز بصفات وطاقـة تحمّل جبارة، زرعهـا الله فيهم سـبحانه وتعالى، تجدهم محتسـبون صابرون صامتون شاكرون، قدوات خلقهم الله سـبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِيـنَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُـوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَـةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:156-157]، وجزاؤهم الجنة بعون الله.

نصبـر على الفقـر والقلة ولا نبيع سـمعتنا وأخرتنا، ولنا في هـذه المرأة الصالحـة العبرة حين قالت لزوجهـا قبل خروجه من المنزل: (اتق الله فينا، ولا تطعمنا حراماً، فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار).

وإن تربيـة وأخـلاق ومبادئ الأنسـان تظهر جليـاً في هذه المواقـف، منهم يختار الأعمال الدنيئة مقابل العيش الكريم، وأي كرامة في الحرام والغش والسـرقة والتعـدي والمنكرات. قال الله مالك الملك: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة:268].

الصبر على القلة مـن أهم ركائز الحياة والمعاش لأن من لا صبر له سـيلجا لطرق ملتوية محرمة، والحرام سـيجر لمحرمات أكبر وأشنع، عدا أظهار الضعف يفتح علينا تسلط المستغلين سفلة المجتمـع، الذين لا عهد لهم ولا ذمة، فالرزق المقسـوم سـيأتي لا محالـة بـإذن الله، ومن الأمثلة المحزنة: من تبيع شـرفها ودينها واخرتهـا لتلبي حوائجها الدينوية، فمهما كانت تلك المبررات إلا أنها لا تحلل هذه الفظاعة والشناعة، وهذه الحاجة الماخوذة كانت سـتأتي لو صبرت، فكما توفرت بالحرام لتوفرت بالحلال، ولكن في العجلة ندامة، ولا يقلها شـناعة وخسة لمن استغل حاجة وفقر

بعض النســاء ليقضي منهن شهواته الشيطانية، دون مراعاة لحالهن والإسلام والمروءة، اللهم إنك تسمع وترى.

وقد أثنــى الله تعالى على الفقراء أصحــاب العفة والكرامة، فقــال تعالــى: ﴿ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ ﴾ [البقرة:273].

الصبــر على أخطــاء الآخرين له مواضعــه وحالاته، مثل أن نكون كالموتى لا نتكلم او نعقّب على أخطاء الناس التي قد تضرنا وتضرهم أو تهلكنا جميعــاً، أو نترك الظالم الى أن يقتلنا أو يفنينا، أو نترك المظلوم لحتفه.

قال ﷺ : «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً.

فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟

قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره».

رواه البخاري.

أَوَ نتــرك المتهور الــى أن يؤذينا، أو نتــرك المعاصي الى أن تنتشــر بيننــا وتصبح عادة، او نتــرك الأمر بالمعــروف والنهي عن المنكر لأجل مرضاة بعض الناس أو خجلاً منهم.

قال ﷺ : «والَّذي نفســي بيــدِه لتأمُرُنَّ بالمعــروفِ ولتنهَوُنَّ عن المنكرِ أو ليوشِــكَنَّ اللهُ يبعثُ عليكــم عذابًا منه ثمَّ تدعونه فلا يستجيبُ لكم» - رواه المنذري في الترغيب والترهيب.

ولا يصح أن نتمادى ونعتدي على الآخرين بحجة الإصلاح، إلا عند الضرورة، ولكن بالحكمة والموعظة والحســنة والمجادلة بالتي هي أحسن، خاصة الأقارب.

الحلم والأناة

قــال النبي ﷺ لِأَشَــجِّ عبدِ القيسِ: «إنَّ فيـك خُلَّتَينِ يُحبُّهما اللهُ: الحلْمَ والأَناةَ.. » –رواه أبو داود وصححه شعيب الأرناؤوط.

خصلتان يحبهما الله ورســوله الحلــم والأناة. التأنّي في كل شــيء من دون اســتثناء ومن أراد الدقة والحنكــة فليتأن في جميع الاشياء كالقيادة، والطبخ، والحديث، والأكل، والقراءة، والصلاة، والعبــادة، والتعامــل، والتجــارة، والــزواج، والطــلاق، والتربية، والسفر، والتعاقد، والشــراء، والبيع، والرد على الناس، والعلاج، كلها جميعها تستلزم منا التّأنّي ومن تأنّى تألّق.

لماذا نتأنى في حين أن العَجول ينجز عمله ومتطلباته أســرع منــا بمراحــل؟ لأن ليــس كل إنجازٍ يخلّــف إنجــازاً، العجول قد يســتعجل في الطلاق فيدمر نفسه وأســرته ويندم، أيضاً القيادة إما تخلّف حادثاً أو مخالفــة، أيضاً التعاقد إما أن يُخلّف ندماً أو عبثاً، وكذلك أيضاَ الزواج والتربية، خلق الله تعالى الدنيا في ستة أيام وهو القادر سبحانه على خلقها بكلمة (كن) فتكون، ولكن درساً وعبرةً

لنا نحن البشر، قال عز وجل: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة:4].

بعـد التأني فـإن عزمت فتـوكل على الله ولا تتـردد وترجع وتتأنـى ثم تتـردد فتدخل في دوامة تفسـد الأمـور ولا تصلحها. التأنـي المفرط عن حده يعود بالضرر لا بالنفع، لا يصح إلا التأني المعتـدل دون إفراط ولا تفريط، تأني ثم مشـورة ثم اسـتخارة ثم عزيمـة وإنجاز، وقد جاء في المعانـي عن معنى التردد: (يَتَرَدَّدُ فِي أُمُورِهِ وَلاَ يَثْبُتُ عَلَى رَأْيٍ: يَتَرَجَّح، يَتَرَاجَعُ)، الحكمة تقتضي علينا التوفيق بين التأني والعجلة.

بعـض المواقف لا تحتـاج لتأني مطلقاً لأنهـا معتمدة على السرعة والقرار السـريع، مثل: فعل الخيرات والصدقة والعبادات وصلة الأرحام، والضيافة، وإغاثة الملهوف، والزواج من الشريك الصالح، وبر الوالدين، والبيع والشـراء، والتجارة، وطلب العلم، كذلـك الفـرص النادرة التـي قد لا تتكـرر، ولكلٍ موقفـه ومقاله وحيثياته، قال تعالى عن المؤمنين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:61]، من جهـة أخرى علينا أحياناً أخـذ الأمور بتروي وتأني مثـال ذلك: الفقير السـائل قبل أعطائه

المال نسأل ونطّلع على حاله لعلنا ننفعه ونعلمه الإصطياد بدلاً من إعطاءه الصيد وهكذا..

فالتأني أو المسارعة في (اتخاذ القرارات الصحيحة) تحتاجان لذخيرة علمية من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وسنة الصحابة الكرام، حينها سنتمكن من اتخاذ القرارات في الوقت والزمان المناسبين مع الإنسان المناسب، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة:2].

وَيُزَكِّيهِم: أي يطهرهم من الشرك.

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ: القرآن الكريم.

وَالْحكْمة: السنة النبوية الشريفة، من أفعال وأقوال وتصرفات ومعاملات وقرارات خير البشر ﷺ .

التأني في الحوار والنقاش والتربية، يعكس ثقة الإنسان بنفسه وقوة شخصيته من خلال تحكمه بنفسه، مما يتيح فرصاً كبرى في تحديد المراد وتوصيل الفكرة، كما يفتح المجال للطرف الآخر

للتصحيح الخطأ والتعديل، فثمار هذه الطرق جزيلة عظيمة تحقق نسـب نجاح عاليـة، وأغلب الناجحيـن يتمتعون بأسـاليب بليغة وبارعة في التعبيـر والحوار والتربية، بعكس من يشـتاطون غضباً فـي حواراتهم أو تربيتهم، مثال ذلك تربية الأطفال، فأبرز الأضرار الصحية عليهم والنفسية وفقاً لدراسة طبية: الاكتئاب + آلام مزمنة في الجسم + اضطرابات في النوم + تشوش + ضعف في الشخصية + ضعـف في اتخاذ القرارات ولنا في هذه الآية الكريمة عبرة، قال سـبحانه وتعالى: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه:43-44].

العناد والإصرار

للعناد ايجابيات وسلبيات، تصيب مره وتخطئ أخرى، وقد يكون العناد صلابـة وقوة إن كان على الحق ويكون حمقاً وضعفاً خاصـة إن كان يوافق الهـوى والمزاج ويعارض الديـن والعلماء والمسـلمين، لا ريب بـأن المُصر المُطالِبَ بالحـق أحق ان يُتبع، ومن حقه ان يدافع ويبقى على اصراره دون استسـلام، نحن اليوم نكتب عـن هذا الموضوع أتـم الله عز وجل النصـر المبين لعباده المسـتضعفين في الشـام على عدوه وعدوهم آل الأسد النصيرية المجرمين وحلفائه من الإيرانية والحشد الشعبي العراقي والشيعة اللبنانية، وسـنتكلم بعون الله لاحقاً كيـف نالوا نصر الله بفضل الله وحده لا غير، (8/ 12/ 2024م).

العنـاد يطـرد الأحباب وأهـل الحق من حولنـا إن كنا نتجه عكـس الحق والصـواب، وهذا للأسـف سـيقودنا للباطل وأهله فنصبح من المغضوب عليهم كاليهـود الذين يعاندون الانبياء ولا يطيعـون إلا أنفسـهم وهواهم وشـهواتهم، لهذا لعنهـم الله تعالى

ولعن من شابههم وتخلق بأخلاقهم، والعناد والإصرار يصبحان استكباراً وإجراما يعاقب عليهما يوم القيامة.

قال الله تعالى عن الذين عاندوا واستكبروا على الرسل والحق: ﴿ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [يونس:75].

العناد يولد إما لضعف الثقة وقلة الحنكة والخبرة وضعف الإيمان، وإما بدوافع عنصرية وقومية ودنيوية، وكلاهما أسباب الخراب والدمار في المعمورة، واليهود كفرت بالرسول ﷺ لأنه كان أمياً وليس يهودياً من بينهم، فهم أهل علم وكتاب وتاريخ، فكيف ينصاعون لأمي وقومه كانوا يعبدون الأصنام والأوثان.

وهذا ما حدث مع فرعون الملك القوي فقد تكبر على سيدنا موسى عليه السلام لأن قوم موسى كانوا فقراء بسطاء من الطبقة العاملة الكادحة، فالعناد والإصرار يختلفان في المواقف ولكنهما يولدان الإستكبار والإجرام، فاليهود قاتلوا وحاربوا نبينا ﷺ وكذلك فرعون استكباره جعله يسفك ويقتل ويحارب قوم موسى عليه السلام .

المعاند الذي يتمتع بالعلم والايمان والكتاب والسنة ويقتدي بالصحابة والتابعين ويعتبر بقصص الأولين من الأمم والسيرة النبوية وحياة الصحابة الكرام سيكون بعون الله على خير،

وليس الخير يعني المال أو الأملاك، بل الخير هو الإتجاه والطريق الصحيحان، مع ذلك لا يكفيان إن لم يكن معهما الصواب والإخلاص، قال الفضيل بن عياض: (أن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً؛ والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة) - مناهج السنة.

فمن عاند بعدها ولديه هذه الأسلحة فلا يتراجع بل يقاوم برفق ولين وجد وعزيمة إلى أخر رمق وإن أصبح غريباً بين الناس، قال الله العزيز العليم: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ [النمل:79].

عناد الزوجة أكثر ما يسبب الطلاق، الرجل بطبعه عنيد وعنيف وجاد مع التباين بين رجل واخر، والذي يفتقده الحضن الرفيق والكلام الرقيق والحب العميق، هنا تتجلى مقولة، وراء كل رجل عظيم امرأة، وعناد الإناث سببه الغالب الضعف في التعبير عن المراد والمقصود، فنجد دمعها يسبق لفظها، ويغلب صمتها بيانها، تتلعثم الحروف لرقتها ولطفها، وما ذلك إلا لنشأتها الرقيقة اللطيفة بين أهلها بعكس الرجل.

وسبحان من ذكر ذلك في كتابه الكريم: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ﴾ [الزخرف:18]، ولا نقول هذه حجة للمرأة على أن تعاند، ولكن لكي تتعلم وتنضبط وتسعى للأفضل، وليعلم الرجل أيضاً ماهيتهن.

لا ننسى أن الدفاع عن النفس وعن الغير لهما مواطن ضرورية وواجبة لا بد منها إن فُرضت علينا، قال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ﴾ [النساء:75]، هذا ما حدث في سوريا، بين أهل السنة وبين النظام السوري النصيري، الذي كان يمنع أهل السنة من الصلاة والصيام أثناء الخدمة العسكرية الإلزامية، ويمنع الصلاة في المدارس والجامعات والمؤسسات الحكومية، ويحارب النقاب، والخمار، واللحية، ولاحق العلماء وأخرج أكثر من 80٪ منهم خارج البلاد.

وقد كانوا يسجلون أسماء رواد المساجد، على وجه الخصوص رواد صلاة الفجر، ليتم سجنهم وترهيبهم لاحقاً، ونشر سبّ الذات الإلهية في السجون والمعسكرات، وكان ينفذ اعتقالات عشوائية، للنساء، والأطفال، عوائل، شيوخ، شباب.

ومن كان يعارضهم أو يتكلم يسجن دون محاكمة أو يقتل.

وهـو الذي تخلى عـن الأراضي الجولانيـة لليهود دون أي أدنى معارضة وقتال، فاليهود لم يواجهوا من هذا النظام أي تهديد، الحدود كانت آمنة تماما طيلة فترة حكمهم.

عدا أن عائلة الأسـد ليست مسـلمة، ولا يجوز لغير المسلم السنّي أن يحكم دولة سنيّة عريقة مثل الشام، وقد استمر أهل السنة في معارضتهم ومعارضة حزبهم، حزب البعث العربي الإشتراكي الملحد أكثر من 60 عاماً، وقد اسـتمر حكم نظام الأسـد البربري 54 عامـاً كانت حصيلة حقبة المجرم حافظ الأسـد أكثر من 100 ألف شهيد سوري + 260 ألف معتقل + 40 ألف مفقود.

أما حقبة ولده المجرم السـفاك بشـار الأسـد: 1500000 مليـون ونصف المليون شـهيد + 500 ألف معتقـل + 250 ألف مفقود.

وهـذا كله عدا تدميـر 70٪ من المدن والقرى السـورية، + تهجير 12 مليون لاجئ لدول الجوار والعالم – المرصد السوري لحقوق الإنسان.

والمعاند هو الذي يصر إصراراً قبيحاً على سـبيله وأسـلوبه الضـار نتيجته الهلاك والخسـارة، لأنه يضع نفسـه اتجـاه الموج

والريح، علماً أن الضرر سيلحقه وسيصيبه ولو بعد حين، خاصة إن كان ظاناً أنها من الكبرياء والحق، ولكنها في الحقيقة جهل وسوء أخلاق، والمصيبة من يعاند الإسلام ويعادي شرائعه وعلومه وعلماءه، ويطعن بالكتب والأحاديث والقوانين والفتاوى ثم يظن أنه على الحق والصواب. قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ﴾ [فاطر:8]، اللهم هداك نسأل، اهدنا الصراط المستقيم.

إن صادفنا عنيداً شرساً مؤذياً ليس علينا إلا تجنب التصادم اللفظي والجسدي معه، لأنه قد يضر نفسه وغيره عناداً وإصراراً على الأذى، وليعلم بأن شر الناس من اتقاه الناس لأجل شره، فهذه الصفات السيئة لا تمت للرجولة والشجاعة بصلة.

قال ﷺ : «إنَّ شر النَّاسِ عِندَ اللَّهِ مَنزِلَةً يومَ القِيامة مَن تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شرهِ» - حديث صحيح رواه البخاري.

وكثير من الأحيان إن دفعنا بالتي هي أحسن نلنا الخير وإن تعاملنا برقي تجاوزنا الأزمة برمتها.

قال تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف:89].

أذكر إني رأيت إنســاناً مقاتلاً شرساً صاحب جوائز عالمية، وله شــهرة واسعة، وكان في أحد المطاعم، ثم حدثت إشكالية ما، فجاء أحدهم وأراد الإعتداء عليه، فما كان من المقاتل الشرس، إلا السكوت والسكون والتغافل، ثم زاد واعتذر.. لأنه يعلم قيمة نفسه جيداً، ولن يلوث يداه في مالا نفع فيه..

العنيد الغضوب لا أصحاب حقيقيين له، لأنه لا يســمع ولا يرى ولا يقبل ان يســمع إلا من قلة قليلة تغشّه وتمشي على هواه، قلة قليلة من خلفه تســتغله لمصالح وضرورات مؤقتة، وإن درسنا احوالــه لوجدنــاه يتراجع على أصعــدة عديدة علميــة واجتماعية واخلاقية ونفســية، ولوجدناه أيضاً يخوّن الجميع ويطعن بالجميع معجباً بنفســه وهــواه ورأيه، عافانــا الله.، وهناك أنــاس مع مرور الزمــن تخلى عنهــم الجميع لهذه الأســباب، تتغشــاهم الوحدة، انفض الناس من حولهــم، نحزن عليهم، ولكنهم يعتبرون الوحدة انتصاراً وراحة، ولكن الحقيقة الوحدة ستســبب أمراضاً كثيرة منها الاكتئاب، وقد سماها الأطباء في عصرنا: (وباء الوحدة).

معظم البلاوي والمشاكل والمحاكم سببها العناد والإصرار، طلاق، وقتال، وقتل وتعدي، وشــراكة، وظلم،...علما هذه طبيعة بشــرية وحلها التروي وإعادة التفكير ومخالفة الشيطان والغضب

والإعتذار والصلـح، والغالب على هذه القضايا أن الجاني الظالم لـم يتراجع ولم يتواضع، عانـد وأصر، لماذا؟ لأنـه يظن أنه على الحق والصواب، ولماذا لا يعيد الحسابات ويعفو ويصفح وينصاع للحق! ببسـاطة لا يرضى أن يظهـر مهزوما جانياً أمام أحد، خاصة أن كان خصمـه المظلوم ليس بقوته وتدبيره. قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [البقرة:190].

العناد في الدين من أشـنع الأخـلاق، فمنهم من يكون محقاً ولكنه لا يرى ولا ينصاع إلا لما يرى، فيصبح كالخوارج يكفّر ويقتل ويهـدم، ومنهم من يكون كالشـيعة، عناد علـى المحاربة ورفض الصلـح والإصـلاح مع الإصرار علـى نبش الماضـي وخلافاته، فأفسدوا العباد والبلاد والتاريخ والأن يفسدون المستقبل، وهكذا اليهود والنصارى وباقي الملل، من المحتمل أنهم تمسكوا ببعض النقاط ولكنهم رفضوا التراجع للحق والإنصياع له، ليقلبوا الأمور وتصبح هذه النقاط قبيحة وباطلة بسبب عنادهم وظلمهم.

قـال تعالى: ﴿ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَـةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَـتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَـقُّ وَظَهَرَ أَمۡـرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَـٰرِهُـونَ ﴾ [التوبة:48]، وكذلك حدث مع قوم نوح فقد اصروا على العناد والتكبر.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارًا ﴾ [نوح:7]، ستقول كيف النجاة والتمييز إذاً؟

نقول بالعلم وبالعلماء والدعاء وترجيح العقل والمنطق لا العصبية والعناد، وهنا دعاءٌ عظيمٌ جداً، كان يدعوه خير الناس محمد رسول الله ﷺ : «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وإسرافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأرضِ، عَالِمَ الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنتَ تَحكُمُ بينَ عِبَادِكَ فِيما كَانُوا فيه يَختَلِفُونَ، اهدِنِي لِما اختُلِفَ فيه مِنَ الحقِّ بإذنِكَ؛ إنَّكَ تَهدِي مَن تَشَاءُ إلى صراطٍ مُستَقِيمٍ» - حديث صحيح رواه الإمام مسلم.

القوة والحكمة تكمنا في معاكسة العناد والإنصياع للحق وأهله، والتسليم، دون تردد مثل ما حدث مع سحرة فرعون، قال تعالى: ﴿ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ [طه:70].

لقد آمنوا وخلعوا الكفر وأهله في لحظة، فنحن نقبل كلمة الحق من الصغير، والعدو، والمجنون، والفقير، والمتسول، والعاصي... فالحق أبلج والباطل لجج، وقد كان سيدنا عمر بن الخطاب عنيد الفكر حاد الطبع قوي الرأي والشخصية وسفير قريش

في الجاهلية، فصيح اللســان شجاع ومتين البنان، وقد أصر وعاند لسـنوات على محاربة النبي ﷺ وصحبه في مكة المكرمة، إلى أن راجع نفســه وتراجع للحق وتواضع وسلم أمره لله العزيز الكريم، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات:40-41].

قوة القلب والشجاعة

«المؤمنُ القـويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ مـن المؤمنِ الضعيفِ وفي كلٍ خيرٌ» - رواه الإمام مسلم.

قوة القلـب في جميـع المواطن مثمـرة لصاحبهـا والناس والبـلاد والأحياء، خاصة إن كانت ضمن دائـرة الحق ورضى الله تعالى ورسـوله، وما عدا ذلك فنزعات شـيطانية تضـر ولا تنفع، وقـد وصف الله عز وجل الرجال في كتابـه لأن الرجولة لها أهلها وأهلها يعلمون مواطن القوة والبسـالة وأوقاتها، قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلا ﴾ [الأحزاب:23].

قوة القلب مطلوبة في أغلب جوانب الحياة، كالأمر بالمعروف والنهي عـن المنكر، وكلمة الحق، ونصـرة المظلوم على الظالم، ومنع الظالم من الظلم، لأن تركنا لذلك سـيعود سـلباً علينا وعلى الآخرين، أيضاً: الزواج، والطلاق، والشـراكة، والسفر، والتجارة وهكـذا.. لأن ضعيف القلب سـيتردد فـي قراراتـه وتحركاته ثم

تذهب الفرصة في مهب الرياح، هنا سيضيع العمر والفرص، لأنها أخيراً هي قرارات علينا التشجع في اتخاذها، وقد قيل:

إِذا هَبَّت رِياحُكَ فَاِغتَنِمها
فَعُقبى كُلُّ خافِقَةٍ سُكونُ

- علي رضي الله عنه .

هل قوة القلب تتعلق بالشجاعة والتهور؟ قوة القلب مصدرها القلب والقلب يتحرك وفقاً لما عودناه وعلمناه من علم وحكمة وخبرة وإيمان وإخلاص وجميع ذلك كما بينا في كتاب الله الحكيم وسنة نبيه الكريم ﷺ ومسيرة الأصحاب رضي الله عنهم ومن تبعهم من نخبة الناس والمفكرين والعقلاء والنبلاء، حينها نستطيع أخذ القرارات السريعة بشجاعة ويقين حين يلزم الأمر، لأننا تسلحنا وتنورنا بأكرم التعاليم وأغلاها، قال الله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور:35]، بنور الله تتمايز الأشياء وأضدادها، بين الصحيح وغير الصحيح بين الحلال والحرام بين الحق والباطل بين الظلم والعدل.

قوة القلب لا تنافي الإستخارة والإستشارة إن وجد الوقت، لانهما دواعم متينة يستند عليهما أولوا الألباب للمضي قدما بحزم

وثبـات ويقين، نحتاجهما لأجل ارتباطـات وتعاقدات وتعاملات نجهـل أصحابها ونجهل نتائجها، بغض النظر عن كوننا مسـلحين ونظن بأنفسنا الخير والرشد، والرغبة النفسية لا تطوي ذلك أيضاً، ولا ننسى أنهما سنة النبي العدنان صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى:38].

عَن جابِـرِ بنِ عَبدِ اللَّهِ رضى الله عنهما قَـالَ: (كَانَ النَّبِىُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسـتِخَارَةَ فِى الأُمُورِ كُلِّهَا كَالسُّـورَةِ مِنَ الْقُرآنِ) – حديث صحيح رواه الإمام البخاري.

نتأسـف ونحزن عندما نرى قوي القلب الشجاع يضع نفسه في غير محله ومستواه،، يخسر أكثر ما يربح، يغامر بنفسه وحياته، وكم من أناس فقدوا في فرص لا جدوى فيها، لأنها لا تعتبر فرصاً بالأصـل، مثل: تحديات التهور، تجارات رقمية وأسـهم أضاعت ماله ومسـتقبله، سباقات، حتى العمال في المباني والمصانع منهم من لا يتبع تعاليم السـلامة فيمـوت أو يصاب بإعاقة دائمة ليصبح مقعداً عاطلاً عافانا الله جميعاً، كذلك من يقود سـيارته دون وضع حزام الأمان والإلتزام بالسرعة المحددة، فالنأخذ كل الإحتياطات بحكمـة وتأنـي حتى في سـاحة الحـرب، نحتمي جيـداً ونحمي

أجسادنا بالملابس المناسبة، كذلك الأطباء والممرضون يلتزمون الزي الطبي الواقي المناسب.

فالحرص واجب والنفس عزيزة، كان هناك انساناً جميلاً من عائلة كريمة، مصاب، لديه رعشـة قوية لا تفارقه، السبب! حادث سيارة بسبب السرعة الزائدة.

قوة القلب والشجاعة تحتاجان الحكمة لقيادتهما في المكان والزمـان الصحيحين، فـإن دخل الغـرور ألحق الدمـار والهلاك وأعمى صاحبه عن الحـق والصواب، والغرور أين ما كان لا يأتي بخيـر، كالعابـد المغرور، يظن أنه داخل الجنة لا محالة، فتشـجع على التكفير او الظلم والفسق والمعاصي، أو المسلم الذي لا يعبد الله ولا يصلـي، انغر برحمة الله فتشـجع على ارتـكاب المعاصي واقتراف الكبائر، وكذلـك مانع الزكاة، والحاج الذي يحج بالمال الحرام، وكذلك الساعي للإعتداء والقتل والسرقة وهو ينوي التوبة بعدها.. قال تعالى: ﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [فاطر:5].

مجاهـدون أقوياء شـجعان ذو بأس يحملون سـجلاً حافلاً بالانتصـارات، وخبرة في المعارك، وعدة وعدد، وهم أتقياء أنقياء وشـرفاء وعلى الحق راسـخين، وعلى رأس ذلـك كله يصحبهم

رســول الله ﷺ المؤيــد من الســماء، ولكــن قد أصابهــم **العُجب** لكثرتهــم، فانهزموا عندمــا باغتهم العدو إلا رســول الله ﷺ وثلة قليلــة، ثم عــادوا ونصرهم الله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة:25].

هنــاك دومــا اســتثناءات، مثــل المعــارك المفصليــة، فــلا ســبيل للتردد أو الحيطة أحيانــاً لأنها تحتاج بســالة تفوق المنطق والعقــل والعادة، أيضاً البذل والجــود، لهما مواضعهما وأوقاتهما وحالاتهمــا، ولا يمكــن التردد والمماطلة، لأنهمــا برهانا الإيمان والكــرم والتوكل على الله، وكذلك الفرص الوظيفية، لا يمكن في حالات تأجيلها لأنها قد لا تعود، هؤلاء الأمثلة وغيرها يستصعب علينا الإســتخارة والإستشــارة لأنهم نتاج الســاعة تلزم منا الحزم والعزم.

الغنى والغني

«لَـو أَنَّ لِابنِ آدَمَ وَادِيَينِ مِن مالٍ، لَتَمَنَّى وَادِيًا ثَالِثًا، وَلَا يَملَأُ جَـوفَ ابـنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، ثُمَّ يَتُـوبُ اللَّهُ عَلَى مَـن تَابَ» –رواه الإمام البخاري.

المـال يغني عـن الخلق ويعـز النفس عن الذل والسـؤال، ويقرب البعيد ويسهّل الصِعاب، وهو سيف ذو حدين يضر وينفع، ينفـع أن بـذل وأعطى وأغنـى العباد وكفهم عن السـؤال وخاصة الأقربـاء، ويضر إن منع وبخل واسـتغل المال في البغي والعدوان ومعصية الله ورسوله.

مـا حصّله الغني من جاه وسـلطان سـيولد تدريجيـاً الأنفة والتكبر، أغلب الأغنياء ذو أمراض نفسـية ودينية وعلل لا يعلمها إلا الله لا دواء لهـا إلا الفقـر او القبر، فالغني ذو الماضي والنشـأة الجاهلـة القاسـية الظالمة السـوداء لن يؤمن مطلقـاً بالأخلاق أو الرحمة او بأن الله هو المعطي الرزّاق، سنجده معولاً هداما للأمة، يأمر بالبغي والطغيان وشـر الأعمال ويعادي المسلمين والإسلام،

سنجد لكل زمان وعائلة وبلدة قارونها، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ [القصص:76].

الغني يجلب أرذل أصناف الناس حوله، لذلك نجد دائماً حول الأغنياء منافقين وأشراراً وعبدة المال والمادة، غايتهم العلو والسلطة والجاه والتسلط والشهوات وزيادة الأموال وتكديسيها وحمايتها، همهم الدنيا وتحصيلها والاستمتاع به والخوض في عالمها غير المنتهي، كما نجد للأسف بعض الأغنياء من دون أصدقاء وأحباب حقيقيين يحوطونهم، بل ثلة استغلاليّة مادية تحوم حولهم كالذباب على العسل عدا أن اغلبهم يدعي الإخلاص والمحبة والصدق تجاه الغني، ومع مرور الأيام يفسدون العسل، ويوم القيامة يعادون بعضهم البعض، قال الله تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:67].

للغنى ضريبة تضر ولا تسر تؤذي ولا ترضي، لان طريق الغنى محفوف بالشهوات والأطماع، قضية لا تنتهي يصعب حلها او انهاؤها، منافسة ليس لها خط نهاية بين الحاقدين والطامعين يلهثون وراء المال والشهوات، ما أن يجدوا سبيلاً حتى ينقضوا عليها انقضاض الجائع العطش، وقد وصف الله عز وجل الإنسان

بأنه يحب الأموال والخيرات بشدة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات:8].

الغني لا شك سيجد الفقراء والمساكين تقصده وتسأله وتلح عليـه، وهذا لا بد منه، فهل نتذمر أو نضجر؟ وهل نصدق روايات أصدقائنـا الذين يطعنون بمصداقية الفقـراء؟ لا يصح طبعاً تعميم بعض الفقراء وغشّـهم على الجميع، وجعلها ذريعة لإهمالهم، بل رعايتهم من أولى الأولويات، وبالإمكان الأخذ بالأسـباب وتعين الصالحين أصحاب الخبرة والبصيرة لسد حاجاتهم بعد التمحيص عنهم دون المبالغـة والتنفير، أحياناً قد يضيـع الوقت ويتضررون ويزيـدون ألحاحاً، وفي النهاية لن يتبين عندنا صدقهم من كذبهم، وقد قيل: الأصل في الإنســان البراءة والسلامة، فلا نمنع الإحسان والصدقـات لأجل بعض الأوهام والظنـون، قال الله الغني الكريم جل جلاله: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [القصص:77].

الغنــى فرصة لا تعوض نكســب بها رضى الله تعالى وقلوب الناس، من أقـارب وأباعد وغرباء وجيـران وزملاء، لأن النعم لا تدوم، ومن عرف الله في الســراء عرفه الله في الضراء، ومن شـتت نفســه وأضاع حياتــه عبثاً وصد الخير وأمســك، وتمتع في أملاكه

ومقتنياته وأعماله في سبيل نفسه لا غير، وجد نفسه في الآخرة لا زاد له وعند الناس لا أحباب له، على الغني شكر الله تعالى والتواضع ثم التواضع، فالناس حول المعمورة تموت جوعاً وعطشاً وغما وسجناً وتهاجر وتغترب إلا الأغنياء في نعيم وراحة فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان للعباد لتدوم النعمة وتستطيل.، وقد قابلت أحدهم سجن 13 عاماً لأسباب مالية، خرج وهو ابن 35 سنة، لم يتزوج بعد، لم يأسس شيئاً، وقد تشوه اسمه وتعطل مستقبله، وإن أراد الزواج امتنعوا لأجل ماضيه، علماً أن سمته طيبة ومن حفظة كتاب الله، ولكن الديون والغرماء لا يرحمان.

وقد كان من دعاء النبي ﷺ عند النوم: «....اقضِ عَنَّا الدَّينَ، وَأَغنِنَا مِنَ الفَقرِ» - رواه الإمام مسلم. اللهم آمين.

حقيقة علمية واقتصادية، الأمراء الأغنياء والقادة والمسؤولون والتجار يعتاشون على أكتاف الناس من تحتهم، فلولا العمال والشعب لما كان لهم ما كان من الأموال والسلطان والأملاك وسبل الراحة، ومن عاكس وعارض ذلك فاليذهب بنفسه بعيداً عن الناس إلى البرية ليسكن ويعيش فيها ويرى هل سينال ما كان يناله وهو بينهم.

ومصداق ذلك قول الصادق المصدوق ﷺ : «ابغوني الضُّعفاءَ، فإنَّما تُرزقونَ وتُنصرونَ بضعفائِكُم» - صحيح أبي داود.

فالغني وغالب الناس يأتيهم النصر والرزق من خلال الضعفاء.

وجاء في الأثر: «لولا عبادٌ للهِ رُكَّعٌ، وصبيةٌ رُضَّعٌ، وبهائمٌ رُتَّعٌ، لصُبَّ عليكم العذابَ صبًّا، ثم لرُضَّ رضًّا» - رواه البيهقي في السنن الكبرى، وقال: إسناده غير قوي.

دوام الحال من المحال، فالثراء والمال قد يزولا يوما ما، لأسباب عديدة وغير متوقعة، قد تأتي كوارث وعواصف لا ترحم ولا تبقي الأثر، وقد حدثت زلازل في سوريا وتركيا والمغرب مخيفة أخذت قرى بأكملها، اللهم سلم سلم، وقد يغزونا عدو فنهرب بأنفسنا ونترك أموالنا خلفنا، وأذكر حالة لأحد الأحباب في محافظة إدلب، وقد باغتتهم الطائرات الأسدية الروسية قصفاً وتدميراً، حتى اضطروا للخروح من المنزل على وجه السرعة ولم يأخذوا حتى أموالهم وتوجهوا إلى منطقة أخرى لعدة أيام، وقالوا لي: النفس عزيزة.... وقد يتسلط علينا رجل من الدولة لا يخاف الله فينا كما كان ضباط وعناصر النظام الأسدي، كانوا ضد الشعب

وليس في خدمته، فيسجننا في حين غرة دون تهمة محددة ولا يعلم لنا مكان، فنموت همّاً وغمّاً.

وكان من دعاء رسول الله ﷺ: «...ولا تسلط علينا من لا يرحمُنا» – رواه الإمام السيوطي.

تحقيق الغنى على أكتاف وجهود الشركاء وغيرهم ثم المكر بهم لأجل الانفراد بالخير كله عن طريق سحب البساط من تحتهم مع إبعادهم وطردهم أو إلزاق التهم الباطلة لهم، لا ريب سيجلب الويلات والحسرات والندم ولو بعد حين، لأنها من أفعال الخونة، والخائن سيقتله وسيهدمه كيده وطمعه وسيقع في شر أعماله، لأنها سنة الله في الظالمين، ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الأعراف:186]، عدا أنها بصمة عار ستلاحقه حياً وميتاً ويرثها أبنائه من بعده، وقد قيل: (والذنب لا يُنسى).

بالغنى يستطيع الغني كسب العلوم له ولأهله والناس ويستطيع سداد ديون العباد وفك السجناء، يستطيع جمع العروسين وسترهِما، ويستطيع الإصلاح بين الناس بالهدايا والعطايا، ويستطيع بناء مراكز التعليم لتعليم الناس الإسلام والعدل والبيوع والأدب ونشر

التوحيد، ويستطيع إطعام الجائعين خاصة في الشتاء، ويستطيع بناء مراكز التدريب والتأهيل للعاطلين والمعاقين، وبناء المشافي والصيدليات لعلاج الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام، وبناء مراكز تتبنى الاستثمارات والأفكار الناشئة والجديدة لتطوير الناس ونمو الاقتصاد، ويستطيع نصر الأمة بشراء المعدات والأجهزة ليتعلم رجالها الفنون والصنائع والقتال.

قال رسول الله ﷺ : «يا عمرُو، نِعمَ المالُ الصَّالح للمَرءِ الصَّالح» - رواه البيهقي والحاكم.

الغني الجواد الكريم، الذي يقوم على أسرته ووالديه وعائلته وأقاربه وشعبه وقبيلته، يسعى على مأكلهم ومشربهم ومسكنهم، فهذا لن تنفك عنه البركات والطيبات بإذن الله تعالى، قال ربنا عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:274]، والنعم بذلك تتسع وتتبارك، إني لأعلم أحد الأغنياء ينفق ليلاً ونهاراً دون كلل وملل دون شروط وتعقيدات، حتى على زوجة أبيه المتوفاة، وعلى زوجة جده الثانية الى أن ماتت، مع وجود أبنائها، وليس ملزماً، ينفق على القاصي والداني،

ولا أجده إلا في زيادة وإتساع تبارك الله، كان من الفقراء ولكن ذو معروف وإحسان وصلاة، فزاده الله من فضله.

من أشنع الشخصيات التي قد تمر على الناس هو الغني الشجع، الذي لا يشبع ولا يهنئ، لسان حاله يقول: هل من مزيد! منهم من يترك الفتات ومنهم لا يترك شيئاً، وكثير من الأغنياء يمنعون الماعون وينشرون الربا في تجاراتهم، لا يقبلون تسليف الناس ولا يصبرون عليهم، يسجنونهم أو يربونهم.

قال الإمام مالك:

(كَانَ الرِّبَا فِي الْجاهِلِيَّةِ أَن يَكُونَ لِلرَّجُلِ عَلَى الرَّجُلِ الْحقُّ إِلَى أَجَلٍ فَإِذَا حلَّ الْأَجَلُ قَالَ: أَتقضي أَم تُربِي؟ فَإِن قَضَى أَخَذَ وَإِلَّا زَادَهُ فِي حقِّهِ وَأَخَّرَ عَنهُ فِي الْأَجَلِ) – موقع سؤال وجواب.

عدا أخذ المشاريع الحكومية وغيرها بالرشاوي والهدايا، واحتكار البضائع، ورفع الأسعار، والتكبر والإستعلاء، ومنهم الذي يملك عصابة أو محامين متخصصين في محاربة الخصوم والضعفاء، وقلب الحقائق، وأخذ الأشياء بالقوة أو بالقانون ولكن التفافاً.

قال تعالى: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة:62].

ومن الأمثلة الكريمة عن بعض الأغنياء: وقف بئر رومة.

أكثر من 1400 سنة مرت على شراء الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه لبئر رومة شمال غربي المسجد النبوي في المدينة المنورة، ولا تزال البئر حتى يومنا هذا تروي سكان المدينة بمائها، وتسقي نخيلهم وأشجارهم، وهو وقفٌ لسائر المسلمين إلى يوم القيامة، «ما ضر عثمانَ ما عمل بعد اليومِ» – حسنه الألباني.

الفقر

هل الفقر حالة مرضية مستعصية؟ أم حالة مرضية لا علاج لها؟ أم حالة طبيعية تصيب الجميع، وقد صابت الأنبياء والأمم والصحابة والقادة والصالحين والأخيار وحتى الأشرار؟ لا شك أنها حالة تأتي وتذهب، ونتمنى ذهابها دون رجعة، وهناك مقولة منسوبة الى سيدنا علي رضي الله عنه أنه قال: (لو كان الفقر رجلاً لقتلته).

يمكننا قتل الفقر باللإلتجاء إلى من بيده الخير كله، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، إليه يرجع الأمر كله، لا إله إلا هو ولا معطي سواه، الذي أعطى الناس والملوك والتجار والأغنياء، وجعل الأنبياء أنبياء، الذي يعطي ويمنع، ويذل ويرفع، الواحد القوي الرزاق، فلا نلتفت إلى من سواه، وليس هذا الكلام بجديد علينا، وليس علينا الإقتناع فحسب، بل علينا أن نستنشقه استنشاق الغريق للهواء.

هل طلب العلم يفيد الفقير؟ لا نقول على طالب العلم أن يصبح عالماً، أو يقطع عمله لأجل العلم، بل يتعلم أساسيات

الحياة في ميزان القرآن والسنة النبوية وفهم الصحابة والتابعين، لكي يُخرج نفسه من الظلمات إلى النور، فالعلم نور وضياء، ولكي يخرج من عيشة وحياة الفقر إلى الإكتفاء والقوة، ولا يرضى أن يمر يوماً لا يزداد فيه علماً لأن نتيجة العلم دائماً قوة وغنى وتمكين وصعود وقيادة بعون الله، ومن هذا العلم الكريم الأدعية النبوية للنبي ﷺ عن الفقر: «اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بك من الفقرِ والقِلَّةِ والذِّلَّةِ، وأعوذُ بك من أن أظلِمَ أو أن أُظلَمَ» - رواه الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء.

أختنا الفقيرة المسكينة عليها أن تعلم أن أهل الاستغلال والفواحش والحرام كثر، ولن يتوانوا عن شرائك يا فتاة واستغلالك واستعبادك بالمال والمغريات إن إلتمسوا ضعفك وحاجتك وقلة صبرك وفقرك وضعف إيمانك خاصة إن علموا لا سند لك ولا ناصراً، ليس عليك أختاه إلا الأعراض عنهم، وطلب العفة بالملبس والنظرة والكلمة، لكي لا يرى الفجار أدنى نقاط ضعفك فيرسموا عليها خبائثهم ومكايدهم عليك، قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق:2-3].

أذكر قصص عديدة، منها أن شابة اختلفت مع أهلها، فغادرت المنزل تحسب أن مشاهد التلفاز كالواقع، ذهبت لأحد زملائها، بعد انعدام الصديقات، فاستقبلها في منزله في أعلى البناء بكل لهفة وشوق، ولم تمر إلا بضع ساعات، حتى انقض عليها يريدها عن نفسها، فأبت وقاتلت وقاتلت إلى أن لازت بالفرار ثم أدركها مسرعاً بكل قوة وشراسة فلم تجد إلا أن ترمي نفسها فسقطت وماتت رحمها الله، وعفا عنها لأنها ارتكتب العديد من الأخطاء وأهلكت نفسها بنفسها، إياك يا أختاه مغادرة المنزل أو الإلتجاء لأحد حتى الصديقات، فلن ينفع الندم بعدها.

بعض الفقراء يستعجلون رزقهم فتضيق أنفسهم عن الصبر والتفكر والعلم، فيضع ابليس شباكه عليهم ليأمرهم بالسرقة والنهب والقتل والسطو والحرام، فنجد أناساً كرام النسب كرام الأصل كرام المنبت في تدهور وضياع وفشل، فمن عاجله ابليس وعاجلته نفسه الأمارة بالسوء على تلك المظالم فليستعجل بالتعوذ بالله ومناجاة الله وتلاوة كتابه الكريم ومجالسة شيخاً أو انساناً صالحاً يشاوره في حاله وضعفه، والحذر من مشاورة الصحبة الفاشلة السيئة، ومن تصبر صبّرهُ الله ومن استغنى أغناه الله سبحانه وتعالى.

قال العليم الخبير الكريم: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [لقمان:34].

بعض الرؤوساء والوزراء والتجار والأغنياء يأكلون نصيب الشعب والناس ظلما وعدواناً، ويجندوهم كأحجار الشطرنج لغاياتهم ومآربهم ومكاسبهم، ويشترون الناس ويستغلونهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾ [التوبة:34]، فلا نعين هؤلاء على الظلم والعدوان ثم نتحجج بالحاجة والضعف، لأن ذلك لن يشفع له عند الله القوي المنتقم، فالإعانة لا تكون إلا على البر والتقوى، وطلب العلم الشرعي والدنيوي ومشاورة أهل العلم فريضة على كل مسلم، لكي نميز بين الخير والشر، بين أهل الضلال وأهل الحق والصدق، لا نركن ونخضع لمالهم ولا لسلطانهم مهما كانت العوائد نفيسة، واعلم بأنك تختبر من الله تعالى، فهو يسمعك ويراك، ولن يدوم الغنى بيسر وسلامة إن أعنت الظلمة وكنت من زبانيتهم، ولن ينفعك الكذب على الناس ولا على نفسك ولا مقولة: انا عبد لا حول لي ولا قوة! لأن هذه الحجة ساقطة قانوناً وشرعاً.

قال جل جلاله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [هود:18-19].

إطلاق البصر على أطيب الأكلات وأجمل الملابس والسيارات ومشاهدة القصور ومتابعة الأغنياء.. سيولد الحسرة وسيصبح الهم هما والألم ألما والفقر فقراً، نفسياً سنتأزم دون أن نشعر، وقد نكفر بالنعم عوضاً عن شكرها، علما أننا نعيش بخير وستر وسعادة بفضل الله، ولكن بعض النفوس لا ترى إلا المفقود، والأولى غض الطرف عن ملذات الحياة الغير منتهية، لأن البصر مفتاح الشهوات ومولد الرغبات، ولنا في هذه الآية الكريمة العبرة والعظة، قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ١٣١ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه:131-132].

وقد شاهدنا البعض مؤخراً أصبح يكثر من الشكوى والقلة ويكثر من الطلبات والحسرات، وهذا ليس من عوائدهم ولا من طبائعهم، ولكن هناك مؤثرات توثر سلباً من حيث لا ندري على أسلوبهم وسلوكهم، وبعد حين، وجدوا أنها مواقع التواصل،

صفحـات وأناس وقنـوات وأصحاب وزمـلاء يتابعونها سـريعاً ولكنها تحمل أضراراً جسيمة تزداد مع المتابعة تدريجياً.

لا أعارضكم بأن الحياة شـاقة، والحاجات والحقوق كثيرة، وأن الغلاء معانة، والمطالب لا تتوقف، وحسبنا الله ونعم الوكيل، كلنا نمر في أزامات، وتصيبنا المصائب، ونحتاج ونقترض ونقضي ونغرم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، كلنا يطمع أن يعيش حياة رغيدة كريمة، ولكن الحياة خلقت وخلقنا لنختبر فيها بالسـراء والضراء، في السراء أن نشكر ونعطي وننفع من حولنا ونجتنب الحرام، وفي الضراء أن نصبر ونشـكر ونجتنب الحرام، مرت علينا أياما قاسـية جـداً من جوع ومرض ومذلة وتعب وهجرة وبكاء وحزن وظلم.. ولكن هل نخسر فوق ذلك كرامتنا وسمعتنا وشرفنا وشرف آبائنا، لأجل الحياة، أم نعيش في عزة نفس وكرامة ونكون نبراساً للآخرين من أقاربنا والمسـلمين! طبعاً لـن ننحني إلا لله الواحد القهار، وما هي وصية خير الناس في ذلك، ما العمل يا رسـول الله، قال ﷺ : «لَأَن يَحتَطِبَ أَحدُكُم حزمة علَى ظَهرِهِ، خَيرٌ له مِن أَن يَسـأَلَ أَحدًا فيُعطِيَهُ أَو يَمنَعَهُ» – حديث صحيح رواه الإمام البخاري.

لَأَن تذهـب للبريـة وتجلـب الحطب وتضعـه على ظهرك وتعود ادراجك وتدخل السوق وتسعى لبيعه خيرٌ لك من أن تسأل

الناس، عندما ترزع هذا فيك، مع الأيام ستجد حلاوتها، وستجد الناس تأتي إليك لتقف معك لأنك كنت مع الله فالله سخرها لك.

سؤال الناس المال قد يتحول لعادة سيئة تنمي الطمع بشدة وتعود النفس على البطالة والكسب الحرام، وهناك قصة تقول: بأن هناك عائلة طلبت من عائلة قاتل ابنها الدية، ولكن طالبوهم بجمعها عن طريق التسول حصراً لا غير أو القصاص، وبعد الموافقة، استمر جمع الدية لأربع سنوات تقريباً، وبعد اكتمالها عن طريق التسول ودفعها لعائلة القتيل، تفاجا الناس بإستمرار العائلة الميسورة بالتسول، لأنها أصبحت عادة ومهنة، وهذه كانت غاية عائلة القتيل، إذلال عائلة القاتل. حتى أن النبي ﷺ أوصى بالعفة وحفظ ماء الوجه وتجنب سؤال الناس المال إلا مالم يكن بالإلحاح ولا السؤال، عن حكيم بن حزام رضي الله عنه ، قال: سأَلْتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فأعطاني ثمَّ سأَلْتُه فأعطاني ثمَّ قال: «إنَّ هذا المالَ حلْوةٌ خضرةٌ فمَن أخَذه بطِيبِ نفسٍ بورك له فيه ومَن أخَذه بإشرافِ نفسٍ له لم يُبارَكْ له فيه وكان كالَّذي يأكُلُ ولا يشبَعُ واليدُ العليا خيرٌ مِن اليدِ السُّفلى» - صحيح ابن حبان.

دواء الفقر من طرق مجربة ومضمونة ولكن لنيل الخير ونجاحها بعون الله تعالى نحتاج لإلتزام ومثابرة: أولها: صلة

الأرحام القريبة ثم البعيدة بشكل دائم غير منقطع، والسعي على حوائجهم وإن كنت محتاجا، ثانياً: الصلاة على وقتها جماعة، ثالثاً: الأدعية خاصة أذكار الصباح والمساء مع التسابيح، رابعاً: بر الوالدين قولاً وفعلاً، خامساً: التصدق يومياً أو أسبوعياً ولو بشق تمرة الأولوية للأقارب، سادساً: تجنب اقتراف الكبائر ، سابعاً: فعل الخيرات للعباد والبلاد، ثامناً: رد الحقوق للناس وتجنب الظلم، تاسعاً: الإجتهاد في العمل بصدق وأمانة، عاشراً: التسليم لأمر الله وعدم القنوط أو اليأس أو التذمر والمقارنة، قال ربنا ذو الجلال والإكرام: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل:5-10].

الدنيا

الله سبحانه يعطي الدنيا للمسـلم الصالح أو الطالح ويعطيها أيضـاً للكفار الذيـن يكفرون به ويقولون عليـه الأقاويل، تعالى الله عمـا يقولون علواً كبيراً، فالدنيا لهم جميعـاً دار اختبار والاخرة دار حساب، ومهما عمّروها وصنعوا بها من مصانع ومدن ووسائل راحة وقوة وانتشار.. فلن تغني عنهم شيئاً يوم القيامة، كالطالب الجامعي يدخـل الجامعة ليزيّنهـا وينظّفها ويطوّرها ولكن من دون دراسـة، ستشـكر له صنيعه طبعاً إدارة الجامعـة ولكنها حتما لن تنجحه في الإمتحانات إلا إذا درس ونجح، ولنا في هذه الآية كل العظة.

قـال الله عز وجـل: ﴿مَن كَانَ يُرِيـدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَـا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُـونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [هود:15-16]. والحل: أن تستقيم وتعمرها.

منكـم من يريد الدنيا ومنكم مـن يريد الآخرة، نجد هذا بين الأزواج والأحبـاب والإخـوان والمجاهدين والقـادة والملوك،

طريقان لا ثالث لهما، طريق الآخرة له اعتباراته وميزانه وتضحياته وعالمه وأنصاره، كذلك الدنيا. والموفق من وفقه الله تعالى وجمعهما معاً لأجل هدف واحد وهي الآخرة، والمخذول من باع الآخرة الباقية الثمينة لأجل دنيا فانية رخيصة لا تعدل عند الله تعالى جناح بعوضة.

عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدُّنيا تعدِلُ عند اللهِ جناح بعوضةٍ ما سقَى كافرًا منها شربةَ ماءٍ» - حديث حسن رواه المنذري.

لا نقول أن نترك الدنيا كلياً بل نسدد ونقارب، نريدهما معاً بتوازن وفاعلية، وإن حدث أن نختار بينهما بين الحرام والحلال سنختار الحلال لأنه الطريق الى الدار الآخرة.

الدنيا ومبانيها وشوارعها وغاباتها وسماؤها وأرضها ونباتها وماؤها وناسها وملذاتها وجبالها وسهولها وقصورها وزينتها وطيبتاها وذهبها وألماسها وبحارها وأنهارها تأخذ بألباب الناس، فمنهم من لا يصبر على ذلك كله فنراه يسرح ويمرح في الدنيا ويسعى جاهداً لتحصيل ملذاتها كلها بشتى الوسائل دون مراعاة للمبادئ ولا النواهي، ولو على أكتاف الناس وأوجاعهم وآهاتهم،

ولو على تدمير سـمعته وآخرته وتقطيع أرحامـه، ولو على الظلم والقمع والتجبر والتكبر والقتل والدماء والإجرام.

قـال تعالـى: ﴿ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ﴾ [الأحقاف:20]، ومنهم من يستمتع بجميع المذكور ولكـن بالمعروف وبالحلال بخير وللخير.

صاحب الدنيا سيرزقه الله نفوذاً وأملاكاً وبسطة في الجسم والعلم، وليس ذلك لحب الله له، لأن الدنيا وخيراتها ليستا للمؤمن دون الكافـر أو الفاسـق أو المنافق، قال تعالـى: ﴿ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [النور:38].

الكثيـر من أعـداء الله عز وجل أصحاب ثـروات هائلة مثل اليهود، وحتى الغرب يعيشـون في تـرف ورخاء، ولكنهم بعيدون عـن الله تعالـى، بعيـدون حتى عـن النصرانيـة وتعاليمهـا، وعن الكنائس، والإلحاد يفتك بهم فتكاً، أصبحوا أصحاب مبادئ مادية شـهوانية، يدورون حول الرّحـى، لا يـرون إلا المصالح والمادة والمقابل، يرون الدنيا بنور المال، بعكس الإسـلام والمسـلمين،

أصحاب رسـالة يرون الدنيا بنور الله سبحانه، قال تعالى: ﴿ يَهۡدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَـآءُۚ ﴾ [النور:35]، يستصعب بيعهم أو شراؤهم أو استغلالهم، لا يبيعون آخرتهم لأجل الدنيا وزينتها، وإن تنازلوا وضلوا لا بد أن ينتبهوا ويعودوا يوماً ما.

الحيـاة ليسـت متجر ألعاب وليسـت نادياً رياضياً وليسـت شـركة تجارية بل هي حياة متكاملة، علـم وزراعة وصناعة وانتاج ودراسة وإحسان وبر ومعروف وزواج وأسرة وصلة أرحام وجهاد واحسـان وسـلام وعبادة وإيمان، والمخزي مـن يترنح بين تلك المتاع ثم يطعن ويرمي أهل الجهاد والتقى والعلم والشرفاء.

قـال الله العليم الخبير: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَـادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِـدِينَ ﴾ [القصص:77]، لنتمعـن في هـذه الآية ونرددها، لأنها كافية شـافية وجامعة، الأمة تحتاج لرجال يساندون ضعافها وينصرون مظلوميها ويقفون بوجه ظالميها ويواسون فقيرها ويتيمها.

قبل 100 عام لم نكن موجودين على هذه المعمورة، بل كان هناك أقوام اخرون، عاشوا وعملوا وكتبوا واكلوا وشربوا وتقاتلوا

وتصالحوا وماتوا.. وقد استمتع بالدنيا من استمتع، وخسر من خسر، وفاتت الفرصة على من فاتته، لا رجعة لا استغفار ولا إصلاح، وبعد 100 عام لن نكون هنا أيضاً، ولكن اليوم والأن وفي هذه اللحظة يمكننا أن نأخذ قراراً جاداً ونغير ونتغير، ونعوض الفائت بلاحق مُشرفٍ، نبادر قبل فوات الآوان، لأن التسويف والتأجيل من مكايد الشيطان، يغر العبد إلى أن يفوته ليس القطار فحسب بل الدنيا كلها.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[المؤمنون:99-100].

يستحيل أن تخضع الدنيا لإنسان مهما كان شريراً كافراً سفاحاً عنيداً جباراً ومهما طالت سطوته واتسعت دائرة نفوذه وتحالفاته، لا يمكن للظلم والظلام أن يحجبا ضياء الشمس والحق، فالغلبة للأقوى، فالحق مؤيدٌ من الله القوي القهار، الروم وفارس والتتار وغيرهم أفناهم الله تعالى برجال مؤمنين أقوياء أشداء، عرفوا وعانوا الظلم فحاربوا الظالم وظلمه، علموا أن العاقبة لهم في الدنيا ولهم عند الله حسن ثواب الآخرة.

قال خالق الأكوان: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ۝٣٦ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:36-37]، فكيف لك أن تقف مع الظالم وتحارب الله في أرضه، ألم تقرأ الكتب وتسمع الأخبار، وتراجع قصص الجبابرة والطغاة كيف هوت وعُذبت وتلاشت، وكيف لك أن تستسلم للظلم، كيف لك أن تظن ولو ظناً أن الله يرضى بذلك.. معاذ الله، ولكننا في اختبارات لينال ظالمها جهنم ولينال مظلومها جنة الخلد.

قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ۝١٠٥ إِنَّ فِى هَـٰذَا لَبَلَـٰغًا لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:105-106].

التنازل عن مبادئ وتعاليم الإسلام القويم لأجل متاع الدنيا من وظيفة أو زواج، وصداقة، وموضة، وشهرة، ومال، وشهوة، وفواحش، أو مجارة العصر والغرب أو للانتصار على فلان وفلانة، تعكس تضعضع عقلية المتنازل، لأن الأقوياء ذوو الشخصيات الكريمة متمسكون بأنفسهم على كل المذكور وعلى المستحدثات الطارئة، والطوارئ قطعاً لا تنتهي، يعلمون أن مبادئهم صحيحة لا غبار عليها ولن تباع أو تتبدل إلا لله الواحد القهار، وبائعها

المتنازل أضاع نفســه وأهله وأوضح للناس بأنه من الشــخصيات المتقلبة الدائرة مع المصالح والشهوات الرخيصة..

وقد رأينا أناسـاً كانت متماسكة متألقة انخدعت بمتاع الدنيا حتـى فقدت هيبتها ودينها وسـمعتها، حتـى أن المتاع لم تدم لهم طويلاً.

ومـن **الأمثلة الحقيقـة**: تنازل لأجل زوجته ثم بعد سـنوات انفصــلا. مثال اخــر: لأجل إرضاء صاحب العمل سـعى في غش العملاء والكذب والرشـاوي، ثـم تخلوا عنه بعد سـنوات. مثال اخر: لأجل أن يثبت أن الدين يسر، سعى جاهلاً في تميع وتهميش بعض آيات الله وسـنة رسـوله مع تأييد الفلاسـفة الضالين، ليجد نفســه في ضلال بعيـد. مثال أخر: بعـد اغترابه في بـلاد الغرب، سـعى للإندماج ولكنه واجه انتقادات أن الإسـلام دين الإرهاب، فلم يحســن الدفاع ووقع في فخ الحيرة والوساوس، فألحد وكفر بالله، عافانا الله. مثال أخر: داعية يريد اثبات بعض المسائل الفقهية والعلميـة، جوبه بالتقريع، فرد بقسـوة وتشـنيع، حتى أصبح يكفر بعـض علماء السـلف الأجـلاء ويجعلهم في النـار، والعياذ بالله. مثـال أخر: لأجل اكفاء حوائج زوجتـه وأبنائه أصبح يأكل الحرام ويطعمهم حراماً، ثم عند أول هبوط مادي، خسر قيمته أمامهم.

لا يمكننا أن ننكر جمال الدنيا وفتنها المتعاقبة على أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا ونفوسنا، لا نكاد نجاري التطور السريع، وسبل الراحة التي لا تكاد تعد ولا تحصى تنتشر في كل مكان، ولا الأسواق المضيئة ولا المباني المبهرة، أو السيارات والطائرات والسفن والقطارات والدراجات والهواتف والألبسة والأجهزة والأثاث، ولا الحدائق ولا المطاعم الفاخرة ولا الأطعمة المتنوعة اللذيذة.. جاء هذا العصر وبيده حقيبة متنوعة لامعة ساحرة سحرت أعين الناس.. لا أقول لا نلتفت أبداً، بل نسعى أن نواكب هذا العصر بتروي وحكمة ومروءة، لكيلا نفقد أنفسنا وكرامتنا وأطفالنا كما يفعل الغربيون الذين يعيشون حالة من التخبط والمادية البشعة، ويسعون للسعادة بإستهلاك كل الإمكانيات المتاحة بالفجور والخيانات والفواحش والحفلات والمخدرات...ثم نجدهم ندامى في اكتئاب ووحدة.

عن شَدَّاد بن أَوسٍ ﵁ قال ﷺ : يا شدَّادُ بنُ أوسٍ! إذا رأيتَ النَّاسَ قد اكتنزوا الذَّهبَ والفضَّةَ؛ فاكنِز هؤلاء الكلماتِ: اللَّهمَّ، إنِّي أسألُك الثَّباتَ في الأمرِ، والعزيمة على الرُّشدِ، وأسألُك موجِباتِ رحمتِك، وعزائمَ مغفرتِك، وأسألُك شُكرَ نعمتِك، وحسنَ عبادتِك، وأسألُك قلبًا سليما، ولسانًا صادقًا، وأسألُك من

خيرِ ما تعلَمُ، وأعوذُ بك من شر ما تعلَمُ، وأستغفرُك لما تعلَمُ؛ إنَّك أنت علَّامُ الغيوبِ» - حسنه الألباني.

إن وجدنا أنفسنا نخرج عن جادة الطاعات والعبادات والإحسان للعباد والبلاد،، أوقاتنا جلها تدور في فلك الكماليات الدنيوية والمادية والعملية، فما علينا إلا التوقف إعادة النظر، والتفكير ملياً عن مدى العمق الذي نغرق فيه، ولنعلم أننا نستخدم رزق الله في غير مرضاة الله، نحن لم نُخلق فقط للإستهلاك والنوم والعمل والزيارات... فالدنيا أكبر من ذلك.. ولا نغتر بالنمط الغربي كثيراً، لأنهم يعملون ويعيشون كالآلات وتخنقهم الوحدة والمادية، وليس كل من ملك الأملاك والأموال ذو سعادة وتوفيق، أو أنه على الحق المبين، قال رسول الله ﷺ : «...وَإِنَّ اللَّهَ عز وَجَلَّ يُعطِي الدُّنيَا مَن يُحبُّ وَمَن لا يُحبُّ وَلا يُعطِي الدِّينَ إِلا لِمَن أَحبَّ فَمَن أَعطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ فَقَد أَحبَّهُ» - رواه الإمام أحمد.

الرغبات والشهوات

نشـتهي الظهـور والتميز وجـذب الأنظار ولكن (الشـهرة) تُذهب الإخلاص وتغذي الرياء وتشـتت الأفـكار وتكثّر الأعداء والحسـاد، لنجد أنفسـنا بعد حين في مركبٍ جميـلٍ لا راحة فيه، يخـوض بنا فـي رحلة طويلة شـاقة ومتعبة، لها إيجابيـات دنيوية وسـلبياتها أكثر، أغلب المشـاهير الجدد بعد سـنوات سيفتقدون الخصوصيـة، ويشـطاطون غضبـاً مـن المراسـلين والصحفيين، الذيـن يتعـدون علـى أدق تفاصيـل حياتهـم، وللإنسـان ولأهل بيتـه خصوصيات وأسـرار لا يحبها أن تشـاع وتظهـر بين الناس، ليصبحوا على لسـان كل انسـان، وتكثر الإنتقادات والهمز واللمز والشـتم واللعن، كما أن بعض المشـاهير، أصبحوا يتجولون ليلاً حصراً كاللصوص، ولا يسـتمتعون بالأماكـن العامة، ولا يميزون بيـن المحب والمعجـب والصديق والعدو، فجميعهـم متهافتون ومعجبـون ولنا في هذا الحوار العبرة: عن عامرِ بنِ سـعدٍ أَنَّ أخاهُ عمـرَ أتى إلى سـعدٍ في غنمٍ لـهُ خارجا منَ المدينةِ فلما رآهُ سـعدٌ قال: أعوذُ باللَّهِ من شـر هذا الرَّاكبِ، فلما أتاهُ قال: يا أبَه، أرضيتَ

أن تكــونَ أعرابيًّا في غنمِك والنَّاسُ يتَنازعونَ في الملكِ بالمدينةِ، فضربَ سعدٌ صدرَ عُمرَ وقالَ: اسكت، إنِّي سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقــولُ: «إنَّ اللَّهَ يحبُّ العبدَ التَّقيَّ الغنيَّ الخفيَّ» - رواه البيهقي في شعب الإيمان، والغنيَّ: يعني غني النفس عن الناس.

(العين بوابة القلب)، كما قال الإمام القرطبي رحمه الله.

وأغلب المشاكل والحوادث سببها العين، كما قال الشاعر:

كــل الــحـــوادث مــبــدأهــا الــنـظـر
ومـعـظـم الــنــار مــن مستصغر الـشـرر
كـــم نــظــرة فـعـلــت فــي صـاحـبـهـا
فـعـل الــســهــام بــلا قـــوس ولا وتــر

بوابــة الدنيا وشــهواتها تُغلــق بغض البصر، خاصة النســاء، لأنهــن يقعــن فــي شــباك الشــهوات ســريعاً، لرقتهــن وضعفهن وطيبتهن، لذلك نجد الحملات التسويقية تستهدف وتركز وترتكز على النســاء، وهي العنصر الأكثر اســتهلاكاً بنســبة تتعدى 70 ٪ وفقاً لدراســات واحصائيات، كيف نغض البصر عن الشــهوات؟ الحــل أن لا ننظر بتمعن وحرقة على الأشــياء مهمــا كانت جميلة وفريدة، ولا نشــغل تفكيرنا بها، نظرة خاطفة ونمضي برشد وعزة،

فلا أفضل من تجاهل الشـهوات وتناسيها وإبعادها بشتى الوسائل بالإضافة لتحويلها حلالاً ليباركها الله تعالى وينميها.

القناعة والرضا اعداء الشـهوات والرغبـات، لأن عز المرء بالقناعـة، وهل عـز أعز من القناعة، الشـهوات تضعف الإنسـان تجعلـه ذليـلاً لا عزيزاً خاصـة عندما نجد بعضنا للأسـف يتملق الآخر ويتذلل لتحقيق ما يتمناه ويحتاجه من شهوات دنيوية، وهل نحفـظ ماء وجهنا إن فقدناها أم ننذل لها وللناس لتحصيلها، أيهما أكـرم عند الله ثـم عند الناس، وقـد كان أجدادنـا ومازالوا ينامون جائعين لصيانة الشـرف والكرامة، والحـل أن نلوذ إلى جناب الله العزيـز الكريم، ونعلم أن الزرق بيده لا بيد فلان وفلانة، وأن نعيم الدنيا والآخرة لا يأتيا إلا بالله ومن الله.

قـال سـبحانه وتعالـى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران:14].

غالب ضياع العباد والبلاد بالشـهوات، شـهوة نكاح، شهوة طعام، شـهوة امتلاك، شهوة تجربة، شـهوة لباس، وتكرار التفكير

فيهــن يضعــف النفــس ليصرعها فتستســلم وتجــري لمهلكها ثم لتقتــرف الحرامات أو المكروهات أو الموبقات، وعلى هذا تدور الحيــاة، ولا ريب أن المحرك الاقتصادي الأول هو الشــهوة، لأن الرجل يتعلم ليكبر ويتوظف أو يتاجر ليكسب ويشتري المتطلبات ليجلب نصفــه الثاني (الزوجة المصونة) ليكملا الرحلة ســوياً ثم البنــون وهكــذا.. دائرة خلقهــا الله لنا ندور حولهــا وننجذب لها، فمنهــم من يقدم ويؤخــر ولا ضير، ومنهم من يســعى لها بالحرام والعدوان، ومهما اســتمتع فقد خاب وخسر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ومنهم من يفضل الوحدة ليعيش وحيداً لأســباب منها حتمية ومنها غير مقنعة، والخير كل الخير في اتباع سنة الحياة بحياء.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء:1].

أطفالنــا ســيكونون بعون الله فــي مأمن ونجــاح وكرامة إن تعلموا ضبط النفس وضبط الشهوات والرغبات، لأنهم لن يكونوا سلعة رخيصة بأيدي التجار أو أيدي المغتصبين الأشرار والظلمة، لنعلمهم عــزة النفس والغنى عن أشــياء وممتلــكات الناس مهما صغرت أو كبرت أو عظمت أو رخصت.

فالغنـى غنـى النفس، وهـذه التربية تحتاج لإرشـاد رشـيد وحكمة حكيمة لا لئيمة. قال الشاعر أبو العتاهية:

وَلَـيـسَ الـغِـنـى نَـشَـبٌ فـي يَـدٍ
وَلَـكِـن غِـنـى الـنَـفـسِ كُـلُّ الـغِـنـى

متاع الدنيا وسـيلة وجدت لنا لنعيش ونعمر الأرض بالعدل والتوحيد، وهي مباحة لا شك ولكنها غير دائمة وليست هي معنى الحياة الحقيقـة أو الغاية، فمن غرق في متاعها ضاع، وسـقط في الاختبار وخسر دون رجعة، ومن تحكم بها بحكمة واقتصاد ضمن نطاق المباحات وسـار على سبيل الأنبياء والصحابة الأخيار دون إفراط أو تفريط نجح وكسب الدنيا والآخرة بعون الله. قال تعالى: ﴿ تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَـنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك:1-2].

نطمح لا نطمع، لا نجعل الطموح طمعاً وجشـعاً، لا نجعل طموحنـا خنجراً نطعن به أصحاب الآمال مثلنا، لا نبني مسـتقبلنا علـى أوجاع الآخرين، لا نقول: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ [الأعراف:12]، كما قال إبليس، لا نقول أنا أحق منه، لا نقول همي نفسـي وأهلي والباقي إلى الجحيم! لا يصدر هذا إلا من شيطان رجيم..

لا شك نتمنى ونسأل الله الكريم، فما فاتنا قد يأتينا لاحقاً يوما ما في الوقت الصحيح والمكان الصحيح، وإن غاب واستحال فلا بأس، لا نجزع لا نسخط. قال مكون الأكوان: ﴿ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة:58-59].

لأجل شهوة ما قد يخسر الواحد منا حياته وآخرته، قد رأينا من اشتهى العيش الرغيد الوفير فسافر لبلد بعيد فمات في الطريق، ومنهم لأجل منصب ووظيفة اغضب الله تعالى، ومنهم لأجل رضا الرئيس أو المدير، أصبح من أهل الجحيم، ولأجل فتاة وقع في المحظور والكبائر، كذلك من النساء لأجل حفنة من طعام باعت عرضها وكرامتها لتصبح زانية عاصية، ومن النساء من جعلت جسدها جسراً لدخول عالم الفن، لنحذر فالأمثلة كثيرة ولجم الشهوات خيرٌ من الإنكباب عليها، وحفظ الكرامة وصيانة العرض والشرف مقدمٌ على المال والرغبات، لأن ذهاب الكرامة وضياع الشرف يصبحان وصمة عار دائمة، وحفظهما وصيانتهما بصمة فخر دائمة، قال جل جلاله: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [الحج:10].

الأمل

أملنـا بـالله تعالى، أملنـا برب النـاس، رب الأربـاب، رب السـموات والأرض، أملنا بـه لا غير، أملنـا إن التزمنـا وصبرنا بالنجاح والفلاح، وإن كافحنا بالغنى والعفاف وإن سـترنا أنفسـنا بالإيمان نلنا الخير ورضى الرحمن، أملنا إن شـكرناه سعِدنا، وإن حمدنـاه رُزقنا، وإن تصدقنا عُوِّضنـا، وإن مضينا بصلاح وإصلاح حمينا وعُوفينا، وإن وصلنا الأرحام قُلبت معيشتنا كرامة ونوراً.

أملنـا بالله تعالى أن نطيعه كما يريد فيرزقنا ما نريد وزيادة في الدارين، ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة:155].

ونحن لا نأمل بمخلوقٍ يأكل ويبول، يصح ويمرض، يخاف ويجزع، يغنـى ويفقر، أملنا بالله الواحد الأحد الفرد الصمد القهار الوهاب الجبار العظيم، هو المعطي المعز المذل.

قـال تعالى: ﴿لَيۡـسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّـمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشـورى:11]، إن طلبنـاه وجدناه، وإن سـقمنا عافانا، وإن متنا تلقانـا، وإن اسـتغفرناه غفر لنـا، فالأمل كل الأمل به سـبحانه لا شريك له.

أغلب من جعل أمله بالناس من سادة أو أولياء أو أطباء أو ملوك أو أقارب خاب ظنه وسعيه وماله، وهذا هو معنى التوحيد الذي جاء به الأنبياء العظماء، منع الناس عن الركون للظلمة والطغاة والأصنام والقبور والخزعبلات أو الطبيعة من نار وماء وهواء وجبال أو حيوانات أو أموال.

وهذا ما فعله وقاله أبو الأنبياء إبراهيم ﷺ لقومه: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الشعراء:75-83].

لا نربط آملنا بزوج ولا مدير أو رئيس ولا بدولة ولا بغني ولا بحركة اقتصادية ولا بصديق أو أخ أو ابن أو قريب ولا بطبيب ولا بشيخ، لأنهم في المحصلة بشر تَصيب وتخطئ، وتَنسى وتَحزن، وتَطمع وتَغضب، وتَطغى وتَخون، وتَمرض وتَموت، وتَغدر وتَكذب إلا من رحم ربي، لا نجعل آمالنا فيمن يقولون ما لا يفعلون، وقد قيل: (الأفعال أبلغ من الأقوال)، وعودهم كبعض

الغيوم كثيرة الرعود شحيحة المطر، وكم رأينا من رؤوساء وقادة، كانت تلقي الخطب الخلّابة وتزرع الأمل والسعادة في الشعوب، يعدون ويسحرون أعين الناس بالأحلام والوعود والواقع يكذبها بكل وضوح من قتل ونهب ومحاربة الإسلام والمسلمين وفقر وضرائب وعنصرية وتشريد وتهجير، ثم تعود وتلقي الخطب المنمقة، وتعود للقتل والنهب والطغيان، مثل فرعون هذا العصر بشار الأسد، كان يحارب اليهود بالأقوال ولكنه يقتل الشاميين تقتيلاً ويضعهم في قبور جماعية، دون محاكم أو حتى شهادة وفاة، وقد جعل أعزة أهلها أذلة.

نتأمل أحياناً ببعض الفرص تأملاً كبيراً ونصر عليها اصراراً وندور حولها رابطين نجاح الحياة معها، وما إن تذهب حتى نذهب معها وننكسر، ونفقد الأمل، حتى أن البعض قد يتوقف عن الأمل ليرفع راية الإستسلام، فهل نهن ونحزن ونستسلم؟ أم هل نفتح صفحة جديدة ونبدأ من أول السطر كاتبين الأهداف والخطط بثقة وتفاؤل؟ هل التفاؤل مندوبٌ إليه ومن هدي النبوة؟

عن أبي هريرة ﵁ قال: «كان رسول الله ﷺ يُعجبُهُ الفَألُ الحسَنُ، ويَكْرَهُ الطِّيرةَ» – صحيح ابن ماجه.

فمهما حدث من انكسـارات وخسـارات فسيعوضها الله عز وجـل ويجبرها قريباً.. لا تقلق، إلا الانكسـارات الدينية لا جبران لها، فانتبه.

قال أبو الفتح البستي:

وكُـــلُّ كَـسـر فـــإنَّ الله يَـجـبُـرُهُ

ومـا لِـكَـسـر قَـنـاةِ الـدِّيـنِ جُـبـرانُ

الأمـل بعـد الله تعالـى يكـون بالعمـل والجـد والإجتهاد والإسـتمرار مع التكرار، لا ما يفعله البعض من سـلبيات وتشاؤم ويأس وشـكوى، ليصبح كَلٌّ على المجتمع واهلـه، اينما يتجه لا يأتي بخير، وما ذلك إلا لتشـاؤمه وقلة صبـره وفقدان أمله وضيق نظره، ومثل هؤلاء لن يتقدموا في هذه الحياة، ولا ننسـى أن الأمل يصحبـه العمل كما أمرنـا الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَـيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُـولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:105]، وليس اجلسـوا وتكاسلوا وانتظروا وتشأموا وتلاوموا، بل أملاً وعملاً.

الأمـل ينتج إيجابيات، والإيجابيات تنتج أعمالاً، والأعمال تنتج نجاحاً ونمواً ثم غنى وقوة فكرية وعملية، الأمل أينما وضعناه أنبـت وأبهج، لا نسـتهين بالأمل في معالجـة المرضى الذي يؤثر

بنسبة 60٪ وفقاً لدراسات، ولا نستهين بالأمل مع السجين لأنه في حاجة ماسة للأمل والتفاؤل (ستصبح قريباً حراً طليقاً بإذن الله وستحقق كل الخطط والأحلام)، وهكذا مع الأرملة والمطلقة واليتيم والمشرد والمذنب والتائب والعاصي والعقيم والضرير، وقد أُجريت دراسات غربية كانت النتائج شديدة الوضوح بأنّ المشاركة في النشاطات والممارسات الدينية والروحانية (مثل الصلاة وقراءة القرآن والتأمل) دَوريّا هو أمرٌ مرتبطٌ جدّا بمؤشرات الصحة النفسية الإيجابية، وتحديداً تقليل فرص الاكتئاب والتدخين والإدمان، وزيادة احتمالات الشعور بالرضا والإيجابية، وقد قال الشاعر أبو العتاهية:

ولعلَّ ما تخشاهُ ليس بكائنٍ
ولعلَّ ما ترجوه سوف يكون

ولعل ما هونت ليس بهينٍ
ولعلّ ما شدّدت سوف يهون

لبعض الناس آمالٌ تكاد ان تكون أوهاماً، كالكسول المتواكل ينتظر فرصة العمر أن تأتي لمنزله، او كالعاطل عن العمل يبحث عن جواهر وأموال يجدها في الطرقات ولا يبحث عن وظيفة او

مهنة يقتــات منها، والاخر ينتظر امرأة حســناء ثرية يتزوجها لتنفق عليه، ومنهم من ينتظر الميراث، والمنتظر للدولة أن تؤمن له حياته واحتياجاته، والأخــر ينتظر اليانصيب ليربح ويصبــح ثرياً، (علما أن اليانصيب من القمــار المحرم)، ومنهم من ينتظر الهجرة لدولة ما، ويبقى منتظراً إما الســفر وإما القعود والســكون، والأخر يآمل أن يحفــظ القرآن وحياً من الله، دون عنــاء ومثابرة، والأعجب من يريد دخول الجنة بالأمانــي دون أن يتعلم الأوامر والنواهي ودون الصلاة والإلتزام ومخافة الله، قــال تعالى: ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴾ [النساء:123].

آمال أصبحت وباءً وشراً، كالشيعة ينتظرون خروج المهدي ليملــئ الأرض قســطاً وعــدلاً ولكنهم هــم أنفســهم يقتلون أهل السنة، ويستحلون دمائهم، وأرضهم وأعراضهم، عدا أنهم يطعنون بالقــرآن الكريــم، وزوجات النبــي ﷺ وأصحابه فكيــف يتأملون القســط والعدل وهم المفسدون ولكن لا يشعرون، هداهم الله من أفكار وضلال وكفانا شــرهم وكيدهم.، أيضــاً اليهود فقد احتلت فلســطين بالقتل والســرقة والبطش انتظاراً للمســيح أنه ســيجيء

ليعيد مجد إسـرائيل ويجمع أشـتات اليهود بفلسطين، والنصارى كذلك تنتظر المسـيح لينصرهم وسـيكون للدينونة إذ إنه سـيدين العالم أجمع، علما أنهم جميعهم يبنون آمالاً باطلة منكرة يتجهون لها بالظلم والباطـل والعدوان والقتل والنهـب، معتقدات باطلها 80٪ وصحيحهـا 20٪ ولكنهـم لا يعقلـون، بعكس أهل السـنة الذيـن يأمـرون بالمعروف ويقيمـون الصلاة وينهـون عن المنكر ولا يشـركون بالله شـيئاً ولا يقتلون النفس التي حرم الله وينتظرون المهدي والمسيح عيسى ابن مريم دون مبالغة وشطط وآمال زائفة منكرة ليحق الحـق وينصر المظلومين على المشـركين المعتدين الظالميـن، قال الرؤوف الرحيم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل:90].

العمـل

﴿ وَقُـلِ ٱعۡمَلُواْ ﴾ [التوبة:105]، وقال تعالـى: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُـونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُـونَ مِن فَضۡـلِ ٱللَّهِ وَءَاخَـرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَـبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾ [المزمـل:20]، ﴿ فَٱبۡتَغُـواْ عِنـدَ ٱللَّهِ ٱلـرِّزۡقَ ﴾ [العنكبـوت:17]، ﴿ فَـإِذَا قُضِيَـتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَـشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُـواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة:10]، كلهـا توصيات للمبادرة والعزيمة والأمل والحركة، فأخذها بركة وتركها حسرة.

إن الله خلق الأيدي لتعمل، قال سيدنا عمر رضي الله عنه: «إن الله خلق الأيدي لتعمل، فإذا لم تجد في طاعة عملاً التمسـت في المعصية أعمالاً، فاشـغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية» – العمل في الإسلام.

وَعَـن الْمِقدَام بْنِ مَعْدِيكَرِبَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «ما كَسَبَ الرَّجُلُ كَسبًا أَطيَبَ مِن عَمَلِ يَدِهِ» – صححه الألباني.

والمعنـى أكثره ربحـاً وبركة كالطبيـب والكاتب، والمعلم، الفـلّاح، الحـداد، النجـار، الجلاد، العطـار، الحـلاق، الصباغ،

الدباغ، الطباخ، القصاب، الرسام، النحات وعامل النظافة، وعمال البناء وعمال المصانع، والسائق.. الخ، كلها مهن مطلوبة بكثرة في كل مدينة وحي، عدا المهن الحديثة العصرية وكلها نافعة ســاترة، تحفظ ماء الوجه عن الســؤال والمذلة، فالمهن عديدة وكثيرة، من جد وجد ومن سار على الدرب وصل.

الاختراعــات الناجحــة النافعــة لم تختــرع بيــوم وليلة، بل ســنوات كانت نتاج تجارب طويلة متكــررة وعديدة، أصحابها لم يكلــوا أو يملوا ومع الأمل أوجدها الله لهم ثم انتشــرت وربحت، ومن الفشــل إلى النجاح (أحد أشــهر هؤلاء هو توماس إديسون، الذي يُنسب إليه اختراع جهاز إرسال الهاتف والمصباح الكهربائي والفونوغــراف المصنوع من الكربون. في الواقع، اســتغرق الأمر ألــف محاولة فاشــلة قبل أن يختــرع أول مصبــاح كهربائي). فلا نكل أو نمل أو نتشــاءم مهما فشلنا في أعمالنا ووظائفنا وتجاربنا، وكان من دعاء النبي ﷺ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجزِ وَالْكَسَــلِ، وَالْجُبنِ وَالْهَرَمِ والْبُخلِ... » – حديث صحيح رواه البخاري.

وكلمــا تعمقنا في الأعمال والمهن بشــتى المجالات زادت قيمتنــا وخبرتنــا وثقافتنا فالعمــل ينتج رجالاً وخبــراء، كما ينبغي تجربة صغار الأعمال وكبراها إن اســطعنا كســباً للخبرات فالتنوع

قوة، وفي نهاية المطاف بعد التجارب العديدة سنجد أنفسنا في مكاننا الصحيح، ولعلنا نحتاج هذه الخبرات يوماً ما، لإسلامنا، لأنفسنا، أبنائنا، جيراننا، وطننا...

ماذا يحتاج الناس والسوق؟ يحتاحون حسن الخلق، الأمانة، الإتقان، ومعرفة الحلال من الحرام، لكيلا نظلم الناس أو نأكل الربا أو نغش العباد.

قالَ أمير المؤمنين عمرُ رضي الله عنه : «لا يبيعُ في سوقِنا هذا إلَّا مَن تفقَّهَ في الدِّينِ» – رواه ابن كثير في مسند الفاروق رضي الله عنه .

وعلى كل صاحب مهنة ورب عمل التفقه بجوانب عمله كلها تفادياً لأكل أموال الناس بالباطل ظلما، والعلم لله الحمد الأن يتواجد بين أيدينا من كتب وفيديوهات.

كما يمكننا أيضاً استفتاء الكثير من العلماء الأجلاء عبر مواقعهم وصفحاتهم الإلكترونية، فلا عذر لإنسان خاصة في هذا العصر الحديث، كل ذلك يحمينا وأبنائنا من عواقب المال الحرام الذي يأخذ الإنسان وأهله، والذي يحجب الدعاء.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عن من يأكل الحرام ويدعو الله: «...يمدُّ يدَه إلى السَّماءِ يا ربِّ يا ربِّ ومطعمُه حرامٌ ومشربُه حرامٌ وملبسُه حرامٌ وغذِّيَ بالحرامِ فأنَّى يستجابُ لذلِك» – صحيح الترمذي.

كذلك يحتاجــون النصح عند المتاجرة، عَــن أَبِي هُرَيرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُــولُ اللهِ ﷺ: «خَيرُ الْكَســبِ، كَســبُ يَــدِ الْعَامِلِ إِذَا نَصَح» - الجامع الصحيح للسنن والمسانيد.

والنصح يكون من بدايــة التعامل إلى نهايته، وأرباب العمل النصحاء الكرماء مع عمالهم وعمالائهم يزدادون سطوعاً ونجاحاً، بعكس المخادع الشحيح كثير الحلف قليل المصداقية، يضيق على عماله ويدعي القلة والمصاريف ثم يسألهم أكمل العطاء والتفاني، كلاهمــا ينجحان في النهايــة، ولكن مع الأول البركــة والإزدهار والثاني الضيق والإنحصار.

وَعَن رفاعة بن رافع ﵁ َقال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ التُّجارَ يُبعثون يومَ القيامة فُجارًا؛ إلا من اتَّقى اللهَ، وبَرَّ وصدق» - صحيح الترغيب.

زرع الســمعة الحسنة في العمل بين الناس سيعود بالخيرات والبــركات على البائع والمشــتري وعلى العبــاد والبلاد بإذن الله، وســتدل الناس بعضها البعض على ذو الســمعة الحسنة، وسيعود هذا بالأرباح والنمو، قد قيل: (الســمعة الجيدة خير من الذهب)، فــرأس النجاح الصــدق والإخــلاص بغض الطرف عــن أوضاع

السوق والإقتصاد، كما يشتد طلب الصدق والإخلاص خاصة في الأزمات التي تعصف على الناس، عدا أن الإتقان في العمل وبذل غاية الجهد للناس يولدان مالا نتوقع من النجاح، لأن الناس تبحث وتسـعى دائما على البائع الأمين المتقن، كذلك التجار سـتتهافت أيضـاً في عرض مالها وجاهها لتشـارك الرجل الصحيح، وهذا ما حدث بين امراة غنية شريفة وبين رجل صادق أمين، فقد وصل إلى خديجـة رضي الله عنها خبر الصادق الأمين صلى الله عليه وسـلم وسـمعت من أخبار صدقه وأمانته الكثير ، فرغبت في أن تستأجره ليعمل لها في تجارتها، فأرسـلت له من يعرض عليه الأمر، فوافق النبي ﷺ على ذلك.

العمل لا يقوم إلا بتقديم أفضل الإمكانيات للناس وأجودها، كاملة متكاملة، لا نقدم إلا أكملها وأفضلها وأحسنها مهما تعبنا أو انشغلنا أو كنا على عجلة، بعضنا يقدم للعميل 80٪ من الخدمات ثم يقصـر في العشـرين الباقية مـلالاً أو تعباً أو انشـغالاً، فتضيع الثمانون ويضيـع الأمر كله، وهكذا جميع جوانـب الحياة تحتاج أن يكون آخرها أفضل من أولها، يكمن الفن والإتقان والإخلاص والأمانة في جودة العمل لتصبح ذائعة الصيت، وقد اشتهر السيف الشـامي الدمشقي في أرجاء الأرض لقوته وصلابته وحدته، وكان

مطلب القادة الصليبين وكان أشـهرها (الجوهر الدمشقي)، وهناك حادثـة خلدها التاريخ وهي اسـتلال صلاح الدين الأيوبي لسـيفه الدمشقي وقطع قضيبين من الحديد قائلاً: (إن سيف العرب حر لا يهان) - صحيفة البيان الإمارتية.

البيئـة العمليـة الصحيحة تولـد ناجحيـن ورواد أعمال، إن حالفنا سـوء الحظ بأناس كسـولة أصحاب كفاءة متدنية، شكواها يغلـب عملها، فالأجـدر الإبتعاد وقايةً من العدوى، لا يستحسـن بتاتاً أن نجالسـهم أو نسـتمد السـلبية منهم، فهم يـرون مالا نرى ورضـوا أن يكونوا ويبقوا هكذا، والإمكانيـات بين الناس تتباين، قد نكون ذو قـوة وبصيرة وحنكة ولكننا نتواجد ضمن بيئة محبطة ومحيط سـلبي، مع أننا نملك فكر ورسالة وأهداف كريمة، ولكننا لسنا في المكان الصحيح، وهذا تماما ما حدث مع النبي ﷺ حين لـم يجد من قومـه النصرة والدعـم والقبول، فهاجر إلـى المدينة المنورة واستقبلوه الأنصار ونصروه ﷺ .

قـال ﷺ : «اللهمَّ اغفِـر لِلأنصارِ، ولأبناءِ الأنصـارِ، ولِأبناءِ أبنـاءِ الأنصارِ» – صححه شـعيب الأرناؤوط في تخريج المسـند لشعيب. فالأنصار لهم علينا سابقة فضل إلى قيام الساعة.

الظـروف القاهـرة مثـل: الحـروب، الأوبئـة، الأزمـات الاقتصادية والسياسـية، الكوارث الطبيعية، المرض، تصعّب علينا الحيـاة والنجاح وقد تخطف منـا الآمال وتغير الأحوال وتشـدنا للأسفل وإلى الحفر، وهذا ما يحدث حول المعمورة لشتى الناس بغـض الطرف عـن الدين والخبرة والجنسـية والديانـة والمكان، فليس علينا إلا أن نستمر دون يأسٍ، كالطفل يحبو يحاول النهوض فيصطدم هنا وهناك ويتألم ولكنه يسـتمر، قال الشـاعر أبو القاسم الشابي:

ومـــن يـتـهـيـب صـعــود الـجـبـال

يـعـش أبـــد الـــدهــر بـيـن الـحـفـر

لأننا قد نكون قاب قوسين أو أدنى من النصر والنجاح ولكن ينقصنا الصبر والإيمان والشجاعة والتفاؤل لبلوغ القمم بعون الله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:3].

الأرحام

دول وشـركات عملاقـة نجحت وسـيطرت ونمت وقامت بسبب عائلات وأرحام مترابطة، ساندت بعضها البعض وتكاتفت فأفلحـت، لا يعني أنهـم لم يمـروا بخلافات وأزمـات، ولكنهم طووهـا ووضعوها جانباً ومروا عليها مرور الكرام، ومن يعود إلى الزمـان قليلاً يجد الكثير من الشـركات العالمية بنيت على دواعم عائلية، مثل: شـركة سامسـونج، شركة فورد للسـيارات، وشركة هونـداي، وشـركة مراعي السـعودية، وشـركة جرير السـعودية، وشـركة عبداللطيـف جميل تويوتا السـعودية، وشـركة مجموعة المنصور المصرية، شركة الحافظ للصناعة السورية.

علينا النظر الى أعالي الجبـال ومعالي الأمور، لأن الوقوف علـى صغائر الامور وسفاسـفها سـيجعلنا لاحقاً خلـف الركب، سـنكون خلف الناس سـنتراجع سنندم سـنتعب، فصغائر الأمور من خلافات ونزاعـات وخصومات تدخلنا في دوامة لا نجاة منها إلا بالقطيعة والفشـل، خاصة من يخاصـم ويفجر ولا يرضى ولا

يصالح، وقد قال رسول الله ﷺ : «أبغَضُ الرِّجالِ إلى اللَّهِ الألدُّ الخصِمُ» - صحيح الترمذي.

وكم من شركات كبرى كانت في رأس الهرم تمزقت لأجل خلافات عائلية، وكذلك ممالك حكمتها عائلات تلاشت وأكلها العدو، وهذا ما حدث في العصر العباسي، حين اختلفا الأمين والمؤمن على الخلافة، وكان ذلك بسبب تدخل شرار الناس ورمي الفتن بينهما، عفا الله عنهما، قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال:46].

الزواج والعمل والمشاركة والتعامل مع الأرحام يبقى وما يزال الطريق الأنسب الأربح للجميع، لأن المنافع والعوائد ستعود على الجميع، المصاعب والمصائب سيحملها ويساندها الجميع، عوضاً عن البركة ورضى الرحمن، وهذا ما تفعله القبائل، فهي تقوم تنافح عن بعضها البعض حين الأزمات، وتضرب بيد واحدة من حديد لكل من يعاديها، وهذا ما فعلته قبيلة تغلب وقبيلة بكر وهما أبناء عمومة، حين قاتلوا مملكة كندة، وقتلوا أحد سادتها لأنه طغى على امرأة تغلبية، وكذلك قامت الخلافة الأموية والعباسية والعثمانية والدولة الحمدانية الحلبية، عوائل ساندت بعضها بعضاً

في السراء والضراء، ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [الأنفال:75].

الأقــارب مــن النســب، كل من تصلنــا بهم صلة مــن الآباء والأمهــات، ثم الأباعد من الأقرباء، ثــم أصدقاء الآباء وصديقات الأمهات صلتهم ممدوحة في ديننا النفيس، «إن أبرَّ البرِّ صلةُ المرءِ أهلَ ودِّ أبيه بعد أن يوليَ» - صحيح أبي داود.

فالمسلم لا يترك قرابة قريبة أو بعيدة إلا وسأل عنها وتواصل معها، ولم نجد شــخصاً كان ودوداً إلا نفع وانتفع، إلا بارك الله به وبسط له في رزقه، وقد رأينا من يصل أقاربه كلهم القريب والبعيد، ويسارع في دعمهم والإنفاق عليهم، والسؤال عنهم، حتى أنه كان يدفع أجار منزل زوجة خاله الستينية المطلقة، التي لم يراها منذ 30 عاما تقريباً، ولكنه سمع أنها لا تملك أجار المنزل، وولدها مغتربٌ في الغرب، حتى أنه يعطي ويسعى في زواج شباب عائلته الذين لم يراهم ســابقاً إلا مرة أو مرتان بسبب الغربة، عدا الرواتب الشهرية التي يصرفها للأعمام والأخوال والخالات وأبنائهم، والغريب أنه لا يقــول: أين أبناءكــم، لماذا لا ينفقون عليكم؟ ولا يســأل كثيراً، بل يعطي ويصلهم، والرب سبحانه يعطيه جزيل العطايا، ﴿وَٱلَّذِينَ

يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد:21].

أرحامنا أولى الناس بنا في كل المجالات والخيرات لأنهم الأولى والأجدر دون منازع، ولهم علينا المساعدة والمساندة دون تفضل أو منة، العائلات المرموقة تجدها متكاتفة متواصلة، ومهما حدث من منغصات ومهاترات وضعف تبقى صلة الأرحام قائمة لا تنكسر، لأن يد الله مع الجماعة، والمسلم يعرف حق الأرحام وأنها من أجلّ الحقوق والطاعات، والإنسان لا يعادي نفسه، فالأرحام هم العصبة وعصب الحياة، وإن حدث ووجدنا ما يعكر صفوها من عدوان وظلم، فلا تأخذنا العزة بالإثم، لأن بعضنا من بعض، بل ندفع بالتي هي أحسن، وهذا ما قاله المقنع الشاعر العربي النبيل:

أراهم إلى نصري بِطاءً وإن هُم
دعوني إلى نصر أتيتُهم شدّا
فإن يأكلوا لحمي وفرتُ لحومهم
وإن يهدموا مجدي بنيتُ لهم مجدا

نتعجب لمن يبر ويصل أرحام زوجته دون كلل أو ملل، ويتباطئ عن صلة رحمه ويهجرهم هجر اللئام، الأغرب من ذلك

كيـف أن الزوجـة ترى لنفســها ما لا تــراه لزوجهــا ورحمه، فهي تبادر لصلة أرحامها، وتتكاســل عن صلـة أرحامه، لعلها واجهت بعض الإنتقادات لذلك تراجعت، أو شـعرت بالوحدة، وكل ذلك ليســت بإعذار منطقية، كما لا يجوز أن تعين الشيطان على زوجها وتأمر بالمنكر والقطيعـة، بإمكانها أن تمتنع عن الذهاب إن دعت الضــرورة، ولكن لا تمنع زوجها وأبنائها عــن زيارة أهله وأقاربه، بــل تعينه وتنصحه وتذكره، وتذكر أبنائهــا أيضاً، وإني واللهِ لأعلم أنساناً يبر أهل زوجته، ويستضيفهم، ويسعى على حوائجهم، ومن جهة أخرى، زوجته لا تبر أهله ولا تسعى عليهم، ولا تريده إلا لها ولأهلهــا، وأبنائهما بالكاد يتعرفـون على أقارب والدهم، قال ﷺ : «مَن أَحبَّ أن يُبسَــطَ له في رزقِه ، وأن يُنسَــأَ له في أَثَرِهِ ، فَلْيَصِل رَحمَه» - صحيح الجامع للألباني.

مــن يعادي الأرحــام ويرى أن الأقارب عقــارب، فهذا يرى النــاس بعين طبعه، لأنه ســيء الظن لا يرى إلا المذنب لا يرى الا الظلام والفشــل وان مر بتجارب ســيئة فهذا لا يعني شمل الجميع ولومهم، ومن خاب وخسر من تجربة ما فليعد الكرة بحذر واتقان وليتجنب نقاط الفشــل السابقة لأن التجارب ترجمان العقل، ومن البلــوى أذكــر مرة أنســاناً كان يمنــع اخوانه عن التواصــل وزيارة

بعض الأقارب، استمر الأمر لسنوات، كبروا، أحبوا معرفة السر وراء ذلك، تواصلوا معهم، وجدوا ترحيباً كبيراً، استمر التواصل لسنوات، وجدوهم كراماً صُلحاء، ولكن كان بينهما خلافات لأجل الميراث، ولماذا الإفساد في الأرض والأمر بالمنكر ومنع الناس من صلة بعضها البعض، وما ذنب البقية في خلافاتهم!

قال تعالى: ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ [محمد:22-24].

الرحم أجدر بالالتزام والإحترام من غيرهم وأولى بالنفع والعون أيضاً عدا عن العفو والتغافل اللذين هما أهم عناصر نجاح العلاقات: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ [الإسراء:26]...

والرحم صلة، وإحسان، وتفضيل، وملاطفة، تغافل.. وإن أغلب الخلافات والقطيعة سببها قلة الإحترام والتقدير، عدا عن الطمع غير اللازم بالقريب، فيحصل عنه خيبة أمل ثم حزن ثم حسد ثم قطيعة، ولماذا لا نعطي القريب مثل الغريب، ولا نحترم القريب مثل الغريب، أيهما أولى، ولا وجه لمقارنة، ولا يبخس

القريـب إلا الجهلة، من لا يعرفون حـق القربة ولا قدرها عند الله ورسوله ﷺ ، وأنشد أحدهما معاتباً:

مـن الـنـاس مـن يحظى الأبـاعـدَ نفعُه
ويـشـقـى بـه حـتـى الـمـمـاتِ أقـاربـه

عـن أبي هريـرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يقـولُ اللهُ تعالى: أنا الرحمـنُ وهي الرحمُ، من وصلَها وصلتُـه، ومن قطعَها قطعتُه» - رواه أبو داود.

قال الإمـام الذهبي رحمه الله: من قطع رحمـه الفقراء وهو غني فهو مراد ولا بد، وكذا من قطعهم بالجفاء والإهمال والحمق.

قال ﷺ : «بُلُّوا أرحامَكم ولو بالسَّـلام» - أخرجه وكيع في الزهـد، والحديث مرسـل ويرتقي بشـواهده إلى درجة الحسـن، وبُلُّوا: من البَلل والندواة؛ أي نَدُّوها بصلتها.

قال ﷺ : «إنَّ أعمالَ بني آدمَ تُعرضُ كلَّ خميسٍ ليلةَ الجمعةِ فلا يُقبلُ عملُ قاطعِ رَحمٍ» - اسـناده ضعيف، وحسنه الألباني في صحيـح الترغيـب. وقال ﷺ : «مـا من ذنبٍ أجـدرَ أن يعجِّلَ اللهُ لصاحبِه العقوبةَ فـي الدنيا مع ما يدَّخِرُ الله له في الآخرةِ من البغي وقطيعةِ الرَّحمِ» - رواه أبو داود.

الاختلاط

الاختلاط قد يرغبه الكثير ويستحسنه، لأن النظر إلى النساء والتعامل معهن ليس بالشيء السيء للنفس الأمارة بالسوء، وكذلك العكس من النساء مع الرجال، لأن الفطرة تتجه اتجاهها تلقائياً إلى الجنس الأخر، لا يعني مع ذلك التسليم والرضى، لأن الشرع القويم يمنع ذلك بتاتاً، كما أن النفس اللوامة والمطمئنة تتجنب مواطن الفتن وتجاهد نفسها أن تكون ذات مظهرٍ كريمٍ شريفٍ أمام الله تعالى، وحيث أمرها الله سبحانه، حيث يرضى جل جلاله ولا يغضب.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾ [الفرقان:72]، أي: لا تكن دنيئاً بل كريماً.

تكرار اللقاءات العملية بين الزملاء الذكور والأناث مع الوقت سيولد مودة وألفة واعتياداً وإعجاباً، ومنهم من يقع في المنكر ومنهم من يخرّب دار زميله الأسري ليحل محله ظلما وإثما، وهذه البيئات المختلطة تكاد تصبح بلاءً اجتماعياً ودينياً،

ولن نذكر المخالفات الشرعية التي تغضب رب العالمين وتجلب علينا العقاب والفقر والكوارث، عـدا إن الاختلاط يحرك الغرائز والشـهوات ومع التكرار يقع الإنسـان في الحرام ويأتي بأبناء غير شـرعيين والعياذ بالله، والمغرور من ظن أنـه ذو قوة وصلابة ولن يقـع، ويسـتحيل أن يكون بأقوى من سـيدنا يوسـف عليه الصلاة والسـلام حين دعـا ربه وقال تعالى: ﴿وَإِلَّا تَـصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْـبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّـنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسـف:33]، ولن ينفع الندم والتحسر بعد ذلك، لأن الزمان ليس بأيدينا لنصحح الفائت.

وعَن أَبِي هُرَيرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤمِـنَ يَغَـارُ، وَغَيـرَةُ اللَّهِ أَن يَأْتِيَ الْمُؤمِنُ ما حـرَّمَ عَلَيهِ» – حديث متفق عليه.

الاختلاط لم يكن في أسـلافنا بل فرضـه علينا أعداء الدين والحياء حين سـقطت الخلافة العثمانية تسـلط الأعـداء علينا من الانكليز والفرنسـيين، فأصبحنا مسـتضعفين فـي الأرض، خاصة أهلَ السـنة، بدأ المحتل بمعادة الدين والسـعي في إبراز المرأة في عدة مجـالات بالتعاون مع نصـارى العـرب والنصيرية وغيرهما مـن الملـل إلى يومنا هذا، قـد كان هناك في أواخـر عهد الخلافة العثمانية بعض السـفور من النساء، ولكنهن قلة قليلة جداً، أغلبهن

من غير أهل السنة، وكن يتشبهن بالغربيات خاصة الألمان، بسبب التعاون العسكري والسياسي والإقتصادي بين الأتراك والألمان.، ومع ذلك غالب الشعب العربي السني، كان صاحب حشمة وغيرة وعفـة، ومن كان غير ذلـك، كان يغادر البلاد إلى لبنـان، وتركيا، وبعض المدن النائية، فنحن المسـلمون منـذ الأزل أصحاب عفة وغيرة وحشمة، وبهذا أنشد الشاعر عن المسلمات:

هــنّ الـلـواتـي فـي الـبـيـوتِ جـواهـرٌ
وإذا خـرجـن إلــى الـطـريـق خـيـامُ
بـيـضٌ نـواعـمُ مـا هَـمـمـن بـريـبـةٍ
كـظـبـاءِ مـكـةَ صـيـدهـنَّ حـرامُ

العنصر النسـائي، لا غنى عنه في المجـال الطبي والتعليمي والإنســاني، خاصـة إن وجـدت الضوابط الشـرعية، والحاجة لا تبرر الوسـيلة، لا يمكن التغاضي عن التجاوزات التي تحدث بين الجنسـين داخل تلك الأماكن أنفة الذكر، وهكذا الكسب المادي أصبـح يخالطـه الإثم والكراهـة وأحيانـاً الحرمانية وفقـاً للحالة وأبعادها، فلا نطلب رزق الله بمعصيته، الحشـمة والعفاف والستر وفصل الجنسين عن بعضهما البعض يولد إنتاجاً أكبر وراحة نفسية

وايمانية جهلها من جهل وعلمها من علم، وكما أن للنســاء فاعلية وإيجابيــة في بعض المجالات يبقى الأمر ليس على عمومه خاصة إن كنّ يشــغلن مناصب عالية وحساســة، فقد جاءت دراسة تقول: (فالشــركات التــي تديرها النســاء أكثر عرضة لمواجهة الخســائر لأسباب عدة) - البنك الدولي.

وأغلــب قطاعــات التصنيــع والزراعــة والمعامــل والعمار العنصر النسائي فيها ضئيل جداً، وغالبها تحت إدارة الرجال.

هل يجوز اختلاط المحارم/ الأقارب؟

لا شــك إن الإختــلاط بين أبنــاء العموم والعمــات والخال والخــالات، أو بين الإخــوة وزوجاتهم معاً لا يجوز ولا يرضى الله العزيز العظيم، إلا إن كان هناك إخوة من الرضاعة، أو حاجة ملحة، أو حــدث اضطــراري، أو مســاعدة وإعانة، ما عــدا ذلك ليس من الديــن ولا من عادات العرب، خاصة الاختلاط والخلوة بين أخت وقريبات الزوجة مع الصهر، وأيضاً أقارب وأخو الزوج مع الزوجة.

عــن عقبة بن عامــر ﵁ قال: قــال رســول الله ﷺ : «إيَّاكم والدُّخولَ على النِّســاءِ». فقــالَ رجلٌ منَ الأنصارِ: يا رســولَ اللَّهِ! أفرأيتَ الحموَ؟ قالَ: «الحموُ: الموتُ» - صحيح الترمذي.

هل اختــلاط الخطيب مع خطيبته يجــوز دون عقد القران؟ الخلوة بين الخطيب والمخطوبة لا يجوز أبداً، والخطبة دون عقد القران الشرعي معصية وإثما ومن خطوات الشيطان لا يرضاه أهل الديــن والمروءة، ومــن كان ينوي الزواج وكان فــي ترددٍ وحيرة، فالخطبــة تكون لمــدة ثلاثة أيام كحــد أقصــى، دون إتاحة مجال الخلوة أو الخروج، زيارة واتصالات ســطحية قصيرة، لأن الشرع والعــادات والأصل إما نعم أو لا، لا حــل بينهما، وهكذا أجدادنا كانوا، نظرة شــرعية، ثم استشــارة، ثم اســتخارة وقبول أو رفض، وممــا يذكر أن أحدهما قد ذهب مع أهلــه لرؤية فتاة، وبعد الزيارة الأولى، طلب رؤيتها مــرة أخرى، ثم اليوم الثالث تمت الخطوبة، وباليــوم الرابــع تم عقــد القران، وبعد 6 أشــهر تــم الزفاف. والله الموفق لا غير.

نحن شعبٌ عربيٌ نغار على نسائنا، ونحترم أعراضنا وأعراض الناس، لأن أعراض الناس أعراضنا، نصونها ونحفظها ولا نعتدي عليهــا اعتداء الذئاب اللئام، ومــن يصون الأعراض يصان عرضه، ولــن يضيــع الله عملــه، لنعلم جيــداً أن الاختلاط ســبب حالات اغتصــاب وتحرش عالية، وفي العالم فــإن واحدة من أصل ثلاث ســيدات تتعرض للتحرش كل يوم، ودراسة أخرى تقول: تسعون

في المئة 90٪ من النساء في العمل يتعرضن للتحرش الجنسي، ونسبة الاغتصاب أيضاً عالية ومخيفة سترنا الله ومحارمنا وإياكم.

وقصص التحرش والاغتصاب والوقوع في الزنا والعياذ بالله كثيرة جداً، سببها الإختلاط في الدرجة الأولى، وثانيها لباس المرأة، ثالثها الخلوة، رابعها لين الكلام والممازحة، خامسها كثرة اللقاءات والتواصل.

قال جل جلاله: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة:100].

الاختلاطات المحرمة أيضاً هي سلام الجار على جارته والعكس، كالتبسم والوقوف والحديث والسؤال عن الحال والأحوال بحجة الجيرة، ولقد زين الشيطان لهما أن الجار لجاره وهو قبل الدار، والحقيقة أن هذا فقط بين الرجال، والنساء مع النساء، وليس للجار ملاطفة الجارة، والتودد ولا إطالة النظر، لأنها غريبة عنه تماما، حتى إن التعدي على أعراض الجيران حرمتها عظمية مضاعفة، الإسلام جعلها من الخطوط الحمراء العريضة.

قال ﷺ : «لا يدخـل الجنةَ من لا يأمن جارُه بوائقَه» – رواه الإمام مسلم. بوائقه: البوائق هي الدواهي والشرور، واحدتها بائقة.

وفـي الصحيحين: «واللهِ لا يُؤمـنُ، واللهِ لا يؤمن» قيل من يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمنُ جارُه بَوَائقَه».

الاختلاط ليس تحرراً أبداً، لا يمكننا جمع الذئاب والسـباع مـع الأنعام، لا يمكننـا الجمع بين الصقـور والعصافير، كذلك لا يصح الجمع بين الذكور والإناث في مكان واحد، الإنسـان بطبعه يحب المدنية وإنشـاء الصداقـات، والصداقات سـتتطور لتصبح علاقات محرمة آثمة إن كانت مع النساء، ولا يمكننا الجزم بأن كل العلاقات ستكون مباحة أو ستبدأ وتنتهي بشكل شرعي... الخوف كل الخـوف ما بين السـطور وخلف السـتار، ولا يصـح أن يقول قائـلٌ: أنت تبالغ! أو أنني أملك خبـرة كبيرة ولم أجد إلا الإحترام والود في عهدي، وأنهن أخواتنا..! خبرتك التي تتحدث عنها تبقى محدودة ضمـن أطار محدود، وبين فئة قليلـة محدودة، ولا وجه للمقارنة بينها وبين الدراسات العالمية، ولا وجه للمقارنة كل ذلك مع نصائح وأقوال خير البشر، قال ﷺ : «ما تركتُ بعدي فتنةً أَضر على الرجالِ من النساءِ» – حديث صحيح رواه الإمام البخاري.

الإســلام يقول: أينما كنتم أينما ذهبتم أو ســافرتم أو تقابلتم فلا يجالس الجنســان بعضهما بعضاً، الرجال في جهة والنساء في جهــة أخرى مــن دون أعــذار أو تبريرات أو تعقيــدات أو حجج، فالحــق أحق أن يتبــع، وليس الغــرب بالرب ليوجهنا كيف يشــاء ونطيعــه فــي أســلوب حياتنا، مثــل مكاتــب العمــل، والمطاعم، والمقاهــي، والجامعات، والمدارس والقائمة تطول، ومثل مقاعد الطائرة، والقطــار، والباص، لا يصح جلوس الجنســين معاً، وإن حدث وصادف الحجز ذلك، فعلى الطاقم التدخل وتغير المقاعد، وإن تغافل الطاقم، أو لم يتواجد، طالبنا باحترام التبديل والتغير، أو جلسنا في مقعد آخر غير شاغر.

وأذكر مرة مســافراً ســافر بالقطار إلى مدينة أخرى في رحلة مدتها 4 ساعات، وتفاجأ بجلوس فتاة جميلة جداً بجانبه، لا ريب النفس الأمارة بالســوء رحبت بذلك، وبدأت وســاوس الشــيطان تقــول: نتحادث ونتحــاور فالطريق طويل ولعلهــا تصبح زوجة.. ولكن الإســلام والمروءة عارضا، فالتفت إلى فتاة أخرى وعرض عليها الجلوس مكانه والتبديل، ففطنت ورحبت، ثم مضت الرحلة بسلام وراحة بفضل الله ورضاه.

عن أبي هُرَيرةَ ﷺ ، أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ قـال: «المُؤمِنُ يَغارُ، واللهُ أشَدُّ غَيرًا» - رواه الإمام مسلم.

هل ترضى لأختك أو ابنتك أو قريبتك أو والدتك أو زوجتك أن تختلط يميناً وشـمالاً بأناس لا يخافون الله، لا تتردد في انتهاك الحرمات واستغلال المواقف واشباع الشهوات، حتى الذي يخاف الله قد يسوّل الشـيطان له المنكر فيطمع ويقع في الفحشاء والعياذ بالله... لأننا بشر في النهاية، طبعاً لا نرضى، فهل نتغافل، أم نتقاتل معها ونمنعها؟

علينـا تقدير الموقف، وتقدير مكان العمل والعمال أو مكان المدرسـة أو الجامعة والمخاطر المحيطة بالأمر، ونسعى لتقريب الصـورة لولـي الأمر لوالدهـا فقد يكـون جاهلاً، وفـي حال كنا نحن أصحاب القرار، فالنتشـاور مع أصحـاب العلم ونأخذ منهم الجواب الشـافي، ونمضي بعلم وحلم ورشاد، ولا نكل الأمر لها، بل نحاورها ونذكرها بجد ولطف ولين.

وقـد أحزنتنـا بعض القصـص الحقيقـة، التي وثـق الرجل بزوجتـه العاملة، ولكن كان هناك من ينسـج لها الشـباك لتقع في الحـب والغرام المحـرم الآثم، لتهدم خلفها منـزلاً طيباً متكاملاً،

وتشـتت أبناءها، وتغضب ربها، وتشوه سمعتها، ولا حول ولا قوة إلا بالله..

إن الناظـر في شـؤون الاتحاد الأوروبي يجـد أن 93٪ من أطفال الاتحاد قد ولدوا خارج إطار الزواج الشـرعي، والخاسـر الأكبر هم الأطفال، ما ذنب الطفل، ما ذنب مستقبله! هل هذا حرية شخصية أم جريمة بحق الطفل، الخزي والعار سيلاحقا الطفل لما أقترفته والدته من فاحشـة، ولماذا سـلمت نفسها للذئب الجائع.. اللهم عفوك.

قال أبو العتاهية:

يـا رُبَّ شَـهـوَةِ سـاعَـةٍ قَـد أَعـقَـبَـت

مَـن نـالَـهـا حـزنـاً هُـنـاكَ طَـويـلا

عَـظُـمَ الـبَـلاءُ بِـهـا عَـلَـيـهِ وَإِنَّـمـا

نـالَ الـمُـفَـضِّـلُ لِـلـشَـقـاءِ قَليلا

فَـإِذا دَعَـتـكَ إِلـى الـخَـطيئةِ شَـهـوَةٌ

فَاجـعَـل لِـطَـرفِـكَ في الـسَـمـاءِ سَبيلا

وَخَـفِ الإِلَـهَ فَـإِنَّـهُ لَـكَ نـاظِـرٌ

وَكَـفـى بِـرَبِّـكَ زاجِـراً وَسَـئـولا

مــاذا تَــقــولُ غَـــداً إِذا لاقَـيـتَـهُ
بِـصَـغـائِـرٍ وَكَـبـائِـرٍ مَـسـؤولا
لا تَـركَـنَـنَّ إِلـى الـرَجـاءِ فَـإِنَّـهُ
خَـدَعَ الـقُـلـوبَ وَضَـلَّـلَ المَعقولا

- أبو العتاهية.

الحب

الحــب ليس تجربة وليس شــهوة وليس ســباقاً أو تحدياً أو تفاخــراً أو عذاباً... الحب يا كرام هو محبة شــخصية الشــخص: كلامه، حركاته، أسلوبه، أمانته، عقليته، ظرافته، فقره، غناه، مرضه، تعبه، عبادته، تقاه، صدقه، إخلاصه، أخلاقه الطيبة، نحبه عند الجدِّ والمزاح عند الرضى والاختلاف... هكذا أحبت ســيدتنا خديجة رضي الله عنها النبي ﷺ في كل حال ومقال، في العسر واليسر، في الحرب والسلم، في أضعف حالاته المادية والإجتماعية.

ومــن جهة أخرى: بعد موت خديجــة رضي الله عنها، وعند زواج النبــي ﷺ مــن غيرهــا بقيت معزتهــا في قلبه لأخــر العمر، فكانت أحب النســاء إليه رضي الله عنها وعــن جميع زوجاته ﷺ ، فــكان ﷺ شــديد الوفاء لخديجة بعد موتهــا، حتى أنه كان يذبح الشاة فيوزعها في صديقات خديجة رضي الله عنها.

وعن الســيدة عائشــة رضي الله عنها قالــت: «جاءت عجوز إلــى النبي ﷺ وهو عندي، فأقبل عليها إقبالاً حســناً، يســألها عن حالهــا وأخبارهــا، فلما خرجــت، قلت: يا رســول الله، تقبل على

هذه العجوز هذا الإقبال، فقال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان» - رواه الإمام البخاري.

الحب أنواع، طيبة وفاسدة... المحبة الفاسدة كمحبة المال والدنيا حباً جما، فلا نرى غيرهما فنصبح من غير أن نشعر عُباد الدرهم والدينار والعمل والدولار واللباس. قال رسول الله ﷺ : «تَعِسَ عَبدُ الدينار، تَعِسَ عَبدُ الدرهم..» – رواه الإمام البخاري.

ومن المحبة الفاسدة: العشق الممنوع، الذي يجعلنا كالعبيد من دون الله ويغمسنا في الحرام والذنوب، فنضعف ونتعب ونخور ونذبل ثم نندم.. والمحبة الطيبة، هي محبة الله عز وجل ومحبة الرسول الكريم ﷺ التي تحثنا على اتباع نهجه وسنته وطريقته وعبادته في كل شيء، وقد قيل عن محبة الله سبحانه..

إذا صح منك الود فالكل هينٌ
وكل الذي فوق التُرابِ تُرابُ
فَلَيْتَكَ تحلُو، وَالحيَاة مَرِيرَة
وَلَيتَكَ تَرضَى وَالأَنَامُ غِضَابُ
وَلَيتَ الّذي بَيني وَبَينَكَ عَامِرٌ
وبيني وبينَ العالمينَ خرابُ

- أبو فراس الحمداني الحلبي.

قيل: مساكين أهل الحب حتى قبورهم عليها تراب الذل بين المقابر. وقيل:

ألا قـاتـل الله الـهـوى كـيـف قـادنـي
كـمـا قـيـد مـغـلـول الـيـديـن أسـيـر

فالحب يـا كرام يذل عزيز القوم، ويكسـر الرجل الشـديد، ويدمـر النفـوس ويتعب العقـول... ويوقف الحيـاة حتى تضيق، ويذهب طعم الحياة، ويشـوش أهدافنا، وأكثرهم تعرضاً للإصابة أصحاب القلوب الرقيقة البريئة، فالحذر من تسـليم قلوبنا إلى من لا يسـتحقها، والحذر من وضعها في غير محلها، لأن القلب أغلى وأنفس أعضاء الإنسان.

تعديـات الحـب، تعـدي الحب إلـى خارج حدود الشـرع والفطرة يعتبر مرضاً نفسـياً عقلياً سـببه ظلمة القلب وفساد الرأي وذهاب الإيمان وتسـلط الشـهوة الشـيطانية علـى العقل والنفس والفكـر، تجعل صاحبهـا في ظلمات بعضها فـوق بعض، ومهما بررنا وسعينا لتجميل المنكر يبقى خارجا عن دائرة الحب الصحيح السليم وإن وافقه الفاسدون أو دعمه أو شرعه المجرمون، حتى أن عواقبه دائما مخزية، مخجلة غير مشرفة، تلحق بصاحبها العار في

الدنيــا والأخرة، فمن أصيب بهذه المصيبة، عليه المبادرة فوراً إلى قطــع العلاقة + تغيــر رقم الهاتف + التوبة إلــى الله بصدق وجدية + تغيــر المدينــة إن أمكن + الدعــاء + تغير الصحبة + الإنشــغال بالرياضة، الدراســة، العمل، ألعاب + عدم افشاء السر لأحد مهما كان وحتى ولو فتوى إلا بالخفاء.

الحــب ليس بســماع أغنية أو موســيقا أو بحضــور حفلة أو بمشاهدة فلم سينمائي. الحب ليس هديةً ولا حفلة زفاف أو توصية من فلان أو فلانة، الحب لا يشتريه شارٍ ولا يبيعه بائع...لا ثمن له ولا تحتويــه كنوز الأرض، الحب لا يضيع بموقف ما ولا بخلاف أو نقاش أو خصومة أو بعد أو غربة... بل كلما غاب اشتاق وكلما ضعف قوي... كلنا نبحث عن المحبوب بصدق وإخلاص، نحبّ أن نُحب ونحب، نتبادل المحبة لنعيش وتستمر الحياة، الحب يولد طاقــة تولد الأمل ثم العمل ثم النجاح والكفاح والاســتمرار، إيانا أن نصدق الذين لا يؤمنون بالحب...فالحب يغذي الحياة والفكر ويجلي عن الفؤاد التعب، ولكن الحب خلف ستار الشرع، خرابٌ وعذابٌ. وقد قيل: (لا مرحباً بحرامٍ عاد بالضررِ).

قال ســبحانه وتعالى: ﴿ لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ [البقرة:235]، فمن ذاق حلاوة الحب المؤيد من السماء بالبركات والرحمات لن

يرضى غيره، قَالَ رَسُــولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّك لن تدَعَ شــيئًا اتِّقاءَ اللَّهِ عز وجلَّ إلَّا أعطاك اللَّهُ خيرًا منهُ» - رواه ابن مفلح اسناده جيد.

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:89]، القلوب الســليمة تميز بين الحب السليم والسقيم، الضار والنافع، وتمتاز بأنها لا تختار إلا أنقى وأرقى القلوب مثلها...قلوب تغذي بعضهــا بعضاً...تجد بعضها بعضاً، كما قيل: (كلُ ولفٍ على وِلفه يلــفِ) وهكذا الصالحــون، يحبــون بعضهم البعــض، قلوبهم لا ترتوي إلا بحب الله ورسوله، ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:54].

وخير قلــوب أهل الأرض النبي المختــار محمد المصطفى العدنان عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وباقي الأنبياء والأصحاب ومــن تبعهم بإحســان إلــى يوم الديــن، فقد أحبهم النــاس لصفاء قلوبهم، وكريم معشرهم، ونبل أخلاقهم.

القلوب الســليمة لا ترى إلا مــا يرضي علام الغيوب، تحب ما يحبه الرحمن وتبغض ما يبغضه، وتعادي وســاوس الشــيطان، وإن ضعفت قلوبها يوما توجهت بكل أركانها إلى طريق الرحمن، راغبة راهبة، طائعة خاشعة، صادقة مخلصة، والطرق عديدة وكلها كريمــة، فالقلوب تحتــاج لتروية كما تحتاج الأبــدان للغذاء، منها

بالسجود والخضوع للرحمن، ومنها بفعل الخيرات، ومنها بالذكر والصدقـات، ومنهـا بتلاوة كلامه سـبحانه وتعالى، قـال الله جل جلاله: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾ [الزمر: 23].

ترتيب الحب الأولى فالأولى: الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ والصحابـة الكرام رضوان الله عليهم جميعـاً والوالدان ثم الإخوة ثم الزوجة ثم الأبناء ثم الأهل والأقارب والعشـيرة ثم الجيران ثم الزمـلاء ثم الأصحـاب ثم العلم ثم العمل ثم العـادات والتقاليد، وقد يتفاضل البعض عن الآخر أو يتقدم أو يتأخر.

محبة الوطن

للوطـن محبة، محبـة الحي، محبـة الجيـران والأهل، هي الطفولة هـي الماضي والتاريخ والذكريـات والأصحاب محبة لا تقارن لا تضمحل مع الأيام، محبة راسخة في الأذهان، وقد أحب النبـي ﷺ مكة المكرمة حبّاً جمّاً ومع ذلك لا يرضى الإســلام أن نجعـل الأرض (الوطن) أولى الأولويات عن عبد الله بن عدي بن الحمراء رضي الله عنه قال: قال رســول الله ﷺ : «واللَّهِ إنَّكِ لخيرُ أرضِ اللَّهِ، وأحبُّ أرضِ اللَّهِ إلى اللَّهِ.. » - صحيح الترمذي.

حتى من يموت في ســبيل الوطن يموت على الشرك، إلا إذا كانــت نيتنا الدفاع عن الوطن لأجل الله عز وجل لا لأجل فلان أو الوطن.

عن أبي موســى الأشعري قال: جاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: الرَّجلُ يُقاتِلُ حميَّةً ويُقاتِلُ شجاعةً ويُقاتِلُ رياءً فأنَّى ذلك في ســبيلِ اللهِ؟ قال: «مَن قاتَل لتكونَ كلمة اللهِ هي العليا فهو في سبيلِ اللهِ» - صحيح ابن حبان.

فالمحبــة إن خالفت الكتاب والســنة وأهل العلم فهي محبة عقيمة تشــبه عبادة الطاغوت... وتجعلنا من أهل الشرك ونحن لا ندري.

مهمــا بلغت المحبة في قلبنا يوما ما لشــخص ما، وانفطرت قلوبنا لأجله، وضاقت نفوسنا وتلاشت أحلامنا وما وجدنا خلاصاً إلا برؤية الحبيب والتكلم معه على حســاب كرامتنا ومذلة نفوسنا فــلا نفعل ولا نرضــى ولا نستســلم، لأن الحب كمــا ألمحنا عزاً وكرامة وراحة وألفة ونقاءً واخلاصاً وطاقة، ليس ذلاً وقهراً وعناءً.

وقد قيل:

وَإِنِّــــي وَإِن حنَّت إِلَـيــكِ ضَــمـائِـرِي

فَـمـا قَــدرُ حبِّي أَن يَـــذِلَّ لَــهُ قَــدرِي

- ابن طاهر.

فالمحــب لا يرضــى لمحبوبه التعــب والمذلــة والمضرة، ولا نبــرر له المبررات، لأن الحب أخلاقٌ، وقد شــهدنا الكثير من قصص الحب التي ذلت أصحابها، وأرهقتهم، وأتعبتهم، وجعلتهم يهومــون كالمجانين، والســبب الرئيســي التســلية وتعبئــة الفراغ

العاطفــي ان صح التعبير دون أفعال جديــة، بل التأجيل والوعود، «لم يُرَ للمُتَحابِّينَ مِثلُ التَّزويج» - الأحاديث المختارة للمقدسي.

والبقاء في علاقة لا ترضي الله ودون جدية حقيقة فعلية ستعود على العلاقة والسمعة والمستقبل بالذنب والعار وكلام الناس، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ ﴾ [البقرة:189].

المحبــة بيــن الأزواج تنبني علــى مقومات عديــدة، مودة، رحمة، صــدق، إخلاص، احتــرام، تعاون، تقدير، شــكر، رعاية، نفقة، دعم نفسي ومعنوي ومادي وصحي، ويستمر ذلك ويتواجد إلى آخر المشوار، دون منة ولا شح، ولا تكلفاً وتأففاً، خاصة عند وقوع الخطأ والذنب، وقد قيل: (ويعذِرُهُ يوما إذا هو أذنبا)، خاصة عند الخلاف أو الشــقاق لا قدر الله، لأن عنــد حدوث الخلافات أو الشــقاق يظهر جليــاً قيمة ومعــدن وتربية وإيمــان الزوجان أو الطليقان. قال ربنا ســبحانه وتعالى: ﴿ فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍۗ ﴾ [البقرة:229].

محبة الإخوان، أن تشــتهي لأخيك ما تشتهي لنفسك...دون طمع دون حقدٍ، دون منةٍ دون حســدٍ، لأنكما من نفس الدم، نفس العائلة، بعضكما من بعض، تختار له كما تختار لنفســك، تتمنى له

كما تتمنى لنفسك، وتسعى لتحقيق ذلك، ولا ريب مهما حالفك الحظ من صحبة كريمة فالأخ القريب على رأس القائمة والأولى عن الغريب، وهكذا الأقرب فالأقرب.

قال النبي ﷺ: «والذي نفسُ مُحمَّدٍ بيدِهِ لا يُؤْمِنُ أحدُكُم حتى يُحبَّ لِأَخِيهِ ما يُحبُّ لنفسِهِ من الخيرِ» - صحيح الإمام النَسائي.

وكم وجدنا من أخوة أعانت وساندت بعضها حتى وصلت للقمة، وقد رأيت شراكة بين اخوة كانوا في فقر وقلة، وعندما تعاونوا أبدعوا، لكل منهم ميزة وشخصية وصفات وجهود تظافرت فنجحت نجاحاً عريضاً، قال تعالى لسيدنا موسى عليه السلام: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص:35]. وقد قيل في محبة الأصحاب:

رُبَّ أَخٍ لي لَم تَلِدهُ أُمّي
يَنفي الأَذى عَنّي وَيَجلو هَمّي

- الشريف الرضي.

وللأصحاب منافع لا تعد ولا تحصى، وهم في الحقيقة نعمة من نعم الله التي يهبها لمن اصطفى خاصة إن كانت صالحة، فكم من أصحاب ساندت بعضها البعض إلى أن وصلت القمم،

وهزمت العدو، وكم من صحبة صالحة أعانت عوائلاً، ونشرت الخير ووقفت مع المظلوم، وزلزلت الظالم، وبثت العلم، وساهمت في المجتمع مساهمات رنانة فعالة.

وخير صحبة تُضرب بها الأمثال وتدرّس للناس ويفتخر بها العرب والعجم هم صحابة رسول الله ﷺ .

وقد مدحهم الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [الفتح:48]، وقد أوصى بهم رسول الله ﷺ : «أكرِموا أصحابي؛ فإنَّهم خِيارُكم...»- حديث صحيح.

فالله الله في الصحبة الصالحة لا تتغافل عنها ولا تستهين بها ولا تتعالى عليها، كن لها ومعها بالنصح والمعونة والخير والبر والسؤال والدعم بكل الوسائل الممكنة، وأدم التواصل ولو أنقطعت الاتصالات وتفرقتم في البلدان، وتواضع واذكر محاسنهم، واسعى في حوائجهم، لتنال الخيرية عند الله تعالى، قال ﷺ : «خيرُ الأصحابِ عندَ اللهِ خيرُكم لصاحبِه.. » – صحيح الترمذي.

الوالدان وما أدراك ما هما ومن هما، لا أغلى منهما ولن تجد مثلهما... هما الدر والياقوت، هما العينان هما الداعمان

الصادقـان السـاهران الطيبـان الكريمـان المنفقان...وقد أوصى الله سـبحانه وتعالـى بهما: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الأحقاف:15]، فهما الأصل، ولا نجعل معهما أحداً، لا زوجاً لا زوجة لا ولداً ولا صاحباً ولا عملاً ولا مالاً... هما الجنة أو النار، عن أبي بكرة مرفوعاً: «كلُّ الذنوبِ يُؤَخّرُ اللهُ منها ما شـاءَ إلى يوم القيامة إلّا عقوقُ الوالدين، فإنّه يُعَجَّلُ لصاحبه» - رواه الحاكم في المستدرك.

الإنسان الاجتماعي

قيـل: (إن للإجتمـاع روحـاً لطيفـاً فاعلة فـي النفوس كل جميـل).. والإنسـان يحـب الاسـتئناس بالناس، يحـب الحوار والأصحـاب والجماعـات والإجتماعات ويحـب الظهور وفعل الخير للعباد وحتى الدواب.... طبيعة بشرية جُبلنا عليها، ولكن منا من يستغلها بالسوء والشر، ومنا يحسن استثمارها والتفاعل معها، ومنهم من يتجنبها ومنهم من يستصعبها ولا يعلم كيف السبيل لها، وهي شيءٌ هين: (وَجهٌ طَلقٌ وكلامٌ ليِّن).

كـن اجتماعيـاً ولكن ليس مـع زميلات العمـل من خروج وولوج وضحك وقلة حياء فهذا يغضب الله، كن اجتماعياً كما هي العادات والتقاليد والأصول، ولا تمسَّ نسـاء الجيران ولا تؤذهنَّ بحجـة حب الخير...، ولا تتقرب من نسـاء أقاربـك أيضاً بحجة السـلام والإطمئنان، في حين تستطيع أبلاغ والدتك أو خالتك أو احد النسـاء الكبيرات عن رغبتك في المساعدة ولا تدخل بنفسك مسـتغلاً صلة القربة، ومن يتقرب من زوجات إخوانه بحجة أنهن

كالأخـوات فقد عصـى الله ورسـوله، وهكذا زوجـات الأخوال والأعمام وقريبات الزوجة، وأيضاً العكس من زوج الخالة والعمة والأخت، حتى وإن فتحت أحداهنّ المجال فلا ترضى ولا تخضع ولا تحوم حول الحمى فتقع في شـر أعمالك ومنكرات أهوائك، قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [فصلت:36].

كـن إنسـاناً اجتماعياً مـع الفقـراء والمسـاكين والمعاقين وشـارك مشاكل المجتمع ومشـاكل الشـباب واهتم لهم إن كنت شـاباً، واهتمّي بمشـاكل الشـابات إن كنت شـابة... أدعـو الغير مسـلمين إلى الإسـلام، كن مصلحاً اجتماعياً، فـي الإصلاح بين الأزواج والأرحام والجيران والشركاء...كن اجتماعياً في إصلاح ذات البين، وإصلاح الفساد... أعن العاطلين عن العمل في إيجاد وظائـف، أعـن الغير متزوجين فـي الزواج، أعـن اللاجئين، أعن المظلوميـن، قال تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَـةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّـاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:114].

«يد الله مع الجماعة»، كما جاء في الحديث الصحيح، فالأصل ملازمـة الجماعة ونبذ الافتراق والشـقاق والوحـدة والانعزالية،

والإنسان لا تكون قوته إلا بالجماعة والاجتماع وبالوحدة كالبنيان المرصوص يكمل ويساند بعضه بعضاً، وقد نهوى أفعالاً للجماعة ونكـره بعضها، لأننـا كلنا نجتهـد ونخطأ ونصيـب، وعند الخطأ نحتاج نصحاء نجبناء لا أعداءاً ولا عداوات، ولا شـك أن النقص فـي الناس لا مفر منه لأنها طبيعة بشـرية، فالقلـب بطبعه يتقلب، والأجـواء المناخيـة تتغير، والأيام تتبـدل، فالنتفهـم ذلك جيداً، ولنؤيد وحدة صف الأمة الإسـلامية، قال ﷺ : «فمن أحبَّ منكم أن يَنالَ بَحبوحةَ الجنَّةِ فليلزمُ الجماعةَ» - السلسلة الصحيحة.

الإنســان الاجتماعي، كلمة تتردد على مسامعنا تبرز سلاسة وقوة وثقافة هذا الشخص وقدرته العالية في التواصل والإنسجام، وتوطيد العلاقات وتجاوز السـلبيات والخلافات، قد أحســن في تواصلــه وتعاونه مع جميع الأعمــار والأجنــاس والمقامات...، ولكن إن زاد عن حده أضر وأفسد... كمن كسر الحدود ليتجاوزها مع الجنس اللطيف، فيقع الفأس في الراس وتنتهك الأعراض، فإن كنت اجتماعياً بارعاً، فلا تسـتغل كلامك المعسول فيما لا يرضي الله تعالــى، هذه نعمة من الله أوجدها لك لتشــكره عليها والشــكر يكون بالعمل الصالح بجـذب الناس إلى الحق والخير والصواب وإلى الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:33].

استغلال علاقاتنا الاجتماعية في سبيل أنفسنا فقط دون الأخرين لا يجعلنا أصحاب شكر لله فيما ساقه الله لنا من أناس وروابط ونِعم، بعكس من استغل علاقاته في سبيل مرضاة الله من شفاعة وسعى للناس وحوائجهم، يعين هذا ويشفع لهذا ويساند هذا لأجل الله عز وجل لا لأجل شهرة أو سمعة أو مقابل، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كانَ رَسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إذَا جاءَهُ السَّائِلُ أوْ طُلِبَت إلَيهِ حاجَةٌ قالَ: «اشفَعُوا تُؤجَرُوا.. » - رواه الإمام البخاري.

فمن سعى في أمر، فترتب عليه خير، كان له نصيب من ذلك، ويترتب كذلك على ساعي الشر الوزر والإثم، قال سبحانه وتعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء:85].

والله أعلى وأعلم، والحمد لله رب العالمين.

وإلى مواضيع أخرى مهمة وغنية قريباً بعون الله عزّ وجلّ.



اقرأ وربك الأكرم،

في مراحل الحياة التي نمر بها تستوجب
منا أن نقف عندها رويداً، خاصة في زخم
المسؤوليات والواجبات، وننظر بعين
الصواب والمنطق لا بعين التغافل
واللامبالاة والعادة،
لأن في هذه المراحل زوايا ينبثق منها
رؤى ومكاسب هامّة وجليلة، تنفع
صاحبها وتضر تاركها،
وكلما توسعت رؤيتنا كلما سمونا وغنمنا،
ومن اغتنم زكى وسطع نجمه وأفلح،
وهذه المراحل لم يكتبها الكثير من
الكتّاب ولم تجمع في كتاب ..
لي، ولكَ، ولكِ، ولنا..
وعلم الإنسان مالم يعلم.



DAR AL FARABI
Damascus Syria
Tel: +963 11 222 6786/ P.O.Box:2382
www.daralfarabi.com